جواهر البلاغة

تأليف
السيد أحمد الهاشمي

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

جواهر البلاغة

جواهـر البلاغـة
في أدبيات وإنشاء لغة العرب

تأليف
المعلم البيان أحمد بن إبراهيم بن مصطفى
الهاشمي الأزهري المصري
المتوفى عام ١٩٤٣م

الجزء الأول

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - طريق المطار - قرب سنتر زعرور

هاتف:٤٥٠٤٢٦ / ٠١ - فاكس:٤٥٠٤٢٧ / ٠١

صندوق بريد:٧١٢٠

Published by Aalami Est.

Beirut Airport Road

Tel:01/450426 Fax:01/450427

P.O.Box.7120

E-mail:alaalami@yahoo.com

http://www.alaalami.com

ترجمة المؤلف[1]

هو أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، أديب مصري من أهل القاهرة، ولد سنة ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م، وكان مديرًا لثلاث مدارس أهلية، واحدة للذكور واثنتان للإناث، وصار مديرًا لمدارس الجمعية الإسلامية، ومراقبًا لمدارس فيكتوريا الإنجيلية، تتلمذ على يد الشيخ الإمام محمد عبده.

له من المؤلفات:

١ - جواهر الأدب في إنشاء وأدبيات لغة العرب.

٢ - جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (وهو الذي بين أيدينا).

٣ - أسلوب الحكيم، مجموعة مقالات.

٤ - ميزان الذهب في صناعة شعر العرب.

٥ - مختار الأحاديث النبوية.

٦ - السعادة الأبدية في الشريعة الإسلامية.

٧ - الحكم المحمدية، من البخاري وكتب الحديث المعتبرة.

٨ - جواهر الأعراب.

٩ - المفرد العلم.

---

(١) انظر ترجمته في:

١ - الصحف المصرية في ٢٦/١٠/١٩٤٣م.

٢ - معجم المطبوعات ١٨٨٧.

٣ - معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة ١/١٤٣.

٤ - الأعلام للزركلي ١/٩٠.

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدًا لمن خصَّ سيِّد الرُّسل بكمال الفصَاحة بين البَدوِ والحضَر وأنطقه بجوامع الكلم فأعجزَ بُلغَاء رَبيعةَ ومُضَر، وأنزل عليه الكتابَ المُفْحم بتحدية مصاقِع بُلغاء الأعراب، وأتاه بحكمته أسرارَ البلاغة وفصلَ الخطاب، ومنحه «الأسلُوب الحكيم[1]» في جوامع كلمه وخصَّ «السَّعادة الأبدية» لمقتفى آثاره وحِكَمِه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه «جواهر البلاغة» الذين نظمُوا لآلىء البديع في عقُود الإيجاز والإطناب. فَقهنا بعد اللّكَن «بجواهر الأعراب» ونطقنا «بميزان الذَّهب» وطرَّزنا سطُور الطُّرُوس «بجواهر الأدب» فصارت «المفرد العَلم» في باب النّسب.

وبعد: فإنَّ العلومَ أرفعُ المطالب، وأنفع المآرب وعلم البلاغة من بيَنها أجلُّها شأنًا، وأبينها تِبْيَانا، إذْ هو الكفيل بإيضاح حقائق التَّنزيل، وإفصاح دقائق التَّأويل. وإظهار «دلائل الإعجاز» ورفع معالم الإيجاز، ولاشتغالي بتدريس البيان بالمدارس الثانوية، كانت البواعث داعية إلى تأليف كتاب «جواهر البلاغة» جامعًا للمهمات من القواعد والتَّطبيقات ـ وأسأل المولى جلَّ شأنه أن ينفعَ بهذا الكتاب وهو الموفق للحق والصواب.

المؤلف

السيد أحمد الهاشمي

(١) الأسلوب الحكيم والسعادة الأبدية وجواهر البلاغة، وجواهر الأعراب وجواهر الأدب وميزان الذهب والمفرد العلم ـ الواردة في هذه الخطبة أسماء بعض كتب مطبوعة لمؤلف هذا الكتاب.

أقوال أئمة العلماء الأعلام وآراء الأساتذة الكبار في كتاب جواهر البلاغة

كتب أستاذي المرحوم صاحب الفضيلة الشيخ حسونة النواوي شيخ الجامع الأزهر:

الحمد لله العليّ القدير، والصلاَة والسلاَم على النبي البشير النَّذير، وعلى آله وأصحابه الذين ملكوا طريقه المنير.

«أما بعد» فقد اطلعت على كتاب «جواهر البلاغة» الذي حاز كمال الصياغة لحضرة مؤلفه الأستاذ الفاضل «السيد أحمد الهاشمي» الحائز لكمال الفضائل، فوجدته كتابًا نفيسًا قد اشتمل على بيان بديع المعاني بأفصح عبارة وأبلغ إشارة، وسلك فيه حضرة مؤلفه طريق التحقيق لصعاب الشوارد، مع كثرة التمارين والأمثلة والشواهد فجاء فريدًا في بابه، مرغوبًا ونافعًا لطلابه، أسأل الله تعالى أن يرزق مؤلفه الحسنى وزيادة، ويمنحه السعادة في الدارين والسيادة، ويوفقه للتعلم والتَّعليم. ويهديه إلى الصراط المستقيم إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير.

وكتب المغفور له السماحة السيد علي الببلاوي شيخ الجامع الأزهر:

أحمد من رصّع تاج اللغة العربية «بجواهر البلاغة» فشرفها على سائر اللغات بكمال الصياغة، وأصلّي وأسلّم على أفصح ناطق بالضاد، وأجلّ داع إلى الله وهاد سيدنا محمد القائل (إن من البيان لسحرًا، وإن من الشعر لحكمة) وعلى آله وصحبه الذين بذلوا أرواحهم في صون كتاب الله الكريم، ونشر دينه القويم.

هذا وقد تصفحت جملة من كتاب «جواهر البلاغة» الذي أحكم صنعه وأبدع تصنيفه ووضعه، حضرة الفاضل، المجدالكامل الأستاذ السيد أحمد الهاشمي فرأيته جعل فرائد فوائد الفنون الأدبية على طرف التمام، بحيث لا يكلف طالبها أكثر من الاطلاع على كتابه، حتى يعود مسرور الفؤاد، قرير العين، بما وجده فيه من ضالته المنشودة التي طالما أبعدته عنها صعوبة المؤلفات السابقة؛ في مثل فنون البلاغة وطولها بدون طائل ـ فجزى الله حضرة هذا الأستاذ الجليل عن طالبي الاستفادة خير الجزاء، ووفقه لما فيه من الخير والنفع العام. إنه سميع الدعاء.

وكتب المرحوم أستاذنا الحكيم الإمام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية:

اطلعت على كتاب «جواهر البلاغة» في علوم المعاني والبيان والبديع والسرقات الشعرية، فوجدته كتابًا عظيمًا، وأسلوبًا حكيمًا، يشهد لحضرة مؤلفه الفاضل بملاك الذوق السليم، والعقل الحكيم، هداه الله إلى الصراط المستقيم ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾[1]. آمين.

وكتب أخونا الأستاذ الشيخ أحمد الكناني المدرس في المدرسة التوفيقية:

الحمد لله البديع صنعه، الحكيم وضعه، الواهب من شاء ما شاء من نعمه المفيض على من اصطفاهم من عباده وابل فضله وكرمه، نشكره هدانا بفضله الصراط المستقيم. صراط الذين حازوا فضل العلم والتعليم. ونصلي ونسلم على أبي إبراهيم المبعوث بملة أبيه إبراهيم، سيدنا محمد ذي المقام الأسمى الذي أنزل عليه في محكم كتابه ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾[2] وعلى آله وأصحابه وأتباعه، الذين اجتمعت قلوبهم وقوالبهم على حبه واتباعه.

«أما بعد»: فإن خير الكتب ما عمّ نفعه، وحسن لدى العقلاء وضعهُ ـ وكان متقن البيان، واضح الحجّة، قويّ البرهان، وإن كتاب «جواهر البلاغة» لمن خير الكتب وضعًا، وأحسنها اختيارًا وصنعًا، لمؤلفه الفاضل الأستاذ «السيد أحمد الهاشمي» فإن لحضرته من التآليف العديدة. والتصانيف المفيدة، ما تقر به أعين الناطقين بالضاد، ويفحم بمعجزاته كل مضاد، لا سيما هذا السفر الجليل الذي جاء دليلًا على إخلاصه في النية لأبناء أمته، وبرهانًا ساطعًا على وفائه وحسن طويته. فقد جمع فيه ما تفرق، بعد أن حقق ودقق ـ فلا غرابة إذا احتاج إليه كل إنسان، لما فيه من مراعاة النظير وحسن البيان ـ فالله أسأل أن ينفع بالمؤلِّف والمؤلَّف العباد ويجعله بفضله كنزًا وذخرًا إلى المعاد. آمين.

---

(١) سورة الفاتحة: الآية ٧.

(٢) سورة طه: الآية ١١٤.

تمهيد

لمَّا وُضع «علمُ الصَّرف» للنّظر في أبنية الألفاظ.

ووُضِعَ علمُ النَّحو للنّظر في إعراب ما تركّب منها.

وُضع «البيان[1]» للنّظر في أمر هذا التركيب، وهو ثلاثة علوم:

العلم الأول: ما يُحترز به عن الخطأ في تأدية المعنى الذي يُريدُه المتكلّم لإِيصالِه إلى ذهن السّامع، ويُسمّى «علم المعاني».

العلم الثاني: ما يُحتَرز به عن التعقيد المعنوي ـ أي عن أن يكونَ الكلامُ غير واضح الدّلالة على المعنى المراد، ويُسمَّى «علم البيان».

العلم الثالث: ما يُراد به تحسين الكلام، ويُسمَّى «علم البديع» فعلم البديع تابع لهما إذ بهما يعرف التحسين الذاتي وبه يعرف التحسين العرضي، والكلام باعتبار «المعاني والبيان» يقال إنه «فصيحٌ» من حيثُ اللفظ ـ لأنَّ النّظر في الفصاحة إلى مجرَّد اللفظ دون المعنى.

«وبليغٌ» من حيث اللفظ والمعنى جميعًا ـ لأَنَّ البلاغة ينظر فيها إلى الجانبين[2].

---

(١) علم البيان في اصطلاح المتقدمين من أئمة البلاغة يطلق على فنونها الثلاثة من باب تسمية الكل باسم البعض ـ وخصه المتأخرون بالعلم الباحث عن المجاز والاستعارة والتشبيه والكناية ـ والغرض منه صوغ الكلام بطريقة تبيِّن ما في نفس المتكلم من المقاصد وتوصل الأثر الذي يريده به إلى نفس السامع.

(٢) وبيان ذلك أن الفصاحة تمام آلة البيان فهي مقصورة على اللفظ لأن الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى. والبلاغة إنما هي إنهاء المعنى في القلب فكأنها مقصورة على المعنى، ومن الدليل على أن الفصاحة تتضمن اللفظ، والبلاغة تتناول المعنى، أن الببغاء يسمى فصيحًا ولا يسمى بليغًا إذ هو مقيم الحروف وليس لها قصد إلى المعنى الذي يؤديه ـ وقد يجوز مع هذا أن يسمى الكلام الواحد فصيحًا بليغًا إذا كان واضح المعنى سهل اللفظ جيد السبك غير مستكره فج ولا متكلف وخم، ولا يمنعه من أحد الاسمين شيء لما فيه من إيضاح المعنى وتقويم الحروف.

واعلم أن الفصيح من الألفاظ هو الظاهر البين، وإنما كان ظاهرًا بينًا لأنه مألوف الاستعمال، وإنما كان مألوف الاستعمال بين النابهين من الكتاب والشعراء لمكان حسنه، وحسنه مدرك بالسمع، والذي يدرك بالسمع إنما هو اللفظ لأنه صوت يتألف من مخارج الحروف فما استلذه=

وأمّا باعتبار البديع فلا يقال إنه فصيح ولا بليغ، لأن البديع أمرٌ خارجي يُراد به تحسين الكلام لا غيرُ.

إذا تقرَّر ذلك وجب على طالب البيان أن يعرفَ قبل الشُّروع فيه معرفةَ معنى «الفصاحة والبلاغة» لأنّهما مِحورهُ، وإليهما مرجع أبحاثه، فهما الغاية التي يقفُ عندها المتكلِّم والكاتب، والضالَّةُ التي يَنشُدانِها، وما عقدَ أئِمَّة البيان الفصولَ، ولا بوَّبوا الأبوابَ، إلَّا بُغية أن يُوقِفُوا المُسترشد على تحقيقات وملاحظات وضوابَط، إذا رُوعيتْ في خطابه أو كتابه بلغت الحدَّ المطلوبَ من سهولة الفهم، وإيجاد الأثر المقصود في نفس السَّامع واتَّصفت مِنْ ثَمَّ بصفة الفصاحة والبلاغة[١].

= السمع منه فهو الحسن، وما كرهه فهو القبيح ـ والحسن هو الموصوف بالفصاحة ـ والقبيح غير موصوف بالفصاحة لأنه ضدها لمكان قبحه.

(١) يرى الإمام عبد القاهر الجرجاني وجمع من المتقدمين أن الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة ألفاظ مترادفة لا تتصف بها المفردات، وإنما يوصف بها الكلام بعد تحرّي معاني النحو فيما بين الكلم حسب الأغراض التي يصاغ لها.

وقال أبو هلال العسكري في كتاب الصناعتين ـ الفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد وإن اختلف أصلاهما لأن كل واحد منهما إنما هو الإبانة عن المعنى والإظهار له. وقال الرازي في نهاية الإيجاز ـ وأكثر البلغاء لا يكادون يفرقون بين الفصاحة والبلاغة: وقال الجوهري في كتاب الصحاح ـ الفصاحة هي البلاغة.

مقدمة[1]
في معرفة الفصاحة والبلاغة

الفصاحة

الفصاحة تُطلَق في اللُّغة على معان كثيرة ـ منها البيانُ والظُّهور قال الله تعالى: ﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا﴾[2] أي أبينُ مِنِّي قولًا.

ويقال أفصح الصَّبيُّ في منطقه إذا بان وظهر كلامه.

وقالت العرب ـ أفصح الصُّبح إذا أضاء، وفَصَح أيضًا، وأفصح الأعجميُّ إذا أبان بعدَ أن لم يكن يُفصِح ويُبين، وفصح اللَّحان إذا عبَّر عمَّا في نفسه وأظهره على وجه الصَّواب دون الخطأ.

وفي اصطلاح أهل المعاني، عبارة عن الألفاظ البيِّنةِ الظاهرة المُتبادرةِ إلى الفهم، والمأنوسة الاستعمال بين الكتاب والشعراء لمكان حُسنها.

وهي تقع وصفًا للكلمة، والكلام، والمتكلِّم، حَسبَما يعتبر الكاتب اللَّفظةَ وحدَها أو مَسبوكة مع أخواتِها.

(١) مقدمة مشتقة من قدَّم اللازم وهذه مقدمة كتاب لأنها ألفاظ تقدمت أمام المقصود لارتباط له بها وانتفاع بها فيه ـ بخلاف مقدمة العلم فهي معان يتوقف الشروع عليها كبيان حد العلم المشروع فيه وموضوعه وغايته.

واعلم أن علوم البلاغة أجل العلوم الأدبية قدرًا وأرسخها أصلًا وأبسقها فرعًا وأحلاها جنى وأعذبها وردًا لأنها العلوم التي تستولي على استخراج درر البيان من معادنها وتريك محاسن النكت في مكامنها (ولولاها لم تر لسانًا يحوك الوشي، ويلفظ الدر، وينفث السحر، ويريك بدائع من الزهر، وينثر بين يديك الحلو اليانع من الثمر) فهي الغاية التي تنتهي إليها أفكار النظار، واللآلىء التي تتطلبها غاصة البحار لهذا كانت منزلتها تلو العلم بتوحيد الله تعالى.

(٢) سورة القصص: الآية ٣٤.

فصاحة الكلمة

فصاحة الكلمة سلامتها من أربعة عيوب:

١ ـ تنافُرِ الحروف.

٢ ـ غرابةِ الاستعمال.

٣ ـ مُخالفةِ القِياس.

٤ ـ الكَراهةِ في السّمع[١].

الأوّل: «تنافُر الحروف» هو وصفٌ في الكلمة يوجب ثُقِلَها على السمع وصعوبة أدائها باللّسان بسبب كون حروف الكلمة متقاربة المخارج وهو نوعان:

١ ـ شديدٌ في الثّقل كالظّش (للموضع الخشن) ونحو: هُعخُع «لنبت ترعاه الإبل» من قول أَعرابِي: تركت ناقَتي تَرْعَى الهُعْخُع.

٢ ـ وخفيف كالنّقنقَة «لصوت الضّفادع» والنُّقَاخ «للماء العذب الصافي» ونحو: مُسْتَشْزِرات «بمعنى مرتفعات» من قول امرىء القيس يصف شعرَ ابنة عمِّهِ:

[الطويل]

غَـدَائِـرُهُ مُـسْـتـشْـزِراتٌ إلـى الـعُـلاَ تَضِـلُّ العُـقَـاصَ في مُثَنًّى ومُرْسَـلِ[٢]

ولا ضابطَ لمعرفة الثّقل والصّعوبةِ سِوى الذّوق السّليم والحِسّ الصّادق النّاجمينِ عن النّظر في كلام البُلغاء ومُمارسةِ أساليبهم[٣].

---

(١) وبذلك تسلم مادتها وصيغتها ومعناها من الخلل ـ واعلم أنه ليس تنافر الحروف يكون موجبه دائمًا قرب مخارج الحروف إذ قربها لا يوجبه دائمًا ـ كما أن تباعدها لا يوجب خفتها ـ فها هي كلمة «بفمي» حسنة وحروفها من مخرج واحد وهو الشفة، وكلمة (ملع) متنافرة ثقيلة وحروفها متباعدة المخارج، وأيضًا ليس موجب التنافر طول الكلمة وكثرة حروفها.

(٢) «الغدائر» الضفائر والضمير يرجع إلى (فرع) قبله (والاستشزار) الارتفاع (والعقاص) جمع عقيصة وهي الخصلة من الشعر (والمثنى) الشعر المفتول (والمرسل) ضده ـ أي ابنة عمه لكثرة شعرها بعضه مرفوع، وبعضه مثنى، وبعضه مرسل، وبعضه معقوص ملوي.

(٣) الألفاظ تنقسم إلى ثلاثة أقسام قسمان حسنان، وقسم قبيح، فالقسمان الحسنان أحدهما ما تداول استعماله السلف والخلف من الزمن القديم إلى زماننا هذا ولا يطلق عليه أنه وحشي، والآخر ما تداول استعماله السلف دون الخلف، ويختلف في استعماله بالنسبة إلى الزمن وأهله ـ وهذا هو الذي يعاب استعماله عند العرب لأنه لم يكن عندهم وحشيًا وهو عندنا وحشي.

ولا يسبق وهمك إلى قول قصراء النظر بأن العرب كانت تستعمل من الألفاظ كذا وكذا فهذا دليل على أنه حسن، بل ينبغي أن تعلم أن الذي نستحسنه نحن في زماننا هذا هو الذي كان عند العرب مستحسنًا، والذي نستقبحه هو الذي كان عندهم مستقبحًا والاستعمال ليس بدليل على=

الثاني: غَرابة الاستعمال، وهي كونُ الكلمة غيرَ ظاهرةِ المعنى ولا مألوفةَ الاستعمال عند العرب الفُصحاء، لأنّ المعوّلَ عليه في ذلك استعمالهم. والغرابة قسمان:

القسم الأول: ما يُوجب حِيرة السّامع في فهم المعنى المقصود من الكلمة لتَرَدّدها بين معنيين أو أكثرَ بلا قرينة. وذلك في الألفاظ المُشتركة «كمسرَّج» من قول رُؤْبَة بن العَجاج:

[الرجز]

ومُـقْـلـةً وحَـاجِـبًـا مُـزَجَّـجَـا وفـاجِـمًـا ومُـرْسِـنًـا مُـسَـرَّجـا[(١)]

فلا يُعلم ما أراد بقوله «مُسرَّجا» حتى اخْتَلَفَ أئمّة اللُّغة في تخريجه فقال «ابن دُريد» يُريد أنّ أنفه في الاستواء والدِّقّة كالسّيف السّريجي.

وقال: «ابنِ سيدَه» يُريد أنه في البريق واللّمعان كالسّراج[(٢)].

= الحسن فإننا نحن نستعمل الآن من الكلام ما ليس بحسن وإنما نستعمله لضرورة فليس استعمال الحسن بممكن في كل الأحوال ـ واعلم أن استحسان الألفاظ واستقباحها لا يؤخذ بالتقليد من العرب لأنه شيء ليس للتقليد فيه مجال وإنما هو شيء له خصائص وهيئات وعلامات إذا وجدت علم حسنه من قبحه ـ ألا ترى أن لفظة المزنة مثلًا حسنة عند الناس كافة من العرب وغيرهم لا يختلف أحد في حسنها ـ وكذلك لفظ البعاق فإنها قبيحة عند الناس كافة من العرب وغيرهم فإذا استعملتها العرب لا يكون استعمالهم إياها مخرجًا لها عن القبح ولا يلتفت إذن إلى استعمالهم إياها بل يعاب مستعملها ويغلظ له النكير حيث استعملها ـ فلا تظن أن الوحشي من الألفاظ ما يكرهه سمعك ويثقل عليك النطق به وإنما هو الغريب الذي يقل استعماله فتارة يخف على سمعك ولا نجد به كراهة وتارة يثقل على سمعك وتجد منه الكراهة وذلك في اللفظ عيبان كونه غريب الاستعمال وكونه ثقيلًا على السمع كريهًا على الذوق. وليس وراءه في القبح درجة أخرى ولا يستعمله إلا أجهل الناس ممن لم يخطر بباله شيء من معرفة هذا الفن أصلًا ـ انتهى عن المثل السائر بتصرف.

(١) «مزججًا» مدققًا مطولًا (فاحمًا) شعرًا أسود كالفحمة (مرسنا) بكسر الميم وفتح السين كمنبر ـ أو بفتح الميم وكسر السين كمجلس ومعناه أنفاذًا لمعان كالسراج ـ أو ذا صقالة واحديداب كالسيف السريجي أي المنسوب إلى سريج وهو قين حداد تنسب إليه السيوف في الدقة والاستواء.

(٢) أي ولفظه مسرج غير ظاهرة الدلالة على ما ذكر لأن فعل إنما يدل على مجرد النسبة وهي لا تدل على التشبيه فأخذه منها بعيد ـ لهذا أدخل الحيرة على السامع في فهم المعنى المقصود من الكلمة لترددها بين معنيين أو أكثر بلا قرينة ومثله قول الشاعر: [الكامل]

لـو كـنـت أعـلـم أن آخـر عـهـدكـم يـوم الـرحـيـل فـعـلـت مـا لـم أفـعـل

فلا يعلم ماذا أراد بقوله فعلت ما لم أفعل ـ أكان يبكي إذا رحلوا ـ أم كان يهيم على وجهه من الغم الذي لحقه ـ أم يتبعهم إذا ساروا ـ أم يمنعهم من المضي على عزمة الرحيل.

فلهذا يَحتار السّامعُ في فهم المعنى المقصود لتردّد الكلمة بين معنيين بدون «قرينة» تُعيِّن المقصود منهما.

فلأجل هذا التّردّد، ولأجل أن مادة فعّل تدلّ على مجرد نسبة شيء لشيء لا على النّسبة التّشبيهية كانت الكلمة غيرَ ظاهرة الدّلالة فصارت غريبة.

وأما مع القرينة فلا غرابة كلفظة «عَزَّر» في قوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾[1] فإنها مشتركة بين التعظيم والإهانة ـ ولكن ذكر النصر قرينة على إرادة التعظيم.

القسم الثاني: ما يُعاب استعماله لاحتياج إلى تتبُّع اللُّغات وكثرة البحث والتفتيش في المعاجم «قواميس متن اللغة المطولة».

«أ» فمنه ما يُعثر فيها على تفسيرٍ بَعْدَ كَدٍّ وبَحثٍ نحو: تَكأكأتُم «بمعنى اجتمعتُم» من قول عيسى بن عمرو النَّحوي:

مَا لَكُم تَكَأْكَأْتُمْ[2] عَلَيَّ كَتَكأكُئِكُم على ذِي جِنةٍ[3] افرَنْقِعُوا عنّي[4] ونحو مُشْمَخِرٌ في قولِ بِشرِ بن عوانة يَصِفُ الأسدَ:

[الوافر]

فخرَّ مُدَرَّجًا بِدَمٍ كأنِّي ... هَدَمْتُ به بِنَاءً مُشمخِرًّا

«ب» ومنه ما لم يُعثر على تفسيره نحو (جَحْلَنْجَع) من قول أبي الهَمَيْسَع:

[الرجز]

مِنْ طَمحةٍ صَبِيرها جَحْلَنْجَع[5] ... لم يحضها الجدول بالتَّنوُّع

الثالث: (مخالفة القياس) كون الكلمة غيرَ جارية على القانون الصّرفي المُستنبَط من كلام العرب؛ بأن تكونَ على خلاف ما ثبت فيها عن الواضع[6] مثل (الأَجْلَلِ) في قول

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.
(٢) اجتمعتم.
(٣) جنون.
(٤) انصرفوا وقال ذلك حين سقط عن دابته فاجتمع الناس حوله.
(٥) الطمحة النظرة والصبير السحاب المتراكم ـ وقبله: [الرجز]

إن تمنعي صوبك صوب المدمع ... يجري على الخد كضئب الثعثع

الضئب الحب والثعثع اللؤلؤ ـ قال صاحب القاموس ذكروا جحلنجع ولم يفسروه وقالوا كان أبو الهميسع من أعراب مدين وكنا لا نكاد نفهم كلامه اهـ.

(٦) اعلم أن ما ثبت عن الواضع موافقًا أو مخالفًا للقياس فصيح فمثل (آل وماء) أصلهما أهل وموه أبدلت الهاء فيهما همزة وإبدال الهمزة من الهاء وإن كان على خلاف القياس إلّا أنه ثبت عن=

أبي النَّجْمِ:

[الرجز]

الـحـمـدُ لـلَّـهِ الـعَـلـيِّ الأجْـلَـلِ   الـوَاحـدِ الـفَـرْدِ الـقَـدِيـمِ الأوَّلِ

فإنَّ القياس الأجَلّ بالإدغام ولا مُسَوِّغ لَفكهِ.

وكقطع همزة الوصل في قول جَميل:

[الطويل]

ألاَ لاَ أرى اثـنـيـن أحـسـنَ شِيـمـةً   على حَدثَان الدَّهرِ منّي ومن جُمل[١]

يُستثنَى من ذلك ما ثبت استعماله لَدى العرب مخالفًا للقياس.

ولم يَخرُج عن الفصاحة لفظتا المشرِق والمغربِ بكسر الراء والقياس فتحها فيهما وكذا لفظتا المُدهنُ والمُنْخُل والقياس فيهما مِفْعَل بكسر الميم وفتح العين وكذا نحو قولهم عَوِر والقياس عارَ لتحرُّك الواو وانفتاح ما قبلها.

الرابع: (الكراهة في السّمع) كون الكلمة وحشيةً تأنفها الطباعُ وتمجُّها الأسماع وتنبو عنه كما ينبو عن سماع الأصوات المنكرة (كالجِرِشّي للنفس) في قول .ي الطّيب المتنبّي يمدح سَيفَ الدَّولة:

[المتقارب]

مُـبـارَكُ الاسْـم أغـرُّ الـلَّـقَـبْ   كَـرِيـمُ الـجِـرِشَّـى شَـريـفُ الـنَّـسَـبْ

تطبيق (١)

ما الذِي أخلَّ بفصاحة الكلمات فيما يأتي:

قال يحيى بن يعمر لرجل حَاكمتْهُ امرأته إليه «أئِنْ سألَتْكَ ثَمن شَكْرِها وشَبرِك أنشأتَ تُطلّها وتُضْهلُهَا»[٢].

وقال بعض أمراء العرب وقد اعتلّت أمّه فكتب رقاعًا وطرحها في المسجد الجامع

= الواضع ومثل (أبى يأبى) بفتح الباء في المضارع والقياس كسرها فيه لأن فعل بفتح العين لا يأتي مضارعه على يفعل بالفتح إلا إذا كان عين ماضيه أو لامه حرف حلق كسأل ونفع، فمجيء المضارع بالفتح على خلاف القياس إلا أن الفتح ثبت عن الواضع، ومثل (عور يعور) أي فالقياس فيهما عار يعار بقلب الواو ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها فتصحيح الواو خلاف القياس إلا أنه ثبت عن الواضع.

(١) الشيمة الخلق، والحدثان نوائب الدهر، وجمل فرسه.

(٢) الشكر الرضاع والشبر النكاح وتطلها تسعى في بطلان حقها وتضهلها تعطيها الشيء القليل.

بمدينة السلام: صِينَ امرُؤٌ وَرَعَا دعَا لامْرأته إنْقحلْة[١] مُقسئنةَ[٢] قد مُنِيتْ بأكل الطَّرمُوق[٣] فأصابها من أجله الاستِمْصَالُ[٤] بأن يَمُنَّ الله عليها بالإطرِغشاش[٥] والإبْرِغشاش - أسمعُ جَعجَعة[٦] ولاَ أرى طِحنًا - الإسْفِنْطُ[٧] حرام - وهذا الخنْشليل[٨] صقيل، والْفَدَوْكَسُ مُفترسٌ[٩].

يومٌ عَصَبْصَبٌ وهِلَّوْفٌ ملأ السَّجْسَجَ طَلاً[١٠].

[الوافر]

أمِنَّا أنْ تُصَرّعَ عن سَمَاحٍ ولِلآمالِ في يدِك اضطِرَاعُ[١١]

وقال الفرزدق:

[الكامل]

وإذا الرّجالُ رأوا يَزيدَ رأيتَهُمْ خِضعَ الرِّقابِ نَوَاكِس الأبصارِ[١٢]

وقال أبو تمام:

[البسيط]

قد قُلت لمَّا اطلخَمَّ الأمرُ وانبعَثتْ عَشْوَاءُ تالِيةً غُبسًا دهاريسا[١٣]

وقال شِمْر:

[الطويل]

وأحمقِ مِمَّنْ يَكْرَعُ الْمَاءَ قَالَ لي دَعِ الخمرَ واشربْ مِن نُقَاخٍ مُبَرّدِ[١٤]

---

(١) يابسة. (٢) مسنة عجوز.
(٣) ابتليت بأكل الطين. (٤) الإسهال.
(٥) البرء وكذا معنى ما بعده.
(٦) جعجعة غير فصيحة لتنافر حروفها وهو مثل يضرب لمن يقول ولا يفعل.
(٧) الإسفنط الخمر. (٨) الخنشليل السيف.
(٩) الفدوكس الأسد فكل من هذه الألفاظ الثلاثة وحشية غير مألوفة.
(١٠) شديد البرد فيهما والسجسج الأرض التي ليست بسهلة ولا صلبة.
(١١) أراد أنهم أمنوا أن يغلبه غالب يصرعه عن السماح ويمنعه منه - وأما قوله (وللآمال في يدك اصطراع) فمعناه تنافس وتغالب وازدحام في يده - يريد كثرة نواله وكرمه واستعماله للفظة الاصطراع فهذا المعنى بعيد، والبيت للبحتري.
(١٢) فقد جمع (ناكس) على (فواعل) وهذا لا يطرد إلا في وصف لمؤنث عاقل لا لمذكر كما هنا إلا في موضعين (فوارس وهوالك) والناكس مطأطىء الرأس.
(١٣) قال صاحب المثل السائر أن لفظ (طلخم) من الألفاظ المنكرة التي جمعت الوصفين القبيحين في أنها غريبة وأنها غليظة في السمع كريهة على الذوق وكذلك لفظة (هاريس)، اطلخم أي اشتد وعظم، والعشواء: الليلة المظلمة، والغبسة جمع أغبس وغبساء وهي الشديدة الظلام مثلها - والدهاريس جمع دهريس وهي الدواهي.
(١٤) الماء العذب الصافي.

[الطويل]

يَظَلُّ بِمَوْمَاةٍ ويُمسي بغيرِها جَحِيشًا ويَعْرَوْرَىٰ ظهورَ المسالك[١]

[الطويل]

فلا يُبْرَمُ الأمرُ الذي هو حَالِلٌ وَلاَ يُحْلَلُ الأمرُ الذي هو يُبْرِمُ[٢]

[البسيط]

مُقابِلٌ في ذُرَا الأذْوَاء مَنصبهُ عَيْصًا فَعِيصًا وقُدْمُوسًا فقُدْموسا[٣]

وقال أبو تمام:

[المنسرح]

نِعْمَ مَتَاعُ الدّنيا حَبَاك بِهِ أَوْرَعُ لاَ جَيْدَرٌ وَلاَ جِبْسُ

وقال امرُؤُ القَيس:

[الرجز]

رُبّ جَفْنَةٍ مُثْعَنْجِرَهْ وَطَعْنَةٍ مُسْحَنْفِره
وخُطْبَةٍ مُسْتَحْضَره

وقصيدةٍ مُحبرةٍ تبقى غدًا بأنقِرَة[٤] أكلتُ العَرِينَ، وشربتُ الصُّمادح[٥] إنِّي إذا أنشدتُ لأحبَنْطَى[٦]، نزل بزيدٍ داهيةٌ خَنْفقِيقٌ[٧] وحلّ به عَنْقَفِير. لم يَجد منها مَخلصًا. رأيتُ نُقاخا[٨] ينبَاعُ[٩] من سفح جبَل شَامخ. إخالُ أنّك مَصُوون[١٠] ـ البُعاق[١١] ملأ

(١) الموماة المفازة الواسعة ويقال للمستبد برأيه جحيش ويقال اعرورى الفرس ركبها عريانًا ـ وإن لفظة جحيش من الألفاظ المنكرة القبيحة ـ وياالله العجب أليس أنها بمعنى فريد وفريد لفظة حسنة رائقة ولو وضعت في هذا البيت موضع جحيش لما اختل شيء من وزنه، فتأبط شرًا ملوم من وجهين في هذا الموضع أحدهما أنه استعمل القبيح والآخر أنه كانت له مندوحة عن استعماله فلم يعدل عنه، والبيت لتأبط شرًّا في ديوانه.

(٢) العيب في هذا البيت من حيث فك الإدغام في حالل ويحلل بلا مسوغ وهو مخالف للقياس الصرفي، والبيت للمتنبي في ديوانه.

(٣) البيت لأبي تمام في ديوانه.

(٤) يريد جفنة صحفة كبيرة ملأى تشبع عشرة والمثعنجرة السائلة والمسحنفرة الماضية بسرعة وطعنة متسعة ببلد أنقرة وهو كلام امرىء القيس لما قصد ملك الروم ليستنجده على قتلة أبيه فهوته بنت الملك وبلغ ذلك القيصر فوعده أن تتبعه بالجنود إذا بلغ الشأم أو يأمر من بالشأم من جنوده بنجدته فلما كان بأنقرة بعث إليه بثياب مسمومة فلما لبسها تساقط لحمه فعلم بالهلاك فقال رب الخ.

(٥) تريد اللحم والماء الخالص.

(٦) احبنطى انتفخ بطنه.

(٧) دهياء.

(٨) عذبا.

(٩) ينبع ويسيل.

(١٠) مصوون ليست فصيحة لمخالفتها للقياس الصرفي.

(١١) البعاق مطر السحاب والجرد حل الوادي وليستا فصيحتين لغرابتهما.

الجِرْدَحْلَ:

[الطويل]

فإنْ يَكُ بعضُ الناس سَيفًا لدوْلة ... ففي النَّاس بُوقاتٌ لها وطبُولُ(١)

[الطويل]

نَقِيٌّ تَقيٌّ لم يُكثِّر غَنِيمة ... بنكْهةِ ذِي القُرْبَىٰ ولا بَحْقَلَّدِ

[الرجز]

إنَّ بَنِيَّ لَلِئَامٌ زَهَدَهْ ... مَاليَ في صُدُورهم مِن مَوْدَدِه(٢)

[الطويل]

رَمتني ميٌّ بالهوَى رَمي مُمْضغ ... من الوحش لوْطٌ لم تعِقْه الأوَالسُ(٣)

بعينين نَجلاوين لم يجر فيهما ... ضَمانٌ وجيد حلى الدرّ شامسُ(٤)

علمي إلى علمك كالقرارة في المُثْعُنْجَر(٥).

[الخفيف]

إن بعضًا من القريض هُراءٌ ... ليس شيئًا وبعضه أحكامُ

فيه ما يجلُب البَراعة والفهـ ... ـم وفيه ما يجلُب البِرسامُ(٦)

[الخفيف]

ومن الناس مَن تجوزُ عليهم ... شُعراءُ كأنها الخازَبَازُ(٧)

تطبيق (٢)

ما الذي أخلَّ بفصاحة الكلمات فيما يلي:

[مخلع البسيط]

يا نفسُ صبرًا كل حيٍّ لاق ... وكل اثنين إلى افتراقِ

[البسيط]

أبْعِدْ بَعِدْتَ بياضًا لا بياضَ لهُ ... لأنت أسودُ في عيني منَ الظُّلم(٨)

---

(١) بوقات مزامير والقياس في جمعه أبواق.   (٢) القياس مودّة بالإدغام.

(٣) لوط لازق والأوالس النياق.

(٤) ضرب من القلائد، والأبيات للمتنبي في ديوانه.

(٥) المثعنجر لفظة متنافرة ـ والمعنى إن علمي مقيس إلى علمك كالغدير الصغير موضوعًا في جانب البحر.

(٦) القريض الشعر والهراء الكلام الفاسد الذي لا نظام له، وأحكام جمع حكم والمراد الحكمة، والبرسام بفتح الباء وكسرها التهاب الصدر، والبيتان للمتنبي في ديوانه.

(٧) الخازباز صوت الذباب ـ وتجوز تروح وتقبل، والبيت للمتنبي.

(٨) الظلم الليالي الثلاث آخر الشهر. ولا بياض له لا حسن له. قاله المتنبي يخاطب الشيب له =

[السريع]

لا نَسَبَ اليومَ وَلاَ خُلَّه إتَّسعَ الفتقُ على الرَّاقِع(١)

[الطويل]

فأيقنتُ أنّي عند ذلك ثائرٌ غداتئذٍ أو هالكٌ في الهوالك(٢)

[البسيط]

مهلًا أعَازِلَ قدْ جَرَّبت منْ خُلقي أنّي أجودُ لأقوامٍ وإن ضَنِنُوا

[الرجز]

تشكو الوَجى مِن أظْلَلٍ وأظلَل من طول إملالٍ وظَهرٍ مُمْلِلِ(٣)

=

وخالف القياس في الأسود لأنه لا يبنى اسم تفضيل من نحو سود وحمر.

(١) الخلة الصداقة والفتق الشق والراقع مصلح الفتق وقد خالف القياس في إتسع حيث قطع همزة الوصل.

(٢) هوالك فواعل لا يطرد في وصف العاقل كما هنا.

(٣) الوجى الجفا والأظلل باطن خف البعير وخالف القياس بفك الإدغام.

تنبيهات: الأول من عيوب فصاحة اللفظة المفردة كونها مبتذلة أي عامية ساقطة للقالق والشنطار ونحوهما، والابتذال ضربان.

١ ـ ما استعملته العامة ولم تغيِّره عن وضعه فسخف وانحطت رُتبته وأصبح استعماله لدى الخاصة مَعيبًا، كلفظة البرسام في قول المتنبي: [الخفيف]

إن بعضًا من القَريض هُرَاءُ ليس شيئًا وبعضهُ أحكامُ

فيه ما يَجْلِبُ البراعَةَ والفهـ ـم وفيه ما يجلب البِرسْامُ

وكلفظة الخازباز في قوله: [الخفيف]

ومن الناس مَن تجوزُ عليهم شُعراءٌ كأنها الخازَباز

٢ ـ ما استعملته العامة دالاً على غير ما وضع له وليس بُمسْتَقْبَح ولا مكروه كقول المتلمس: [الطويل]

وقد أتناسَى الهَمَّ عند احتضاره بِنَاجٍ عليه الصَّيْعَرِيَّة مَكْدَمُ

وكقول أبي نُواس: [مجزوء البسيط]

اختصمَ الجود والجمالُ فيك فصار إلى جِدال

فقال هذا يمينه لي للعُرف والبَذل والنَّوال

وقال هذاك وجهه لي للظرْف والحُسن والكمال

فافترقا فيك عن تراض كلاهما صادق المقال

فوصف في الأول البعير بالصَّيْعَرّيّة وهي مختصة بالنُّوق، وفي الثاني الوجه بالظرف وهو في اللغة مختص بالنطق.

للقالق والشنطار ونحوهما (الثاني) لا تستعمل الألفاظ المبهمة إذا كان غرضك التعيين وإحضار صورة الشيء أو المعنى المراد في الذهن (الثالث) لا تستعمل اللفظ المشترك إلا مع قرينة تبين المراد من معانيه المشتركة ـ وقد تقدم ذلك مفصلًا.

١ ـ وقال ابن جحدر:

[الطويل]

حلَفتُ بما أرقلَتْ حَولهُ هَمَرجَلَةٌ خَلقُها شَيْظَمُ[١]
وما شَبْرَقَتْ من تَنُوفِيَّةٍ بها من وَحَى الجِنِّ زَيزَيْزَمُ

٢ ـ وقال ذو الرُّمة:

[البسيط]

حتَّى إذا الهَيْقُ أمسى شَامَ أفْرُخَهُ وهُنَّ لا مُؤْيِسٌ نَأيًا ولا كَثَبُ[٢]

وقال أبو نُواس:

[المجتث]

يا مَنْ جَفَاني وَمَلَّا نَسِيتَ أهلًا وسَهْلا

تدريب (١)

ما الذي أخلَّ بفصاحة الكلمات فيما يلي:

قال النّابغة الذُّبياني:

[الكامل]

١ ـ أو دُمْيَةٍ في مَرْمَرٍ مَرْفُوعة بُنِيَتْ بآجُرٍّ يُشَادُ بقَرْمَدِ[٣]

٢ ـ وقال أبو تمّام:

[الكامل]

لكَ هَضْبَةُ الحِلْمِ التي لو وَازَنَتْ أجَأً إذا ثَقُلَتْ وكان خفيفا
وحلاوَةُ الشِّيَمِ التي لوْ مَازَجَتْ خُلُقَ الزَّمانِ الفَدْمِ عاد ظَرِيفا[٤]

---

(١) الإرقال: الإسراع. الهمرجلة: الناقة السريعة. الشيظم: الطويل الجسم من الإبل والخيل، شبرقت ـ قطعت ـ التنوفية والتنوفة: المفازة، الوحي. الصوت الخفي ـ زيزيزم: حكاية أصوات الجن.

(٢) الهيق: الظليم (ذكر النعام) شام البرق نظر إليه أين يقصد، وأين يمطر. واستعمل هنا للنظر إلى الأفرخ. النأي: البعد.

(٣) الدمية: الصورة المنقوشة المزينة فيها حمرة كالدم. تضرب مثلًا في الحسن، المرمر: الرخام. الآجر ما يبنى به ـ القرمد: بفتح القاف ما يطلى به للزينة. وقيل حجارة لها خروق يوقد عليها فتنضج ويبنى بها. وقيل الخزف المطبوخ.

(٤) الهضبة: الرابية أجأ جبل القدم ـ الغليظ الجافي ـ وصف الشيم بالحلاوة وهي خاصة بالعينين ـ وخلق الزمان بالظرف وهو خاص بالنطق.

٣ ـ وقال المتنبيُّ:

[الوافر]

يُـوَسِّـطـه الـمَـفَـاوزَ كـلَّ يـوم طِـلاَبُ الـطَّـالِـبـيـن لا الانْـتِـظَـارُ

تدريب (٢)

ما الذي أخلَّ بفصاحة الكلمات فيما يأتي:

[الكامل]

١ ـ لـم يَـلْـقَـهَـا إلا بِـشِـكَّـة بـاسِـلٍ يـخشى الـحوادِي حازم مُسْتَعْدِدِ[١]

[الطويل]

٢ ـ وأصبح مَبْيَضَّ الضَّرِيب كأنه على سَرَوات البَيْتِ قُطْن مُنْدِفِ[٢]

[الطويل]

٣ ـ فأيْقَنْتُ أنِّي عند ذلك ثائرٌ غَدَاتَئِذٍ أو هَالِكٌ في الـهَـوَالِكِ[٣]

[الطويل]

٤ ـ ومَلْمُومَةٍ سيْفِيَّةٍ رَبَعِيَّةٍ يَصيح ألحصا فيها صِياحَ اللّقائِقِ[٤]

[الطويل]

٥ ـ وألقَى بصحراء الغبِيط بَعَاعَهُ نُزولَ اليَمَاني ذو العِيَاب المَحمَّلِ[٥]

[البسيط]

٦ ـ ليس التَّعَلُلُ بالآمالِ من أرَبي ولا القُنُوع بضَنْكِ العَيْشِ مِنْ شِيَمِي[٦]

---

(١) الشكة الخصلة. الباسل: الشجاع.

(٢) قائله الفرزدق. الضرب: الشبيه والمثيل. سروات البيت: أعاليه. مندف، مندوف من قولهم ندف القطن ضربه بالمندف.

(٣) الثائر الذي لا يبقي على شيء حتى يدرك ثأره.

(٤) قائله المتنبي. ملمومة: كتيبة مجتمعة. سيفية نسبة لسيف الدولة ربعية نسبة إلى ربيعة قبيلته. اللقالق. جمع لقلقة وهي صوت اللقلاق (طائرًا) أو هي كل صوت في اضطراب وحركة.

(٥) قائله امرؤ القيس. الغبيط: الأرض المطمئنة وقيل الواسعة المستوية يرتفع طرفاها. البعاع ثقل السحاب من المطر يقال بع السحاب يبع بعًا وبعاعًا. إذا ألح بمكان وألقى عليه بعاعه أي ثقله. العياب جمع عيبة وهي ما يجعل فيه الثياب. يقال جعل الرجل خير متاعه في عيبته. والمحمل يروى بكسر الميم على جعل اليماني رجلًا ـ وبفتحها على جعله جملًا ـ والمعنى أن هذا المطر نزل بهذا المكان ولم يبرح كما نزل الرجل في ذلك الموضع وضمير ألقى يرجع إلى السحاب فيما قبله.

(٦) القنوع: المسألة، يقال قنع قنوعًا. إذا سأل والمراد القناعة، والبيت للمتنبي.

فصاحة الكلام

فصاحة الكلام سلامته بعد فصاحة مُفرداته ممَّا يُبْهِم معناه ويَحول دون المراد منه[١] ـ وتَتَحقّق فصاحته بخلُوّه من ستة عيوب:

١ ـ تنافُر الكلمات مُجتمعة.

٢ ـ ضعف التأليف.

٣ ـ التّعقيد اللفظي.

٤ ـ التَّعقيد المعنوي.

٥ ـ كثرة التكرار[٢].

٦ ـ تتابُع الإضافات.

الأوّل «تنافُر الكلمات مجتمعة» أن تكون الكلمات ثقيلةً من تركيبها مع بعضها على السمَّع. عَسرة النّطق بها مُجتمعةً على اللِّسان.

(وإن كان كل جزء منه على انفراده فصيحًا) ـ والتنافر نوعان:

أ ـ شديد الثِّقل كالشطر الثاني في قوله:

[السريع]

وَقَــبْــرُ حَــرْب بِــمَــكَــان قَــفْــر   وَلَــيــس قُــرْبَ قَــبــر حَــرْبٍ قَــبــرُ[٣]

---

(١) المراد بفصاحة الكلام أن يكون واضح المعنى. سهل اللفظ. حسن السبّك ولذلك يجب أن تكون كل لفظة من ألفاظه واضحة الدلالة على المقصود منها جارية على القياس الصرفي عذبة سلسلة كما يكون تركيب الكلمات جاريًا على القواعد النحوية خاليًا من تنافر الكلمات مع بعضها ومن التعقيد ـ فمرجع الفصاحة سواء في اللفظة المفردة أو في الجمل المركبة إلى أمرين (مراعاة القواعد والذوق السليم).

(٢) (٥ و٦) الحق أن هذين العيبين قد احترز عنهما بالتنافر ـ على أن بعضهم أجازهما لوقوعهما في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾ [الشمس: ٧] الآيات ـ وفي قوله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢﴾ [مريم: ٢].

(٣) حرب بن أمية قتله قائل هذا البيت وهو هاتف من الجن صاح عليه، (وقفر) خال من الماء والكلأ، وقبر اسم ليس مؤخر، وقرب خبرها مقدم ـ قيل إن هذا البيت لا يمكن إنشاده ثلاث مرات متوالية إلا ويغلط المنشد فيه لأن نفس اجتماع كلماته وقرب مخارج حروفها يحدثان ثقلًا ظاهرًا، مع أن كل كلمة منه لو أخذت وحدها ما كانت مستكرهة ولا ثقيلة.

ب ـ وخفيف الثِّقل نحو قول أبي تمّام:

[الطويل]

كريمٌ متى أمْدَحْهُ أمْدحْهُ وَالورَىٰ معي وَإذَا مَا لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحدِي[(١)]

الثاني: «ضعف التَّأليف» أن يكون الكلام جاريًا على خلاف ما اشتهر من قوانين النحو المعتبرة عند جُمهور العلماء ـ كوصل الضميرين، وتقديم غير الأعرف منهما على الأعرف مع أنه يجب الفصل في نحو هذا ـ كقول المتنبي:

[الكامل]

خَلَتِ البلادُ من الغَزالةِ لَيْلَهَا فأعاضَهَاكَ اللَّهُ كي لا تحزنا

وكالإضمار قبل ذكر مرجعه لفظًا وَرُتْبة وحُكمًا في غير أبوابه[(٢)] نحو:

[الطويل]

ولو أنّ مجدًا أخلدَ الدهرَ واحدًا من الناس أبقَىٰ مجدُه الدّهرَ مُطعِمًا[(٣)]

الثالث: (التّعقيد اللّفظي) هو كون الكلام خَفِيّ الدِّلالة على المعنى المراد به بحيث تكون الألفاظ غير مرتَّبة على وِفق ترتيب المعاني.

(وينشأ ذلك الخفاء من تقديم أو تأخير أو فصل بأجنبي بين الكلمات التي يجب

---

(١) أي هو كريم إذا مدحته وافقني الناس على مدحه ويمدحونه معي لإسداء إحسانه إليهم كإسدائه إليّ وإذا لمته لا يوافقني أحد على لومه لعدم وجود المتقضي للوم فيه ـ وآثر لمته على هجوته مع أنه مقابل المدح إشارة إلى أنه لا يستحق الهجو ولو فرط منه شيء فإنما يلام عليه فقط. والثقل في قوله «أمدحه» لما بين الحاء والهاء من التنافر للجمع بينهما وهما من حروف الحلق ـ كما ذكره الصاحب إسماعيل بن عباد.

(٢) المجموعة في قول بعضهم: [الرجز]

ومرجع الضمير قد تأخَّرا لفظًا ورتبة وهذا حصرا
في باب نعم وتنازع العمل ومضمر الشأن ورُبَّ والبدل
ومبتدا مفسر بالخبر وباب فاعل يخلف فا خبر

واعلم أن ضعف التأليف ناشىء من العدول عن المشهور إلى قول له صحة عند بعض أولي النظر ـ أما إذا خالف المجمع عليه كجر الفاعل ورفع المفعول ففاسد غير معتبر، والكلام في تركيب له صحة واعتبار

(٣) فإن الضمير في من (مجده) راجع إلى (مطعما) وهو متأخر في اللفظ كما يرى وفي الرتبة لأنه مفعول به، فالبيت غير فصيح، ومطعم أحد رؤساء المشركين وكان يدافع عن النبي ﷺ، والبيت لحسان بن ثابت.

ومعنى البيت أنه لو كان مجد الإنسان سببًا لخلوده في هذه الدنيا لكان مطعم بن عدي أولى الناس بالخلود لأنه حاز من المجد ما لم يحزه غيره.

أن تتجاور ويتَّصل بعضها ببعض)[١] وهو مذموم لأنه يُوجب اختلال المعنى واضطرابه ـ كقول المتنبي:

[الكامل]

جَفَخَتْ وهُمْ لاَ يَجْفَخُونَ بها بهِمْ شِيَمٌ على الحسَب الأَغَرِّ دَلاَئلُ[٢]

أصله ـ جفخت (افتخرت) بهم شِيَمُ دلائل على الحَسبِ الأغر وهم لا يجفخون بها.

الرابع: (التَّعقيد المعنوي) وهو كون التركيب خفِيّ الدّلالة على المعنى المراد[٣] لخلل في انتقال الذهن من المعنى الأصلي إلى المعنى المقصود بسبب إيراد اللّوازم البعيدة المفتقرة إلى وسائط كثيرة مع عدم ظهور القرائن الدَّالة على المقصود «بأن يكون فهمُ المعنى الثاني من الأول بعيدًا عن الفهم عُرفًا[٤]» كما في قول عبَّاس ابن الأحْنَفْ:

[الطويل]

سأطْلب بُعْدَ الدَّارِ عنكم لتِقْربُوا وتسكُبُ عيْنَاي الدُّموعَ لِتَجْمُدَا[٥]

جعلَ سكبَ الدُّموع كناية عمّا يلزم فراق الأحبّة من الحزن والكمد فأحسن وأصابَ في ذلك، ولكنّه أخطأ في جعل جمود العين كنايةً عمَّا يوجبه التَّلاَقي من الفرح والسُّرُور بقُرْب أحبّته، وهو خَفيٌّ وبعيدٌ[٦]. إذ لم يُعرفْ في كلام العرب عند

---

(١) وذلك كالفصل بأجنبي بين الموصوف والصفة، وبين البدل والمبدل منه وبين المبتدأ والخبر، وبين المستثنى والمستثنى منه مما يسبِّب ارتباكًا واضطرابًا شديدًا.

(٢) فلفظة جفخت مرة الطعم وإذا مرت على السمع اقشعر منها: ولو استعمل المتنبي عوضًا عن جفخت (فخرت) لاستقام البيت وحظي في استعماله بالأحسن.

(٣) بحيث يعمد المتكلم إلى التعبير عن معنى فيستعمل فيه كلمات في غير معانيها الحقيقية فيسيء اختيار الكلمات للمعنى الذي يريده فيضطرب التعبير ويلتبس الأمر على السامع نحو: نشر الملك ألسنة في المدينة، تريد جواسيسه والصواب نشر عيونه.

(٤) فالمناط في الصعوبة عدم الجريان على ما يتعاطاه أهل الذوق السليم لا كثرة الوسائل الحسية فإنها قد تكثر من غير صعوبة كما في قولهم: فلان كثير الرماد كناية عن المضياف فإن الوسائط كثيرة فيه ولكن لا تعقيد.

(٥) تسكب بالرفع عطف على أطلب، وبالنصب عطف على بُعد من قبيل عطف الفعل على اسم خالص من التأويل بالفعل. والمراد طلب استمرار السكب لا أصله لئلّا يلزم تحصيل الحاصل.

(٦) ووجه الخفاء والبعد: أن أصل معنى جمود العين جفافها من الدموع عند إرادتها منها، والانتقال منه إلى حصول السرور بعيد، لأنه يحتاج إلى وسائط بأن ينتقل من جمود العين إلى انتفاء الدمع منها حال إرادة البكاء، ومنه إلى انتفاء الدمع مطلقًا، ومنه إلى انتفاء الحزن ونحوه «فإن ذلك هو السبب غالبًا في الدمع» ومن انتفاء الحزن ونحوه إلى السرور ـ ولا يخفى أن الشاعر قد طوى =

الدُّعاء لشخص بالسّرُور أن يقال له جمُدت عينك، أو لازالت عينك جامدةً. بل المعروف عندهم أنَّ جمود العين إنَّما يكْنى به عن عدم البكاء حالة الحزن، كما في قول الخَنْساء:

[المتقارب]

أعَيْنَيّ جُودا وَلاَ تَجمُدا ... ألاَ تبكيانِ لِصَخْرِ النَّدَى

وقول أبي عطاءٍ يرثي ابن هُبيرة:

[الطويل]

ألا إنَّ عَيْنًا لم تجُد يَوْمَ وَاسِطٍ ... عليكَ بجارِي دمعَها لَجمودُ(١)

وهكذا كل الكِنايات التي تستعملها العرب لأغراض ويُغَيّرها المتكلم ويريد بها أغراضًا أخرى تُعتبر خروجًا عن سُنن العرب في استعمالاتهم ويُعد ذلك تعقيدًا في المعنى حيث لا يكون المراد بها واضحًا.

الخامس: (كثرة التّكرار)(٢) كون اللّفظ الواحد اسمًا كان أو فعلاً أو حرفًا، وسواء أكان الاسم ظاهرًا أو ضميرًا، تَعدّد مرَّة بعد أخرى بغير فائدة ـ كقوله:

[الرجز]

إنّي وأسطارٍ سُطِرنَ سَطْرا ... لَقائلٌ يا نصرُ نصرُ نصرَا

وكقول المتنبي:

[البسيط]

أقِلْ أنِلْ أقطعْ احملْ علِّ سلِّ أعِدْ ... زِدْ هَشِّ بَشِّ تفضّلْ أدنِ سُرَّ صِلِ

وكقول أبي تمَّام في المديح:

[البسيط]

كأنَّه في الاجتماع الرُّوح فيه لَهُ ... في كلِّ جارحةٍ من جسمِهِ رُوحُ

= وحذف جميع هذه الوسائط فأورث بطء الانتقال من المعنى الأصلي الحقيقي إلى المعنى المراد ـ وخالف حينئذٍ أسلوب البلغاء. فنشأ من ذلك التعقيد المعنوي. واعلم أن الشاعر أراد أن يرضى بالبعد والفراق، ويعود نفسه على مقاساة الأحزان والأشواق، ويتحمّل من أجلها حزنًا يفيض من عينيه الدموع ليتوصّل بذلك إلى وصل يدوم ومسرة لا تزول ـ على حد قول الشاعر: [الكامل]

ولطالما اخترتُ الفراق مغالطًا ... واحتلت في استثمار غرس ودادي

ورغبت عن ذكر الوصال لأنها ... تبني الأمور على خلاف مرادي

(١) أي لبخيلة بالدموع.

(٢) المراد بالكثرة ههنا ما فوق الوحدة ـ فذكر الشيء ثانيًا تكرار. وذكره ثالثًا كثرة، وإنما شرطت الكثرة لأن التكرار بلا كثرة لا يخل بالفصاحة ـ وإلا لقبح التوكيد اللفظي.

السادس: «تتابعُ الإضافات» كون الاسم مضافًا إِضافةً مُتداخلة غالبًا، كقول ابن بابك:

[الكامل]

حمامَةَ جَرعا حَومةِ الجَنْدَلِ اسجَعِي فأنتِ بمَرْأى مِنْ سُعادَ ومَسْمعِ[١]

تطبيق

بيِّن العيوب التي أخلَّتْ بفصاحة الكلام فيما يأتي:

[الطويل]

لك الخيرُ غيري رامَ من غيرك الغنى وغيري بغير اللَّازقيَّة لاحقُ

[السريع]

وأَزْوَرَّ مَنْ كانَ له زائرًا وعافَ عافي العُرف عِرْفانُه[٢]

[الكامل]

أنَّى يكونُ أبا البرايا آدمٌ وأبوكَ والثَّقَلاَنِ أنتَ محمدُ[٣]

[الطويل]

ومن جاهل بي وهُوَ يجهَلُ جهلَه ويَجهل عِلمي أنه بيَ جاهل

[الطويل]

وقَلْقلت بالهمّ الذي قَلْقَلَ الحَشا قَلاَقلَ همٌّ كلُّهنّ قَلاَقلُ

[الطويل]

وما مِثلُهُ في النَّاسِ إلَّا مُمَلَّكًا أبو أمّهِ حيٌّ أبوه يُقاربُه[٤]

---

(١) ففيه إضافة حمامة إلى جرعًا وهو تأنيث الأجرع وهو المكان ذو الحجارة السود أو مكان الرمل الذي لا ينبت شيئًا «وجرعًا» مضاف إلى «حومة» وهي معظم الشيء «وحومة» مضاف إلى «الجندل» بسكون النون وهو الحجر، والمراد به هنا مكان الحجارة، فهو بمعنى الجندل بفتح النون وكسر الدال - وقوله: [الكامل]

فأنت بمرأى من سعاد ومسمع

أي أنت بحيث تراك سعاد وتسمع كلامك - يقول: اسجعي يا حمامة أرض قفرة سبخة، فإن سعاد تراك وتسمعك.

(٢) العيب في تنافر الكلمات. والمعنى انحرف عنه من كان يزوره وكره طالب الإحسان معرفته.

(٣) يريد كيف يكون آدم أبا البرايا وأبوك محمد وأنت الثقلان أي الإنس والجن - يعني أنه قد جمع ما في الخليقة من الفضل والكمال - وقد فصل بين المبتدأ والخبر وهما أبوك محمد، وقدم الخبر على المبتدأ تقديمًا قد يدعو إلى اللّبس في قوله «والثقلان وأنت» على أنه بعد هذا التعسف لم يسلم كلامه من سخف وهذر.

(٤) يريد وما مثله في الناس حيّ «أحد» يقاربه «يشابهه» إلا مملكًا، أبو أمه أبوه - فقدَّم المستثنى على=

[الطويل]

إلى مَلَكٍ ما أُمُّهُ من مُحَارِبٍ أبوه ولا كانت كُلَيب تصاهره[(١)]

[الخفيف]

ليسَ إلَّاكَ يا عليُّ هُمَامٌ سَيْفُهُ دُونَ عَرْضِه مسلولُ[(٢)]

[الطويل]

كَسَا حِلمهُ ذا الحلمِ أثوابَ سَؤْدُد ورقَّى نداهُ ذا النَّدَى في ذرا المجد[(٣)]

[الكامل]

من يهتدِي في الفِعل ما لا يهتدي في القول حتَّى يَفعل الشعرَاءُ[(٤)]

[البسيط]

جزَى بنوه أبا الغَيْلاَن عنْ كِبر وحُسْن فعلٍ كما جُوزي سِنِّمارُ[(٥)]

[الطويل]

وما من فتًى كنَّا من النَّاس واحدًا به نَبتغي منهم عَدِيلًا نبادله[(٦)]

[البسيط]

لمَّا رأى طالبوه مُصعبًا ذَو عِرُوا وكاد لو ساعدَ المقدور ينتصر

نشر المِلكُ ألسنَته في المدينة مُرِيدًا جواسيسَه. أي والصَّواب «نشر الملك عيونه»[(٧)].

[المنسرح]

لو كنت كنتَ كتمتَ السِّر كنت كما كنَّا وكنتَ ولكنْ ذَاكَ لم يكنِ

= المستثنى منه ـ وفصل بين مثل وحي وهما بدل ومبدل منه وبين أبو أمه وأبوه وهما مبتدأ وخبر ـ وبين حي ويقاربه وهما نعت ومنعوت ولا يفصل بين كل منهما بأجنبي. والمعنى: ليس مثل إبراهيم في الناس أحد يشبهه في الفضل إلا ابن أخته هشام ـ فضمير أمه عائد على المملك وضمير أبوه عائد على إبراهيم الخال.

(١) يريد إلى ملك أبوه ليست أمه من محارب ـ أي ما أمه منهم.

(٢) فيه ضعف تأليف حيث وضع الضمير المتصل بعد إلَّا وحقه وضع المنفصل (إياك).

(٣) أي من كان يدينه الحلم والكرم حاز السيادة والرفعة ـ فالضمير في حلمه لذا الحلم المذكور بعد ـ فهو المتأخر لفظًا ومعنى وحكمًا ـ وكذا الضمير في نداه لذا الندى.

(٤) أي يهتدي في الفعل ما لا يهتديه الشعراء في القول حتى يفعل.

(٥) العيب فيه من جهة أن ضمير بنوه عائد على أبا الغيلان وهو متأخر لفظًا ورتبة لأنه مفعول ورتبته التأخر عن الفاعل: وسنمار رجل رومي بنى قصر الجورنق بظهر الكوفة للنعمان بن امرىء القيس ملك الحيرة فلما فرغ منه ألقاه النعمان من أعلاه فخرّ ميتًا لئلّا يبني لغيره مثله.

(٦) أي وما من فتى من الناس كنا نبتغي واحدًا منهم عديلًا نبادله به.

(٧) لأن الذي يتوصّل به إلى الأخبار عادة إنما هو العيون لا الألسنة.

[الطويل]

ألاَ لَيْتَ شِعْرِي هل يَلومنَّ قومُه زُهيرًا على ما جَرَّ من كلّ جانِب

[البسيط]

دانٍ بعيدٍ محبّ مبغض بَهجِ أغرّ حُلو مُمِر ليِّن شَرِس(١)

[البسيط]

لأنت أَسودُ في عيني من الظُّلَم(٢)

[الطويل]

وتُسْعِدني في غمْرَةٍ بعدَ غمرَةٍ سبوحٌ لها منها عليها شواهدُ(٣)

[الطويل]

وليست خراسانُ التي كان خالدٌ بها أسدٍ إذ كان سيفًا أميرها(٤)

[البسيط]

والشَّمسُ طالعةٌ ليستْ بكاسفةٍ تبكي عليك نُجومَ الليل والقمرا(٥)

[الكامل]

أرضٌ لها شَرَفٌ سوَاها مثلها لو كان مِثلك في سِواها يوجَدُ

[الكامل]

والمجدُ لا يَرْضى بأنْ ترضى بأن يرضى المعاشر منك إلّا بالرّضا

في رفع عَرْش الشّرْع مثلك يَشرعُ

[الطويل]

ومن لم يذُدْ عن حوْضهِ بِسلاحه يُهَدَّمُ ومنْ لم يَظْلم الناس يُظلِم(٦)

[المنسرح]

فأصبحتْ بعد خَطِّ بهجتها كأنَّ قفرًا رسومها قَلَما(٧)

[الوافر]

وما أرْضَى لمُقلتِهِ بحلم إذا انتَبهتْ توهَّمه ابتِشاكا(٨)

(١) فيه توالي الصفات وذلك مما يحدث في الكلام ثقلًا: وهذا مما يؤخذ على المتنبي.

(٢) والقياس أشد سوادًا لأنه لا يبنى أفعل التفضيل من الأفعال الدّالة على الألوان.

(٣) معنى البيت: وتسعدني بالفوز بالغنائم والنجاة في شدّة بعد شدّة فرس سبوح أي حسنة العدو لا تتعب راكبها فكأنها تسبح على الماء.

(٤) خالد وأسد علمان والتعقيد فيه نشأ من تقديم أسد الذي هو جزء مما أضيف إليه إذ.

(٥) أي والشمس ليست بكاسفة نجوم الليل وهي تبكي عليك والقمر يبكي عليك أيضًا ففيه تعقيد نشأ من الفصل بين الصفة التي هي كاسفة ومفعولها الذي هو نجوم بجملة «تبكي عليك».

(٦) فيه تعقيد معنوي. حيث كنى بالظلم عن المحافظة على الحقوق وهو بعيد.

(٧) أي فأصبحت بعد بهجتها قفرًا كأن قلمًا خطّ رسومها.

(٨) المقلة العين والحلم الرؤيا التي يراها النائم، وابتشاك الكذب. قال الصاحب لم يسمع الابتشاك =

فصاحة المتكلم

فصاحة المُتكلِّم عبارةٌ عن المَلَكة[١] التي يَقْتَدِر بها صاحبها على التَّعبير عن المقصُودِ بكلام فصيح في أيِّ غرضٍ كان.

فيكون قادرًا بصفة الفصاحة الثّابتة في نفسه على صياغة الكلام مُتمكّنًا من التّصرف في ضروبه. بصيرًا بالخوض في جهاته ومناحيه.

أسئلة على الفصاحة يطلب أجوبتها

ما هي الفصاحة لغة واصطلاحًا ـ ما الذي يوصف بالفصاحة ثم تخرج الكلمة عن كونها فصيحة.

ما هي فصاحة المفرد؟ ما هو تنافر الحروف، وإلى كم ينقسم؟ . . .

ما هي الغرابة وما هو موجبها؟ ما هي مخالفة القياس؟ ما هي الكراهة في السمع؟ ما هي فصاحة الكلام وبما تتحقق؟ . ـ ما هو تنافر الكلمات. وما هو موجبه وإلى كم يتنوَّع، ما هو ضعف التأليف؟ ـ ما هو التعقيد؟ . ـ وإلى كم ينقسم؟ ما هو كثرة التكرار؟ . ـ ما هو تتابع الإضافات؟ . ـ ما هي فصاحة المتكلم.

البلاغة

البلاغة في اللغة الوُصول والانْتِهاء، يقال: بلغ فلان مراده ـ إذا وصل إليه، وبلغ الركب المدينة ـ إذا انتهى إليها[٢] وَمبلَغ الشّيءِ منتهاه.

= في شعر قديم ولا محدث.

(١) أي كيفية وصفة من العلم راسخة وثابتة في نفس صاحبها يكون قادرًا بها على أن يعبّر عن كل ما قصده من أيّ نوع من المعاني كالمدح والذم والرثاء وغير ذلك بكلام فصيح. فإذًا المدار على الاقتدار المذكور سواء وجد التّعبير أو لم يوجد ـ وأنّ من قدر على تأليف كلام فصيح في نوع واحد من تلك المعاني لم يكن فصيحًا ـ وأنه لا يكون فصيحًا إلا إذا كان ذا صفة من العلم راسخة فيه وهي المسمّاة «بالملكة» يقتدر بها على أن يعبر عن أي معنى قصده بكلام فصيح أي خال عن الخلل في مادته وذلك بعدم تنافر كلماته» وعن الخلل في تأليفه «وذلك بعدم التعقيد اللفظي والمعنوي» فإن كان شاعرًا اتّسع أمامه ميدان القول في جميع فنون الشعر من نسيب وتشبيب ومديح وهجاء ووصف ورثاء وعتاب واعتذار وأشباه ذلك ـ وإن كان ناثراً حاك الرسائل المحلّاة والخطب الممتعة الموشاة في الوعظ والإرشاد والحفل والأعياد.

(٢) البلاغة هي تأدية المعنى الجليل واضحًا بعبارة صحيحة فصيحة لها في النفس أثر خلّاب، مع ملاءمة كل كلام للموطن الذي يقال فيه والأشخاص الذين يخاطبون والبلاغة مأخوذة من قولهم: =

وتقع في الاصطلاح وصفًا للكلام والمتكلم فقط دون الكلمة لعدم السّماع.

بلاغة الكلام

البلاغة في الكلام مطابقته لما يقتضيه حال الخطاب[1] مع فصاحة ألفاظه «مفردها ومركبها».

وحال الخطاب «ويسمى بالمقام» هو الأمر الحامل للمتكلِّم على أن يُوردَ عبارتَه على صورة مخصوصة.

= بلغت الغاية إذا انتهيت إليها، وبلغتها غيري والمبالغة في الشيء الانتهاء إلى غايته - فسمّيت البلاغة بلاغة لأنها تنهى عن المعنى إلى قلب السامع فيفهمه. وسمّيت البلغة بلغة لأنك تتبلّغ بها فتنتهي بك إلى ما فوقها - وهي البلاغ أيضًا. ويقال: الدنيا بلاغ، لأنها تؤديك إلى الآخرة والبلاغ أيضًا التبليغ - ومنه: هذا بلاغ للناس - أي تبليغ - ويقال بلغ الرجل بلاغة إذا صار بليغاً، كما يقال نبل الرجل نبالة إذا صار نبيلًا - قال أعرابي: البلغة التقرب من البعيد، والتبّاعد من الكلفة، والدلالة بقليل على كثير - وقال عبد الحميد بن يحيى - البلاغة تقرير المعنى في الإفهام من أقرب وجوه الكلام - وقال ابن المعتز البلاغة البلوغ إلى المعنى ولم يطل سفر الكلام - وقال العتابي - البلاغة مدّ الكلام بمعانيه إذا قصر، وحسن التأليف إذا طال - وقال عبد الله بن المقفع: البلاغة لمعان تجري في وجوه كثيرة - فمنها ما يكون في الإشارة. ومنها ما يكون في الحديث ومنها ما يكون في الاستماع. ومنها ما يكون في الاحتجاج. ومنها ما يكون شعرًا ومنها ما يكون ابتداء. ومنها ما يكون جوابًا. ومنها ما يكون سجعًا. ومنها ما يكون خطبًا، ومنها ما يكون رسائل. فعامة هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى أبلغ - والإيجاز هو البلاغة. فالسكوت يسمى بلاغًا مجازًا وهي في حالة لا ينجع فيها القول ولا ينفع فيها إقامة الحجج - إمّا عند جاهل لا يفهم الخطاب، أو عند وضيع لا يرهب الجواب، أو ظالم سليط يحكم بالهوى ولا يرتدع بكلمة التقوى - وإذا كان الكلام يعرى من الخير أو يجلب الشر فالسكوت أولى.

(١) مقتضى الحال هو ما يدعو إليه الأمر الواقع. أي ما يستلزمه مقام الكلام وأحوال المخاطب من التكلم على وجه مخصوص، ولن يطابق الحال إلا إذا كان وفق عقول المخاطبين، واعتبار طبقاتهم في البلاغة وقوتّهم في البيان والمنطق - فللسوقة كلام لا يصلح غيره في موضعه والغرض الذي يبنى له، ولسراة القوم والأمراء فن آخر لا يسدّ مسده سواه - من أجل ذلك كانت مراتب البلاغة متفاوتة بقدر تفاوت الاعتبارت والمقتضيات. وبقدر رعايتها يرتفع شأن الكلام في الحسن والقبح ويرتقي صعدًا إلى حيث تنقطع الأطماع، وتخور القوى، ويعجز الإنس والجن أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، وتلك مرتبة الإعجاز التي تخرس عندها ألسن الفصحاء لو تاقت إلى العبارة. وقد عرف بالخبر المتواتر أن القرآن الكريم نزل في أرقى العصور فصاحة، وأجملها بلاغة. ولكنه سدّ السّبل أمام العرب عندما صاح عليهم صيحة الحق فوجفت قلوبهم وخرست شقاشقهم مع طول التحدّي وشدّ النكير (وحقّت للكتاب العزيز الكلمة العليا).

والمُقْتَضَى «ويسمّى الاعتبارُ المناسب» هو الصُّورة المخصوصة التي تُورَدُ عليها العبارة.

مثلًا ـ المدح ـ حال يدعو لإيراد العبارة على صورة الإطناب.

وذكاء المخاطب ـ حال يدعو لإيرادها على صورة الإيجاز.

فكلٌّ من المدح والذَّكاء «حال ومقام».

وكلٌّ من الإطناب والإيجاز «مُقتضَى».

وإيراد الكلام على صورة الإطناب(١) أو الإيجاز «مُطابقة للمُقتضَى» وليست البلاغة(٢) إذًا مُنحصرة في إيجاد معان جليلة ولا في اختيار ألفاظ واضحة، بل هي تتناول مع هذين الأمرين أمرًا ثالثًا (هو إيجاد أساليب مُناسبة للتأليف بين تلك المعاني والألفاظ مما يكسبها قوة وجمالًا).

بلاغة المتكلم

بلاغة المتكلّم هي مَلَكة في النَّفس(٣) يقتدر صاحبها بها على تأليف كلام بليغ

(١) فإن اختلاف هذه الظروف يقتضي هيئة خصوصية من التعبير ـ ولكل مقام مقال. فعلى المتكلم ملاحظة المقام أو الحال وهو الأمر الذي يدعوه إلى أن يورد كلامه على صورة خاصة تشاكل غرضه وتلك الصورة الخاصة التي يورد عليها تسمى المقتضى ـ أو الاعتبار المناسب، فمثلًا الوعيد والزجر والتهديد مقام يقتضي كون الكلام المورد فيه فخمًا جزلًا. والبشارة بالوعد واستجلاب المودة مقام يتطلبه رقيق الكلام ولطيفه. والوعظ مقام يوجب البسط والإطناب. وكون المخاطب عاميًا سوقيًا أو أميرًا شريفًا يوجب الإتيان بما يناسب بيانه وعقله.

(٢) لأن البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنّه في نفسه كتمكنّه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن ـ وإنما جعلنا حسن المعرض وقبول الصورة شرطًا في البلاغة، لأن الكلام إذا كانت عبارته رثَّة ومعرضة خَلقًا لم يسم بليغًا وإن كان مفهوم المعنى مكشوف المغزى.

فعناصر البلاغة إذًا لفظ ومعنى، وتأليف للألفاظ يمنحها قوة وتأثيرًا وحسنًا، ثم دقّة في اختيار الكلمات والأساليب على حسب مواطن الكلام ومواقعه وموضوعاته وحال السامعين والنزعة النفسية التي تتملكهم وتسيطر على نفوسهم ـ فربّ كلمة حسنت في موطن ثم كانت مستكرهة في غيره ـ وربّ كلام كان في نفسه حسنًا خلابًا حتى إذا جاء في غير مكانه وسقط في غير مسقطه خرج عن حدّ البلاغة وكان غرضًا لسهام الناقدين.

(٣) أي أن الهيئة والصفة الراسخة الثابتة في نفس المتكلم يمكنه بواسطتها أن يعبرّ عن المعاني التي يريد إفادتها لغيره بعبارات بليغة أي مطابقة لحال الخطاب، فلو لم يكن ذا ملكة يقتدر بها على التّصرف في أغراض الكلام وفنونه بقول رائع، وبيان بديع بالغًا من مخاطبة كل ما يريد، لم يكن=

مطابق لمقتضَى الحال مع فصاحته في أيِّ معنى قَصَدَه.

وتلك غاية لن يصل إليها إلَّا من أحاط بأساليب العرب خُبرًا وعرف سُنن تخاطبُهم في مُنافراتهم، ومفاخراتهم، ومديحهم، وهجائهم، وشكرهم واعتذارهم، لِيَلبُس لكلّ حالة لبُوسها «ولكلّ مقام مقال».

تمرين

بيّن الحال ومقتضاه فيما يلي:

[الطويل]

١ ـ هنَاء مَحاذاك العزاء المقدَّما   فما عبس المحزونُ حتى تبسَّما

٢ ـ تقول للرَّاضي عن إثارة الحروب (إن الحرب مُتْلِفةٌ للعباد ذهَّابَةٌ بالطّارف والتّلاد).

٣ ـ يقول الناس إذا رأوا لصًّا أو حريقًا (لِصٌّ ـ حريق).

٤ ـ قال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾[(١)].

= بليغًا ـ وإذًا لا بدّ للبليغ أولًا من التفكير في المعاني التي تجيش في نفسه، وهذه يجب أن تكون صادقة ذات قيمة وقوة يظهر فيها أثر الابتكار وسلامة النظر وذوق تنسيق المعاني وحسن ترتيبها، فإذا تم له ذلك عمد إلى الألفاظ الواضحة المؤثرة الملائمة فألّف بينها تأليفًا يكسبها جمالًا وقوة.
فالبلاغة ليست في اللفظ وحده وليست في المعنى وحده ولكنها أثر لازم لسلامة تألّف هذين وحسن انسجامهما. وقد علم أن البلاغة أخص والفصاحة أعم لأنها مأخوذة في تعريف البلاغة ـ وأن البلاغة يتوقف حصولها على أمرين ـ الأول: الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المقصود، والثاني: تمييز الكلام الفصيح من غيره ـ لهذا كان للبلاغة درجات متفاوتة تعلو وتسفل في الكلام بنسبة ما تراعي فيه مقتضيات الحال وعلى مقدار جودة ما يستعمل فيه من الأساليب في التعبير والصور البيانية والمحسنات البديعية. وأعلى تلك الدرجات ما يقرب من حدّ الإعجاز، وأسفلها ما إذا غيرّ الكلام عنه إلى ما هو دون التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات العجم وإن كان صحيح الإعراب وبين هذين الطرفين مراتب عديدة.

(١) سورة الجن: الآية ١٠.

١ ـ الحال هنا هو تعجيل المسرة ـ والمقتضى هو تقديم الكلمة الدالة على السرور ـ «وهي كلمة هناء».

٢ ـ الحال هنا هو إنكار الضرر من الحرب ـ والمقتضى هو توكيد الكلام.

٣ ـ الحال هنا هو ضيق المقام ـ والمقتضى هو الاختصار بحذف المسند إليه والتقدير. هذا لص. هذا حريق.

٤ ـ الحال في ﴿أَشَرٌّ أُرِيدَ﴾ هو عدم نسبة الشر إلى الله تعالى. والمقتضى هو حذف الفاعل إذ الأصل: أشر أراده الله بمن في الأرض. =

٥ ـ يقول راثي البرامِكَة:

[الوافر]

أُصِـبْـتُ بِـسَــادةٍ كـانــوا عــيــونًـا   بِـهِـم نُـسْـقَـى إذا انـقـطـع الـغَـمـامُ

ملاحظات

١ ـ التّنافر يُعرف بِالذُّوق(١) السّليم؛ والحِسّ الصّادق.

٢ ـ مُخالفة القياس تُعرف بعلم الصّرف.

٣ ـ ضعف التّأليف والتّعقيد اللّفظي يُعرفان بعلم النحو.

٤ ـ الغَرابة تُعرف بكثرة الاطّلاع على كلام العرب، والإِحاطة بالمفردات المأنوسة.

٥ ـ التّعقيد المعنوي يُعرف بعلم البيان.

٦ ـ الأحوال ومُقتضياتها تُعرف بعلم المعاني.

٧ ـ خلوّ الكلام من أوجه التّحسين التي تكسوه رِقّة ولَطافةً بَعْدَ رِعَايَةِ مُطابقته تُعرف بعلم البديع.

فإذًا وجب على طالب البلاغة معرفةُ اللُّغة والصَّرف والنّحو والمعاني والبيان والبديع ـ مع كونه سليمَ الذّوق كثيرَ الاطّلاع على كلام العرب وصاحبَ خِبرة وافرة بكُتُبِ الأدب، ودِرَايةٍ تامّة بعاداتهم وأحوالهم واستظهَارٍ للجيّد الفاخر مِن نَثرهم

---

(١) الذوق في اللغة الحاسة يدرك بها طعم المأكل ـ وفي الاصطلاح قوة غريزية لها اختصاص بإدراك لطائف الكلام ومحاسنه الخفية، وتحصل بالمثابرة على الدرس، وممارسة كلام أئمة الكتاب، وتكراره على السمع، والتفطن لخواص معانيه وتراكيبه ـ وأيضًا تحصل بتنزيه العقل والقلب عما يفسد الآداب والأخلاق فإن ذلك أقوى أسباب سلامة الذوق.

واعلم أن الذوق السليم هو العمدة في معرفة حسن الكلمات وتمييز ما فيها من وجوه البشاعة ومظاهر الاستكراه لأن الألفاظ أصوات، فالذي يطرب لصوت البلبل وينفر من صوت البوم والغربان ينبو سمعه عن الكلمة إذا كانت غريبة متنافرة الحروف ـ ألا ترى أن كلمتي المزنة والدّيمة (للسحابة الممطرة) كلتاهما سهلة عذبة يسكن إليها السمع، بخلاف كلمة البعاق التي في معناهما فإنها قبيحة تصكّ الأذن وأمثال ذلك كثير في مفردات اللغة تستطيع أن تدركه بذوقك ـ وقد سبق شرح ذلك.

= والحال في ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الجن: ١٠] هو نسبة الخير إلى الله تعالى. والمقتضى إبقاء الفاعل من غير حذف.

٥ ـ الحال هنا هو الخوف من الرشيد ناكب البرامكة والمقتضى حذف الفاعل من أصبت.

ونظمهم، وعلم كامل بالنّابغين من شُعراء وخطباء وكتّاب مِمّنَ لَهم الأثر البيِّن في اللّغة، والفضلُ الأكبرُ على اللّسان العربي المبين.

واعلم أنه يحسن أيضًا بطالب البلاغة أن يَعْرِف شيئًا عن الأسلوب الذي هو المعنَى المَصُوغُ في ألفاظ مُؤَلّفة على صورة تكون أقربَ لنيلْ الغرض المقصود من الكلام، وأفعل في نفوس سامعيه، وأنواع الأساليب ثلاثة:

١ ـ **الأسلوب العلمي**: وهو أَهْدَأُ الأساليب، وأكثرها احتياجًا إلى المنطق السليم والفكرِ المستقيم، وأَبعدُها عن الخيال الشّعْرِيّ. لأنه يخاطب العقل ويناجي الفكر ويَشْرَح الحقائق العلمية التي لا تخلو من غموض وخفاء؛ وأَظْهَرُ ميزات هذا الأسلوبِ الوُضُوح. ولا بدّ أن يبدوَ فيه أثر القوّة والجمال، وقوّته في سطوع بيانه ورصانةِ حُججه؛ وجَمَاله في سُهُولةِ عبارته، وسلامةِ الذّوق في اختياره كافة، وحسنِ تقريره المعنى في الأفهام من أقرب وجوه الكلام.

فيجب أن يُعْنَى فيه باختيار الألفاظ الواضحة الصّريحة في معناه الخالية من الاشتراك، وأن تُؤلَّف هذه الألفاظُ في سُهولة وجلاء، حتى تكون ثوبًا شَفافًا للمعنى المقصود، وحتى لا تُصْبح مَثَارًا للظّنون ومجالًا للتّوجيه والتّأويل.

ويحسن التّنَحّي عن المجاز ومُحَسِّنات البديع في هذا الأسلوب، إلّا ما يجيء من ذلك عفوًا من غير أن يَمَسَّ أصلًا من أصوله أو ميزة من ميزاته أمّا التشبيه الذي يقصد به تقريب الحقائق إلى الأفهام وتوضيحها بذكر مماثلها، فهو في هذا الأسلوب حسن مقبول.

٢ ـ **الأسلوب الأدبي**: والجمال أَبرزُ صفاته، وأظهر مُمَيِّزاته، ومَنْشَأُ جماله ما فيه من خيال رائع، وتَصْوير دقيق، وتَلَمُّس لوجوه الشّبه البعيدة بين الأشياء، وإلباس المعنَوِيّ ثوبَ المحسوس، وإظهار المحسوس في صورة المعنويّ.

هَذَا ـ ومن السَّهْلِ عليك أن تَعْرِف أن الشّعر والنثر الفَنِّيَّ هما مَوْطِنا هذا الأسلوب، ففيهما يَزْدَهِر، وفيهما يبلغ قُنَّة الفَنِّ والجمال.

٣ ـ **الأسلوب الخطابي**: هنا تَبْرُزُ قوّة المعاني والألفاظ، وقوّة الحجّة والبرهان، وقوة العقل الخصيب، وهنا يتحدّث الخطيب إلى إرادة سامعيه لإثارة عزائمهم واستنهاض هممهم، ولجمال هذا الأسلوب ووضوحه شأن كبير في تأثيره ووصوله إلى قرارة النفوس، وممّا يزيد في تأثير هذا الأسلوب منزلة الخطيب في نفوس سامعيه وقوةُ عارضته، وسطوعُ حُجَّته ونَبَراتُ صوته، وحسنُ إلقائه، ومُحْكَمُ إشاراته.

ومن أظهر مُمّيزات هذا الأسلوب التكرارُ، واستعمال المترادفات وضربُ

الأمثال، واختيار الكلمات الجزلة ذات الرّنين، ويحسن فيه أن تتعاقب ضروب التّعبير من إخبار، إلى استفهام، إلى تعجب، إلى استنكار وأن تكون مواطن الوقف كافية شافية، ثم واضحًا قوّيًا، ويظنّ النّاشئون في صناعة الأدب أنه كلّما كثر المجاز، وكثرت التّشبيهات والأخيلة في هذا الأسلوب زاد حسنه، وهذا خطأٌ بيِّن، فإنه لا يذهب بجمال هذا الأسلوب أكثرُ من التكلّف، ولا يُفْسِده شَرٌّ مِنْ تَعَمُّد الصّناعة.

علم المعاني

١ ـ علم المعاني[1] أصولٌ وقَوَاعِدُ يُعرف بها كيفيّةُ مُطابقة الكلام لِمقتَضى الحال[2] بحيث يكون وِفقَ الغَرَضِ الذي سِيقَ له.

٢ ـ وموضوعه ـ اللَّفظُ العربي، من حيثُ إفادتُه المَعاني الثَّواني[3] التي هي

---

(١) قال بعض العلماء ـ المعاني المتصورة في عقول الناس المتصلة بخواطرهم، خفية بعيدة لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجة أخيه، ولا مراد شريكه، ولا المعاون له على أمره. إلّا بالتّعابير التي تقُرِّبها من الفهم، وتجعل الخفي منها ظاهرًا والبعيد قريبًا فهي تخلص الملتبس، وتحلّ المنعقد، وتجعل المهمل مقيدًا، والمقيد مطلقًا، والمجهول معروفًا، والوحشي مألوفًا. وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة يكون ظهور المعنى، والعاقل يكسو المعاني في قلبه، ثم يبديها بألفاظ عرائس في أحسن زينة، فينال المجد والفخار، ويلحظ بعين العظمة والاعتبار. والجاهل يستعجل في إظهار المعاني قبل العناية بتزيين معارضها واستكمال محاسنها فيكون بالذم موصوفًا. وبالنقص معروفًا ويسقط من أعين السامعين، ولا يدرج في سلك العارفين واعلم أن الأصل في اللفظ أن يحمل على ظاهر معناه، ومن يذهب إلى التأويل يفتقر إلى دليل كما جاء في القرآن ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝﴾ [المدثر: ٤] فإن الظاهر من لفظ الثياب هو ما يلبس ومن تأوّل ذهب إلى أن المراد هو القلب لا الملبوس. وهذا لا بدّ له من دليل لأنه عدول عن ظاهر اللفظ.

واعلم أنه يجب صناعة على مُعاني المَعاني أن يرجّح المعاني بحيث يرجح بين حقيقة ومجاز ـ أو بين حقيقتين أو مجازين.

(٢) الحال هو الأمر الداعي للمتكلم إلى إيراد خصوصية في الكلام، وتلك الخصوصية هي مقتضى الحال ـ مثلًا إن كان بينك وبين مخاطبك عهد بشيء ـ فالعهد حال يقتضي إيراد الكلام معرّفًا والتَّعريف هو مقتضى الحال. فالحال هو ما بعد لام التعليل المذكورة بعد كل خصوصية كقولك في الذكر: ذكر لكون ذكره الأصل وفي الحذف: حُذف للاستغناء عنه ـ وهلم جرا.

(٣) أي والمعاني الأول ما يفهم من اللفظ بحسب التركيب وهو أصل المعنى مع زيادة الخصوصيات من التعريف والتنكير. قال بعض أهل المعاني الكلام الذي يوصف بالبلاغة هو الذي يدل بلفظه على معناه اللغوي أو العرفي أو الشرعي ـ ثم نجد لذلك المعنى دلالة ثانية على المعنى المقصود الذي يريد المتكلم إثباته أو نفيه ـ فهناك ألفاظ ومعان أول ـ ومعان ثوان ـ فالمعاني الأول هي مدلولات التراكيب والألفاظ التي تسّمى في علم النحو أصل المعنى ـ والمعاني الثواني الأغراض التي يساق لها الكلام ولذا قيل مقتضى الحال هو المعنى الثاني كرةَ الإنكار ودفع الشك ـ مثلًا إذا قلنا إن زيدًا قائم، فالمعنى الأول هو القيام المؤكد، والمعنى الثاني رد الإنكار ودفع الشك بالتوكيد وهلم جرا ـ=

الأغراضُ المقصودةُ لِلمُتكلّم من جعل الكلامِ مُشتملاً على تلك اللّطائف والخُصوصيّات التي بها يُطابقُ مقتضَى الحال.

٣ ـ وفائدته: أ ـ إعجازُ القرآن الكريم من جهة مَا خصّه الله به من جَودة السّبك وحُسن الوصف وبَراعةِ التّراكيب ولُطف الإِيجاز وما اشتمل عليه من سُهولة التركيب، وجزالةِ كلماته، وعُذوبةِ ألفاظه وسلامتِها إلى غير ذلك من محاسنه التي أقعدت العربَ عن مُناهضته، وحارت عقولُهم أمام فصاحته وبلاغته.

ب ـ والوقوفُ على أسرار البلاغة والفصاحة في مَنثور كلام العرب ومنظومه كي تحتذي حذوه، وتنسُجَ على مِنواله، وتَفرقَ بين جيّد الكلام ورَديئِهِ

٤ ـ وواضعه ـ الشيخ عبد القاهر الجُرجانِي المُتوفَّى سنة ٤٧١ هـ(١).

= والذي يدل على المعاني خمسة أشياء اللفظ والإشارة والكتابة والعُقَد والحال.

(١) اعلم أنه لمّا احتدم الجدل صدر الدولة العباسية إبّان زهو اللغة وعزّها، في بيان وجوه إعجاز القرآن. وتعددت نزعات العلماء في ذلك.

ولما قامت سوق نافقة للمناظرة بين أئمة اللغة والنحو أنصار الشعر القديم الذين جنحوا إلى المحافظة على أساليب العرب ورأوا الخير كله في الوقوف عند أوضاعهم.

وبين الأدباء والشعراء أنصار الشعر الحديث الذين لم يحفلوا بما درج عليه أسلافهم، وآمنوا بأن للحضارة التي غذوا بلبانها آثارًا غدوا معها في حلٍ من كل قديم ولما شجر الخلاف بين أساطين الأدب في بيان جيد الكلام ورديئه.

دعت هذه البواعث ولفتت أنظار العلماء إلى وضع قواعد وضوابط يتحاكم إليها الباحثون، وتكون دستورًا للناظرين في آداب العرب (المنثور منها والمنظوم).

ولا نعلم أحدًا سبق أبا عبيد بن المثنى المتوفى سنة ٢١١ هـ تلميذ الخليل بن أحمد في تدوين كتاب في علم البيان يسمى (مجاز القرآن) كما لا نعرف بالضبط أول من ألف في علم المعاني ـ وإنما أثر فيه نبذ عن بعض البلغاء كالجاحظ في كتابه «إعجاز القرآن» وابن قُتيبة في كتابه «الشعر والشعراء» ـ والمبرد في كتابه «الكامل».

ولكن نعلم أن أول من ألف في البديع «الخليفة عبد الله بن المعتز بن المتوكل العباسي المتوفي سنة ٢٩٦ هـ».

وما زالت هذه العلوم تسير في طريق النموّ حتى نزل في الميدان الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمٰن الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ فشمّر عن ساعد الجد. ودوّن كتابيه ـ أسرار البلاغة ـ ودلائل الإعجاز ـ وقرن فيهما بين العلم والعمل، ثم جاء إثرَ عبد القاهر ـ جار الله الزمخشري، فكشف في تفسيره «الكشّاف» عن وجوه إعجاز القرآن، وأسرار بلاغته، وأوضح ما فيه من الخصائص والمزايا، وقد أبان خلالها كثيرًا من قواعد هذه الفنون ـ ثم نهض بعده أبو يعقوب يوسف السكاكي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ فجمع في القسم الثالث من كتابه «المفتاح» ما لا مزيد عليه. وجاء بعده علماء القرن السابع فما بعده يختصرون ويصنعون مؤلفاتهم حسب ما تسمح به =

٥ ـ واستمداده ـ من الكتاب الشَّريف والحديث النَّبوي وكلام العرب واعلم أنَّ المعَانيَ جمعُ معنًى؛ وهو في اللّغة المقصود، وفي اصطلاح البيانيين ـ هو التّعبير باللّفظِ عمّا يتصوَّره الذّهن، أو هو الصُّورة الذِّهْنِيّة من حيثُ تُقصَدُ مِن اللّفظ.

وهو يَترَكّبُ منْ شيئين: مُسندٍ ـ ويُسمّى محكومًا به ومُسندٍ إليه ـ ويُسمّى محكومًا عليه.

وأمّا النِّسبة التي بينهما فَتُدْعَى «إسْنادًا».

وما زاد على ذلك «غيرَ المُضاف إليه والصلة» فهو قَيدٌ[١].

والإسناد انضمام كلمةٍ[٢] «المُسند» إلى أخرى[٣] «المُسند إليه» على وجهٍ يُفيد

= مناهج التعليم للمتعلمين في كل قطر من الأقطار حتى غدت أشبه بالمعميات والألغاز.

(١) أي وما زاد على ذلك من مفعول وحال وتمييز ونحوها فهو قيد زائد على تكوينها (إلا صلة الموصول والمضاف إليه) واعلم أن الجمل ليست في مستوى واحد عند أهل المعاني بل منها جمل رئيسية، وجمل غير رئيسية. والأولى هي المستقلة التي لم تكن قيدًا في غيرها، والثانية ما كانت قيدًا إعرابيًا في غيرها وليست مستقلة بنفسها.

والقيود هي أدوات الشرط والنفي والتوابع والمفاعيل والحال والتمييز وكان وأخواتها وإن وأخواتها وظن وأخواتها كما سيأتي.

(٢) أي وما يجري مجراها.

(٣) أي أو ما يجري مجراها ـ كما سيأتي.

تنبيه: الإسناد مطلقًا قسمان حقيقة عقلية، ومجاز عقلي ـ فالحقيقة العقلية هي إسناد الفعل أو ما في معناه إلى ما وضع له عند المتكلم في الظاهر من حاله نحو: تجري الأمور بما لا تشتهي البشر. وأنبت الله النبات. والمجاز العقلي (ويسمى إسنادًا مجازيًا ومجازًا حكيمًا. ومجازًا في الإسناد) هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد إلى ما هو له نحو ـ تجري الرياح بما لا تشتهي السفن ـ وله علاقات شتى ـ فيلائم الفاعل لوقوعه منه نحو سيلٌ مفعم بفتح العين أي مملوء فإسناد مفعم وهو مبني للمفعول إلى ضمير السيل وهو فاعل مجاز عقلي ملابسته الفاعلية ـ ويلائم المفعول به لوقوعه عليه نحو ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١، القارعة: ٧]: فإسناد راضية وهو مبني للفاعل إلى ضمير العيشة وهي مفعول به مجاز عقلي ملابسته المفعولية ـ ويلائم الزمان والمكان لوقوعه فيهما نحو صام نهاره. وسال الميزاب. ونهار صائم. ونهر جار. ويلائم المصدر نحو جدّ جدّه. ويلائم السبب نحو بنى الأمير المدينة ـ وكما يقع المجاز العقلي في الإسناد يقع في النسبة الإضافية كمكر الليل. وجري الأنهار. وشقاق بَيْنِهمَا وغراب البين (على زعم العرب) وفي النسبة الإيقاعية نحو ﴿وَأَطِيعُونِ ۝ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ۝﴾ [الشعراء: ١٥٠ ـ ١٥١]، وأجريت النهر ـ وكما يكون في الإثبات يكون في النفي نحو ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦]، وما نام ليلى على معنى خسرت تجارتهم، وسهر ليلى قصدًا إلى إثبات النفي لا نفي الإثبات ـ ويكون أيضًا في الإنشاء كما سبقت الإشارة إليه نحو أصلاتك تأمرك ياهامان ابن لي=

الحكم بإحداهما على الأخرى ثبوتًا أو نفيًا.

= صرحًا، وليصم نهارك، وليجد جدك وليت النهر جار وما أشبه ذلك.

وأقسامه باعتبار حقيقة طرفيه ومجازيتهما أربعة لأنهما إما حقيقتان لغويتان نحو أنبت الربيع البقل - أو مجازان لغويان نحو أحيا الأرض شباب الزمان، إذ المراد بإحياء الأرض تهييج القوى النّامية فيها وإحداث نضارتها بأنواع الرياحين، والإحياء في الحقيقة إعطاء الحياة وهي صفة تقتضي الحسّ والحركة وكذا المراد بشباب الزمان زمان ازدياد قواها النامية، وهو في الحقيقة عبارة عن كون الحيوان في زمان تكون حرارته الغريزية مشبوبة أي قوية مشتعلة - أو المسند حقيقة لغوية والمسند إليه مجازي لغوي نحو أنبت البقل شباب الزمان - أو المسند إليه حقيقة لغوية والمسند مجاز لغوي نحو أحيا الأرض الربيع، ووقوع المجاز العقلي في القرآن كثير نحو ما تقدم ونحو ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢]، وينزع عنهما لباسهما، ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾﴾ [الزلزلة: ٢]، ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾ [المزمل: ١٧].

ولا بد له من قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي لأن الفهم لولا القرينة يتبادر إلى الحقيقة - والقرينة إما لفظية وإما معنوية فاللفظية كقولك هزم الأمير الجند وهو في قصره والمعنوية كاستحالة قيام المسند بالمسند إليه المذكور معه عقلًا بمعنى أنه لو خلى العقل ونفسه عدّ ذلك القيام محالًا كقولك محبتك جاءت بي إليك، لاستحالة قيام المجيء بالمحبة عقلًا وكاستحالة ما ذكر عادة نحو هزم الأمير الجند لاستحالة قيام هزم الجند بالأمير وحده عادة وإن أمكن عقلًا وكأن يصدر من الموحد نحو: [المتقارب]

أشاب الصغيرَ وأفنى الكبيـ ... ـر كرُّ الغداة ومرُّ العشيّ

فإن صدور ذلك من الموحِّد قرينة معنوية على إسناد أشاب وأفنى إلى كر الغداة ومر العشي مجاز، ثم هذا غير داخل في الاستحالة إذ قد ذهب إليه كثير من المبطلين، ولا يجب أن يكون في المجاز العقلي للفعل فاعل يعرف الإسناد إليه حقيقة بل تارة يكون له فاعل يعرف إسناده إليه حقيقة كما تقدم وتارة لا - نحو قوله: [مجزوء الوافر]

يزيدك وجهه حسنا ... إذا ما زدته نظرا

فإن إسناد الزيادة للوجه مجاز عقلي وليس لها - أي الزيادة فاعل يكون الإسناد إليه معروفًا حقيقة، ومثله سرتني رؤيتك وأقدمني بلدك حق لي عليك فهذه الأمثلة ونحوها من المجاز العقلي الذي لا فاعل له يعرف الإسناد إليه حقيقة كما قال الشيخ عبد القاهر - وقيل لا بد له من فاعل يعرف الإسناد إليه حقيقة، ومعرفته إما ظاهرة نحو ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦] أي فما ربحوا في تجارتهم وإما خفية كهذه الأمثلة والفاعل الله تعالى، هذا - وقد أنكر السكاكي المجاز العقلي ذاهبًا إلى أن أمثلته السابقة ونحوها منتظمة في سلك الاستعارة بالكناية فنحو أنبت الربيع البقل يجعل الربيع استعارة عن الفاعل الحقيقي بواسطة المبالغة في التشبيه ويجعل نسبة الإنبات إليه قرينة الاستعارة - وسيأتي مذهبه إن شاء الله تعالى في فن البيان عند الكلام على الاستعارة بالكناية.

تنبيه: ذكر بعض المؤلفين مبحث المجاز العقلي والحقيقة العقلية في أحوال الإسناد من علم المعاني وبعضهم ذكرهما في فن البيان عند تقسيم اللفظ إلى حقيقة ومجاز ولكل وجهة.

نحو: الله واحدٌ لا شريك له.

والمسند هو:

١ ـ خبر المبتدأ ـ نحو «قادرٌ» من قولك ـ اللّهُ قادرٌ.

٢ ـ والفعل التام ـ نحو «حضر» من قولك ـ حضر الأَمير.

٣ ـ واسم الفعل ـ نحو «هيهاتَ ـ وَوَي ـ وآمينَ».

٤ ـ والمبتدأ الوصفُ المُستغنِي عن الخبر بمرفوعه ـ نحو «عارف» من قولك ـ أعارفٌ أخوك قدرَ الأنصاف.

٥ ـ وأخبار النّواسخ «كان ونظائرها ـ وإِنّ ونظائرها».

٦ ـ والمفعول الثاني لظنّ وأخواتها.

٧ ـ والمفعول الثالث لأَرَى وأخواتها.

٨ ـ والمصدر النّائب عن فعل الأمر نحو سعيًا في الخير.

والمسند إليه ـ هو:

١ ـ الفاعلُ «للفعل التامّ أو شبهه» نحو «فؤاد ـ وأبوه» من قولك حضر فؤادٌ العالمُ أبوه.

٢ ـ وأسماء النواسخ ـ نحو «المطرُ» من قولك ـ كان المطر غزيرًا ـ أو إِنَّ ـ نحو: إِنّ المطرَ غزيرٌ.

٣ ـ والمبتدأ الذي له خبر ـ نحو «العلم» من قولك العلم نافع.

٤ ـ والمفعول الأَول لظنّ وأخواتها.

٥ ـ والمفعول الثاني لأَرى وأخواتها.

٦ ـ ونائب الفاعل كقوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾[1].

ثم إنَّ المسند والمسند إليه يتنوَّعان إلى أربعة أقسام:

١ ـ إمَّا أن يكونا كلمتين حقيقة ـ كما مُثّل.

٢ ـ وإمَّا أن يكونا كلمتين حُكمًا ـ نحو «لاَ إله إلاّ اللّهُ يَنْجُو قائلها مِن النّار».

٣ ـ وإمَّا أن يكونَ المسند إليه كلمة حكما، والمسند كلمة حقيقة ـ نحو «تَسْمَعُ بالمُعَيْدِيّ خيرٌ مِنْ أنْ تَرَاهُ».

---

(١) سورة الكهف: الآية ٤٩، وسورة الزمر: الآية ٦٩.

٤ ـ وإمّا بالعكس ـ نحو «الأميرُ قرُبَ قُدُومه»[١].

وينحصر علم المعاني في ثمانية أبواب وخاتمة.

---

(١) ففي الأول يؤوّل ـ سماعك بالمعيدي خير ـ وفي الثاني ـ الأمير قريب قدومه، وفي نحو لا إله إلا الله ينجو قائلها من النار ـ عدم شريك للمولى نجاة من النار.

الباب الأول

في تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء

«وفي هذا الباب ثلاثة مباحث»

المبحث الأول
في حقيقة الخبر

الخبرُ هو ما يَحتملُ الصِّدْقَ والكذبَ لذاتهِ(١).

وإن شئت فقل: الخبرُ هو ما يتحقّق مدلولهُ في الخارج بدون النّطق به نحو: العلم نافعٌ، فقد أثبتْنَا صفة النّفع للعلم، وتلكَ الصِّفة ثابتة له (سواء تلّفظتَ بالجملة السابقة أمْ لم تتلفّظ) لأنّ نفعَ العلم أمرٌ حاصلٌ في الحقيقة والواقع، وإنما أنت تحكي ما اتّفق عليه النّاس قاطبةً، وقضَتْ به الشّرَائعُ وهدتْ إليه العقولُ بدون نظر إلى إثبات جديد.

والمراد بصدق الخبر مُطابقته للواقع ونفس الأمر.

والمراد بكذبه عدم مطابقته له.

فجملة: العلم نافع ـ إن كانت نسبتُه الكلاميَّة (وهي ثبوت النفع للعلم) المفهومة من تلك الجملة مُطابقةً للنسبة الخارجيّة ـ أي مُوافقة لِمَا في الخارج والواقع «فصدق» وإلّا «فكذب» نحو «الجهل نافع» فنسبته الكلامية ليست مُطابقة ومُوافقة للنّسبة الخارجيّة(٢).

(١) أي بقطع النظر عن خصوص المخبر. أو خصوص الخبر ـ وإنّما ينظر في احتمال الصدق والكذب إلى الكلام نفسه لا إلى قائله: وذلك لتدخل الأخبار الواجبة الصدق أخبار الله تعالى. كأخبار رسله. والبديهيات المألوفة ـ نحو السماء فوقنا ـ والنظريات المتعين صدقها كإثبات العلم والقدرة للمولى سبحانه وتعالى ولتدخل الأخبار الواجبة الكذب كأخبار المتنبئين في دعوى النبوة.

(٢) فمطابقة النسبة الكلامية للنسبة الخارجية ثبوتًا ونفيًا صدق ـ وعدم المطابقة كذب ـ فالنسبة التي دل عليها الخبر وفهمت منه تسمى كلامية. والنسبة التي تعرف من الخارج بقطع النظر عن الخبر تسمى خارجية ـ فحينئذٍ هناك نسبتان نسبة تفهم من الخبر. ويدل عليها الكلام وتسمى النسبة الكلامية ـ ونسبة أخرى تعرف من الخارج بقطع النظر عن الخبر وتسمى النسبة الخارجية.

الأغراض التي من أجلها يلقى الخبر

الأصلُ في الخبر أن يُلقَىٰ لأحد غرضين:

أ ـ إمّا إفادة المُخاطب الحُكم الذي تَضَمّنته الجملة إذا كان جاهلًا له ويُسمَّى ذلك الحكم «فائدةَ الخبر» نحو «الدِّينُ الْمُعَامَلَةُ».

ب ـ وإمّا إفادة المخاطب أنَّ المتكلمَ عالمٌ أيضًا بالحكم الذي يعلمه المخاطب كما تقولُ لتلميذٍ أخفى عليك نجاحه في الامتحان ـ وعلمتَه من طريق آخر: أنتَ نجحت في الامتحان.

ويُسمَّى ذلك الحكم «لازم الفائدة».

وقد يُلَقى الخبرُ على خلاف الأصل لأغراض أخرى تُستَفَادُ من سِياق الكلام، أهمُّها:

١ ـ الاسترحامُ والاستعطافُ، نحو ـ إِني فقيرٌ إلى عفو رَبِّي.

٢ ـ وتحريكُ الهِمَّة إلى ما يلزمُ تحصيلهُ، نحو: ليس سَوَاءً عالمٌ وجهُولُ.

٣ ـ وإظْهار الضّعف والخشوع، نحو ـ ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾(١).

٤ ـ وإظهار التحسُّر والتَّحزّن نحو ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾(٢).

٥ ـ وإظهار الفَرح بمقبِل ـ والشّماتةِ بِمُدْبر، نحو ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾(٣).

٦ ـ والتّوبيخ، كقولِكَ للعاثِر: الشَّمس طالعةٌ.

٧ ـ التّذكير بما بين المراتب من التّفاوُت ـ نحو ـ لا يَستوي كسلان ونشيط.

المبحث الثاني

في كيفيَّة إلقاء المتكلم الخبر للمُخاطب

حيث كان الغرضُ من الكلام الإِفصاحَ والإِظهارَ يجب أن يكونَ المتكلم مع المخاطب كالطّبيب مع المريض يُشخِّص حالتَه، ويُعطيه ما يناسبها فحقّ الكلام أن يكون بقدر الحاجة، لا زائدًا عنها، لِئلّا يكونَ عبثًا ولا ناقصًا عنها، لئلّا يُخِلّ بالغرض، وهو (الإِفصاح والبيان)(٤) والملقى إليه الكلام (وهو المُخاطب) له ثلاث حالات:

---

(١) سورة مريم: الآية ٤.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٣٦.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٨١.

(٤) كتب معاوية إلى أحد عماله فقال لا ينبغي لنا أن نسوس الناس سياسة واحدة، لا نلين جميعًا =

١ ـ إمّا أن يكونَ خاليَ الذهنِ من الحُكم ـ وفي هذه الحال لا يؤكد له الكلام لعدم الحاجة إلى التّوكيد، نحو أخوك قائم، وما أبوك حاضر.

(ويُسمَّى هذا الضرب من الخبر ابتدائيًا).

٢ ـ وإمّا أن يكونَ مُتردّدًا في الحكم طالبًا لمعرفته، فيُستحسنُ تأكيد[١] الكلام الملقَى إليه تقوية للحكم ليتمكنَ من نفسه، ويَطرحَ الخِلاف ورَاء ظهره، نحو: إنّ الأمير منتصرٌ.

(ويسمَى هذا الضرب من الخبر طلبِيًّا).

٣ ـ وإمّا أن يكونَ منكِرًا للحكم الذي يُرَاد إلقاؤه إليه، مُعتقدًا خلافَه فيجب تأكيدُ الكلام له بمؤكد أو مؤكدين أو أكثرَ؛ على حسب إنكاره قوّة وضعفًا نحو: إنّ أخاك قادم ـ أو إنه لقادم ـ أو والله إنه لقادم؛ أو لعمري إنَّ الحقَّ يعلُو ولا يُعلَى عليه.

(ويُسمَّى هذا الضربُ من الخبر إنكاريًّا).

واعلم أنه كما يكون التأكيد في الإثبات يكون في النفْي أيضًا.

تنبيهات

الأول: لتوكيد الخبر أدواتٌ كثيرة، وأشهرها إنّ؛ ولامُ الابتداء وأحرفُ التّنبيه؛ والقسمْ؛ ونونا التوكيد، والحروف الزّائدة (كتفعّل واستفعل) والتكريرُ؛ وقد؛ وأمّا الشرطية، وإنّما؛ وإسمية الجملة. وضميرُ الفصل؛ وتقديم الفاعل المعنوي ـ نحو الأمير حضر.

الثاني: يُسمَّى إخراجُ الكلام على الأَضربُ الثّلاثة السّابقة إخراجًا على مُقتضَى ظاهر الحال[٢].

= فيمرح الناس في المعصية ولا نشتدّ جميعًا فنحمل الناس على المهالك، ولكن تكون أنت للشّدة والغلظة، وأكون أنا للرأفة والرحمة.

وكتب أبو العباس السفاح فقال: لأعملنّ اللّين حتى لا ينفع إلا الشدة ولاكرمنّ الخاصة ما أمنتهم على العامة، ولأغمدنّ سيفي حتى يسلّه الحق، ولأعطينّ حتى لا أرى للعطية موضعًا.

(١) المراد بالتأكيد في هذا الباب تأكيد الحكم، واعلم أنَّ الخطاب الجملة الإسمية وحدها آكد من الخطاب الجملة الفعلية ـ فإذا أريد مجرد الإخبار أتي بالفعلية ـ وأما إن أريد التأكيد فبالإسمية وحدها ـ أو بها مع إنّ ـ أو بهما وباللام أو بالثلاثة والقسم.

(٢) اعلم أن الحال هو الأمر الداعي إلى إيراد الكلام مُكيفًا بكيفية ما سواء أكان ذلك الأمر الداعي ثابتًا في الواقع: أو كان ثبوته بالنظر لما عند المتكلم كتنزيل المخاطب غير السائل منزلة السائل ـ=

وقد تَقتضِي الأحوالُ العُدولَ عن مُقتضَى الظّاهر ويُورَدُ الكَلامُ على خلافه لاعتباراتٍ يلحظُها المُتكلّم.

١ ـ منها تنزيلُ العَالِم (بفائدة الخبر، أو لازِمها، أو بهما معًا) منزلةَ الجاهل لعدم جَريهِ على مُوجِبِ علمه. فيُلقى إليه الخبرُ كما يُلَقى إلى الجاهل، كقولك لِمَن يَعلمَ وجوبَ الصّلاة وهو لا يُصلّي «الصّلاة واجبة» توبيخًا له على عدم عمله بمُقتضى علمه، وكقولك، لمن يُؤذي أباه ـ هذا أبوك.

٢ ـ ومنها تنزيل خَالي الذّهن منزلة السّائل المُتردّدِ إذا تقدّم في الكلام ما يشير إلى حُكم الخبر كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾[1] فمدخول إنّ مؤكد لمضمون ما تقدّمه لإشعاره بالتّردّد فيما تضمّنه مدخولها ـ وكقوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾[2].

لَمّا أمر المولى «نوحًا» أوّلًا بصُنع الفُلك، ونهاه ثانيًا عن مُخاطبته بالشّفاعة فيهم، صار مع كونه غيرَ سائل في مقام السّائل المُتردّد[3].

هل حكمَ الله عليهم بالإغراق؟ فأُجيبَ بقوله: «إنّهم مُغْرَقُون».

٣ ـ ومنها تنزيل الخالي منزلة المُنكرِ. إذا ظهر عليه شيء من أمارات الإنكار، كقول حَجَل بن نَضْلَة القَيْسِي «مِنْ أولاد عَمّ شَقيق»:

=

وظاهر الحال هو الأمر الداعي إلى إيراد الكلام مكيفًا بكيفية مخصوصة. بشرط أن يكون ذلك الأمر الداعي ثابتًا في الواقع ـ فكل كيفية اقتضاها ظاهر الحال اقتضاها الحال، ـ وليس كل كيفية اقتضاها الحال اقتضاها ظاهره.

(١) سورة يوسف: الآية ٥٣.

(٢) سورة هود: الآية ٣٧.

(٣) أي فصار المقام مظنة للتردد والطلب ـ وإن لم يتردد المخاطب ولم يطلب بالفعل وذلك لأنه تكاد نفس الذكي إذا قُدّم لها ما يشير إلى جنس الخبر أن تتردد في شخص الخبر وتطلبه من حيث إنها تعلم أن الجنس لا يوجد إلا في فرد من أفراده فيكون ناظرًا إليه بخصوصه كأنه متردد فيه كنظر السائل ـ فقوله ولا تخاطبني يشير إلى جنس الخبر وإنه عذاب ـ وقوله إنهم مغرقون ـ يشير إلى خصوص الخبر الذي أشير إليه ضمنًا في قوله ولا تخاطبني ـ وكقول الشاعر: [الوافر]

ترفّق أيها المولى عليهم ... فإن الرفق بالجاني عتاب

فالأصل أن يورد الخبر هنا خاليًا من التوكيد لأن المخاطب خالي الذهن من الحكم ولكن ما تقدم في الكلام ما يشعر بنوع الحكم أصبح المخاطب متشوقًا لمعرفته فنزّل السائل المتردد واستحسن إلقاء الكلام إليه مؤكدًا جريًا على خلاف مقتضى الظاهر.

[السريع]

جـاء شَـقِـيـقٌ عـارِضًـا رُمـحَـهُ إنْ بَـنِـي عَـمِّـك فِـيـهِـم رِمَـاحُ

(شقيقٌ) رَجلٌ لا يُنكر رماح بني عمّه، ولكنْ مجيئه على صورة المُعجب بشجاعته واضعًا رُمحه على فخذه بالعرض في جهة العدُوّ بدون استعداد للقتال؛ بمنزلة إنكاره أنَّ لهم رماحًا، ولن يجدَ منهم مقاوِمًا له.

فأُكِّد له الكلامُ استهزاءً به (وخُوطبَ خِطاب التفاتٍ بعد غَيبةٍ تهكُّما به، ورميًا له بالنّزق وخُرِق الرأي).

٤ ـ ومنها تنزيل المتردِّد منزلة الخالي، كقولك للمتردِّد في قدوم مسافر مع شهرته (قدم الأمير).

٥ ـ ومنها تنزيل المتردِّد[1] منزلة المُنكر، كقولك للسّائل المُستبعد لحصول الفرج: إنّ الفرج لَقَرِيبٌ.

٦ ـ ومَنها تنزيل المنكر منزلة الخالي، إذا كان لديه دلائل وشواهد لو تأمّلها لارتدع وزال إنكاره، كقوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾[2].

وكقولك لمن يُنْكر منفعة الطبِّ (الطبُّ نافعٌ).

٧ ـ ومنها تنزيل المُنكر منزلة المتردد، كقولك لمن ينكر شرف الأدب إنكارًا ضعيفًا «إنَّ الجاه بالمال إنّما يصحبك ما صحبك المال، وأمّا الجاه بالأدب فأنه غير زائل عنك».

الثالث: ظهر لك مما تقدم أن إخراج الكلام ينحصر في اثني عشر قسمًا ـ ثلاثة منها في إخراج الكلام على مُقتضى الظّاهر ـ وتسعة[3] منها في إخراجه على خلافه، ثلاثة من تلك التسعة في العالم بفائدة الخبر، وستة في غيره، وإذا ضربت هذه الإثني عشر في الإثبات والنّفي صارت أربعة وعشرين صورة.

---

(١) وفائدة التنزيل وجوب زيادة التأكيد قوة وضعفًا لأنه نُزّل المتردد منزلة المنكر فيعطي حكمه حينئذٍ، وهكذا تفهم في عكسه وهو تنزيل المنكر منزلة المتردد في استحسان التوكيد له. واعلم أنه إذا التبس إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر بإخراجه على مقتضى الظاهر يحتاج إلى قرينة تعيّن المقصود أو ترجّحه ـ فإن لم توجد قرينة صح حمل الكلام على كل من الأمرين ـ وذلك كجعل السائل كالخالي وجعل المتردد كالمنكر فإن وُجدت قرينة عُمل بها والأصحّ الحكم بأحدهما.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٦٣.

(٣) اعلم أن هذه التسعة التي أخرجت على خلاف مقتضى الظاهر كثيرة بالنسبة لنفسها لا بالنسبة إلى الصور التي أخرجت على مقتضاه ـ وإلّا فهي كثيرة أيضًا.

الخامس: قد يؤكّد الخبر لشرف الحكم وتقويته، مع أنه ليس فيه تردّد ولا إنكار، كقولك في افتتاح كلام (إنّ أفضل ما نطق به اللّسان كذا)[1].

تدريب

بيِّن أغراض الخبر فيما يأتي:

[الكامل المرفل]

١ ـ قومي هُمُو قتلوا أُمَيْمَ أخي ... فإذا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهمِي

[الكامل]

١ ـ قد كنتَ عُدَّتِي التي أسطو بها ... ويدي إذا اشتدّ الزمان وساعدي

[الطويل]

٢ ـ أبا المسك أرجو منك نصرًا على العدى ... وآمُل عزًا يخضب البيض بالدّم

[البسيط]

٣ ـ كفى بجسمي نحولاً أنّني رجل ... لولا مخاطبتي إياكَ لَمْ ترني

[الطويل]

٤ ـ وأنت الذي رَبَّيت ذا الملك مرضَعا ... وليسَ له أمٌّ سِوَاكَ ولا أب

---

(١) من مزايا اللغة العربية دقّة التّصرف في التّعبير، واختلاف الأساليب باختلاف المقاصد والأغراض، فمن العيب الفاضح عند ذوي المعرفة بها (الإطناب) إذا لم تكن هناك حاجة إليه «والإيجاز والاختصار» حيث تطلب الزيادة، وقد تخفى دقائق تراكيبها على الخاصة بله العامة، فقد أشكل أمرهُا على بعض ذوي الفِطنة من نابتة القرن الثالث إبّانَ عِزِّ اللُّغة ونضرة شبابها، يرشدك إلى ذلك ما رواه الثُّقاة من أنَّ المتفلسف الكِنْدي ركب إلى أبي العباس المبرد وقال له: إني لأجد في كلام العرب حشوًا، فقال أبو العباس في أيِّ موضع وجدت ذلك فقال أجدُ العرب يقولون عبد الله قائم، ثم يقولون إن عبد الله قائم، ثم يقولون إن عبد الله لقائم فالألفاظ متكررة والمعنى واحد، فقال أبو العباس بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ، فالأول إخبار عن قيامه، والثاني جواب عن سؤال سائل، والثالث جواب عن إنكار منكر قيامه، فقد تكرّرت الألفاظ لتكرر المعاني، فما أحار المتفلسف جوابًا.

ومن هذا تعلم أن العرب لاحظت أن يكون الكلام بمقدار الحاجة، لا أزيد وإلا كان عبثًا ـ ولا أنقص وإلا أخل بالغرض وهو الإفصاح والبيان.

---

١ ـ إظهار الحسرة على موت أخيه بيد من قرابته.
١ ـ إظهار الضعف لكونه أصبح بلا معين.
٢ ـ الاسترحام بطلب المساعدة وشد الأزر.
٣ ـ إظهار الضعف بأن نحوله صيّره إلى ما وصف.
٤ ـ إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بقصته وسابق أعماله. فالغرض لازم الفائدة.

[الكامل]

٥ ـ ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقيتُ في خلفٍ كجلد الأجرب

[الكامل]

إن كان لا يرجوك إلّا محسن ... فَبِمَنْ يلوذ ويستجير المُجرم

أدعوك ربّي كما أمرت تضرُّعا ... فإذا رَدَدْتَ يدي فمن ذا يرحم

نموذج في بيان أغراض الأخبار

١ ـ كَانَ مُعَاوِيَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَسَنَ السِّيَاسَةِ وَالتَّدْبِيرِ يَحْلُمُ فِي مَوَاضِعِ الْحِلْمِ، وَيَشْتَدُّ فِي مَوَاضِعَ الشِّدَّةِ.

٢ ـ لَقَدْ أَدَّبْتَ بَنِيكَ باللّينِ والرِّفقِ لاَ بِالقَسْوَةِ والعِقَابِ.

٣ ـ توُفِّي عُمَرُ بنُ الخَطّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَنَةَ ثَلاَثٍ وَعِشْرِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ.

٤ ـ قال أَبو فِراس الْحَمْدَانِيُّ:

[الكامل]

وَمَكَارِمِي عَدَدُ النجومِ وَمَنْزِلِي ... مَأْوَىٰ الكِرَامِ وَمَنْزِلُ الأَضْيَافِ

٥ ـ قال أبو الطيب:

[الطويل]

وَمَا كُلُّ هَاوٍ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلٍ ... وَلاَ كُلُّ فَعَّالٍ لَهُ بِمُتَمِّمِ

٦ ـ وقال أيضًا يَرْثِي أُخْتَ سَيْفَ الدَّوْلة:

[البسيط]

غَدَرْتَ يَا مَوتُ كَمْ أَفْنيتَ مِنْ عَدَدٍ ... بِمَنْ أَصَبْتَ وَكَمْ أَسْكَتَّ مِنْ لَجَبِ

٧ ـ قَالَ أَبُو العتاهية يَرْثِي وَلَدَهُ عليًا:

[الوافر]

بَكَيتُكَ يَا عَلِيُّ بدَمْعِ عَيْني ... فَمَا أَغْنَى البُكَاءُ عَلَيْكَ شَيًّا

---

٥ ـ التحسر لفقد ذوي المروءة، والمصير إلى لئام لا خير فيهم.

١ ـ الغرض إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنه الكلام.

٢ ـ الغرض إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بحاله في تهذيب بنيه.

٣ ـ الغرض إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنه الكلام.

٤ ـ الغرض إظهار الفخر، فإن أبا فراس إنما يريد أن يفاخر بمكارمه وشمائله.

٥ ـ الغرض إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنه الكلام فإن أبا الطيب يريد أن يبيّن لسامعيه ما يراه في بعض الناس من التقصير في أعمال الخير.

٦ ـ الغرض إظهار الأسى والحزن.

٧ ـ الغرض إظهار الحزن والتحسر على فقد ولده.

وَكَـانَـتْ فِـي حَـيَـاتِـكَ لِـي عِـظَـاتُ　　وَأَنْـتَ الْـيَـوْمَ أَوْعَـظُ مِـنْـكَ حَـيًّـا

[السريع]

٨ ـ إنَّ الـثـمـانـيـنَ وبُـلـغْـتَـهَـا　　قـد أحـوجـتْ سـمـعـي إلـى تَـرْجُـمـانْ

٩ ـ قال أبو العلاء المعَرِّي:

[الطويل]

وَلِي مَنْطقٌ لَمْ يَرْضَ لِي كُنْهَ مَنْزِلي　　عَلَى أَنَّنِي بَيْنَ السِّمَاكَيْنِ نَازِلُ

١٠ ـ قال إبراهيمُ بنُ المهْدِيِّ يخاطب المأمون:

[الخفيف]

أَتَـيْـتُ جُـرْمًـا شَـنِـيـعًـا　　وأنْـتَ لِـلْـعَـفْـوِ أَهْـلُ

فَـإِنْ عَـفَـوْتَ فَـمَـنٌّ　　وَإِنْ قَـتَـلْـتَ فَـعَـدْلُ

تطبيق (١)

أحص المؤكدات في العبارات التالية، وبيِّن ضروب الخبر الثلاثة:

[الطويل]

١ ـ ألاَ في سبيل المجد ما أنا فاعلٌ　　عَـفَـافٌ وإقـدامٌ وحـزمٌ ونـائـلُ

[الطويل]

٢ ـ وإنَّ امرءًا قد سار خمسين حِجّة　　إلـى مَـنْـهَـلٍ مـن وِرده لَـقـريـبُ

[الكامل]

٣ ـ ليس الصّديق بمن يعيرك ظاهرًا　　مُـتـبـسِّـمًـا عـن بـاطـن مُـتـجـهِّـم

٤ ـ قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[١].

٥ ـ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١﴾[٢].

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٦٣.　(٢) سورة النبأ: الآيات ٩ - ١١.

---

٨ ـ الغرض إظهار الضعف والعجز.

٩ ـ الغرض الافتخار بالعقل واللّسان.

١٠ ـ الغرض الاسترحام والاستعطاف.

الرقم	المؤكدات	ضرب الخبر
١ ـ	ألا (أداة استفتاح وتنبيه)	طلبي
٢ ـ	إن ـ قد ـ اللام في لقريب	إنكاري لزيادة المؤكدات على واحد
٣ ـ	الباء الزائدة في بمن	طلبي
٤ ـ	لام القسم ـ لام التوكيد ـ نون التوكيد	إنكاري
٥ ـ	تكرار جعلنا	طلبي

[الكامل]

٦ ـ أمّا الفِراق فإنّه ما أعهدُ　　هو تَوءَمِي لو أنّ بينَا يولد

[الطويل]

٧ ـ وإنّ الذي بيني وبين بني أبي　　وبين بَنِي عمِّي لَمختلفٌ جِدا

٨ ـ ﴿إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾(١).

[الطويل]

١ ـ وإنِّي لصبَّار على ما ينوبُني　　وَحسبك أنّ الله أثنى على الصبر

[الطويل]

٢ ـ وإنّي لقوَّال لذي البثّ مرحبًا　　وأهلًا إذا ما جاء من غير مرصد

وإنّي لحلوٌ تَعترِيني مَرارةٌ　　وإنّي لَتّراكٌ لِمَا لم أعوّد

[الكامل]

٣ ـ ولقد نصحتك إن قبلتَ نصيحتي　　والنّصح أغلَى ما يُباع ويُوهب

٤ ـ إنّ الغنيَّ من الرجال مُكرَّمٌ　　وتراه يُرجى ما لَدَيه ويرغبُ

[البسيط]

٥ ـ فما الحدَاثة عن حلْمٍ بمانِعةٍ　　قد يوجد الحِلم في الشبّان والشِّيب

---

(١) سورة يس: الآية ١٤.

الرقم	المؤكدات	ضرب الخبر
٦ ـ	أما ـ إن ـ أن	طلبي لأن كل مؤكد في جملة وحده
٧ ـ	أن ـ لام الابتداء	إنكاري لزيادة المؤكدات على واحد

٨ ـ لما روى القرآن قصة رسل عيسى الذين أرسلهم إلى قومه فأنكروا رسالتهم قال لهم الرسل إنا «إليكم مرسلون» فألقوا إليهم الكلام مؤكدًا بمؤكدين ـ فكذبوا فقالوا لهم «إنا إلكيم لمرسلون» مؤكدين لهم القول بمؤكد ثالث ـ فجحدوا ـ فقالوا لهم «ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون» فزادوا مؤكدًا رابعًا وهو القسم.

الرقم	الجملة	المؤكدات	ضروب الخبر
١ ـ	وإني لصبار	إن ولام الابتداء	إنكاري
٢ ـ	وإني لقوال	إن ولام الابتداء	إنكاري
	وإني لحلو	إن ولام الابتداء	إنكاري
	وإني لتراك	إن ولام الابتداء	إنكاري
٣ ـ	ولقد نصحتك	القسم. قد	إنكاري
	والنصح أغلى		ابتدائي
٤ ـ	إن الغني		طلبي
	وتراه يرجى		ابتدائي
٥ ـ	فما الحداثة الخ	الباء الزائدة «بمانعة»	طلبي
	قد يوجد الحلم	قد	طلبي

[البسيط]

٦ ـ إنّ الحياة لثوْبٌ سوْف نخلعهُ وكل ثوبٍ إذا ما رثَّ ينخلِع

٧ ـ ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥﴾[1].

تطبيق (٢)

أُذكر أَضْرُبَ الخبر وبيِّن المؤكدات فيما يأتي:

[البسيط]

١ ـ وعاد في طلَب المترُوكِ تاركهُ إنّا لنَغْفُلُ والأيام في الطَّلبِ

٢ ـ ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١﴾[2].

[الطويل]

٣ ـ أمَا دون مصر للغنى مُتطلّب بَلى إنَّ أسباب الغنى لكثيرُ

[المتقارب]

٤ ـ فيومٌ لنا ويومٌ علينا ويومٌ نُساءُ ويومٌ نُسرّْ

٥ ـ إنَّ من البيان لَسِحرًا وإنَّ من الشعر لَحِكْمةً.

٦ ـ قد يُدْرِكُ الشّرف الفَتى ورِدَاؤه خلِقٌ.

(١) سورة المؤمنون: الآية ١٥.

(٢) سورة النبأ: الآيات ٩ - ١١.

الرقم	الجملة	المؤكدات	ضروب الخبر
٦	إن الحياة لثوب	إن ولام الابتداء	إنكاري
	وكل ثوب الخ		ابتدائي
٧	غفلتهم عن الموت تعدّ من أمارات الإنكار		إنكاري
١	وعاد في طلب المتروك		ابتدائي
	إنا لنغفل	إن ولام الابتداء	انكاري
٢	وجعلنا نومكم الخ	تكرير جعل	طلبي
٣	أما دون مصر	حرف التنبيه (أما)	طلبي
	إن أسباب الغنى لكثير	إن ولام الابتداء	إنكاري
٤	يوم لنا ويوم علينا	التكرير	طلبي
٥	إن من البيان لسحرًا	إن ولام الابتداء	إنكاري
	إن من الشعر لحكمة	إن ولام الابتداء	إنكاري
٦	قد يدرك	قد	طلبي

المبحث الثالث
في تقسيم الخبر إلى جملة فعلية وجملة اسمية

أ ـ الجملة الفعلية موضوعة لإفادة التَّجدُّد والحدوثِ في زمن مُعيَّنٍ مع الاختصار[١] نحو: أشرَقتِ الشمسُ وقد ولّى الظّلامُ هاربًا.

فلا يُستفاد من ذلك إلّا ثبوتُ الإشراق للشّمس، وذهاب الظّلام في الزّمان الماضي.

وقد تُفيد الجملة الفعلية الاستمرار التجدّدي شَيئًا فشيئًا بحسب المقام وبمعونة القرائن لا بحسب الوضع[٢] بشرط أنْ يكونَ الفعلُ مضارعًا، نحو قول المتنبي:

[الطويل]

تُدبِّر شرقَ الأرض والغربَ كفُّه ... وليسَ لها يومًا عن المجد شاغلُ

فقرينة المدح تدل على أن تدبير الممالك دَيدنُه وشأنُه المستمرّ الذي لا يَحيد عنه، ويتجدّد آنًا فآنًا.

ب ـ والجملة الاسمية تفيد بأصل وضعها ثبوت شيء لشيء[٣] ليس غير ـ بدون نظر إلى تجدّد ولا استمرار ـ نحو الأرض متحركة ـ فلا يستفاد منها سوى ثبوت الحركة للأرض، بدون نظر إلى تجدُّد ذلك ولا حُدُوثِهِ.

وقد تخرج الجملة الإسمية عن هذا الأصل وتفيد الدّوام والاستمرار بحسب القرائن ـ كأن يكونَ الحديثُ في مقام المدح، أو في معرض الذم كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾[٤] فسِياق الكلام في معرض المدح دالّ على إرادة الاستمرار مع

---

(١) وذلك أن الفعل دال بصيغته على أحد الأزمنة الثلاثة بدون احتياج لقرينة بخلاف الاسم فإنه يدلّ على الزمن بقرينة ذكر لفظة الآن أو أمس أو غدًا.
ولما كان الزمان الذي هو أحد مدلولي الفعل غير قارّ الذّات أي لا تجتمع أجزاؤه في الوجود كان الفعل مع إفادته التقييد بأحد الأزمنة الثلاثة مفيدًا للتجدّد أيضًا.

(٢) وذلك نظير الاستمرار الثبوتي في الجملة الاسمية نحو ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ [الحجرات: ٧] أي لو استمر على إطاعتكم وقتًا فوقتًا لحصل لكم عنت ومشقة.

(٣) قال الشيخ عبد القاهر: موضوع الاسم على أن يثبت به الشيء للشيء من غير اقتضاء أنه يتجدد ويحدث شيئًا فشيئًا: فلا تعرض في نحو زيد منطلق ـ لا كثر من إثبات الانطلاق له فعلًا ـ كما في زيد طويل وعمرو قصير أي أن ثبوت الطول والقصر هو بأصل الوضع، وأما استفادة الدّوام فمن الملازمة في هذين الوصفين، وحينئذٍ فالتمثيل للمنفي.

(٤) سورة القلم: الآية ٤.

الثّبوت ـ ومنه قول النّضر بن جُؤْبَة يتمدَّح بالغِنَىٰ والكرم:

[البسيط]

لا يألف الدِّرهمُ المضرُوب صُرَّتَنا لكن يَمرّ عليها «وهو مُنطلقٌ»

يُرِيدُ أنّ دراهمه لا ثبات لها في الصُرّة ولا بقاء، فهي دائمًا تنطلق منها وتمرق مروق السِّهام من قِسِيِّها، لتُوزّعَ على المُعوزينَ وأربابِ الحاجات.

واعلم أن الجُملة الاسْمية لا تفيد الثّبوت بأصل وضعها، ولا الاستمرار بالقرائن إلّا إذا كان خبرها مفردًا نحو: الوطنُ عزيزٌ، أو جملة اسمية نحو: الوطن هو سعادتي.

أما إذا كان خبرها جملة فعلية فإنها تفيد التَّجدُّد نحو: الوطن يسعدُ بأبنائه.

أسئلة يطلب أجوبتها

ما هو علم المعاني؟ ما هو الإسناد؟ ما هي مواضع المسند والمسند إليه؟ ما المراد بصدق الخبر وكذبه؟ ما الفرق بين النسبة الكلامية والنسبة الخارجية؟ ما هو الأصل في إلقاء الخبر؟ ما هي الأغراض الأخرى التي يلقى إليها الخبر؟ ما هي أضرب الخبر؟ ما هي أدوات التوكيد؟ لماذا يعدل عن مقتضى الظاهر؟ إلى كم ينقسم الخبر؟ لأيّ شيء وضعت الجملة الإسمية والفعلية؟ هل تفيد الجملة الفعلية والإسمية غير ما وضعتا لأجله؟

تدريب

بيِّن فائدة التّعبير بالجملة الاسمية أو الفعلية في التّراكيب الآتية:

١ ـ: قال تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾﴾[1].

(١) سورة الرعد: الآية ٣٩.

الرقم الجملة	نوعها	ما تفيده	الإيضاح
١ ـ يمحو الله	مضارعية	الاستمرار التجددي	إذ محو بعض الخلائق وإفناؤها وإثبات البعض الآخر مستمر على جهة التجدد
وعنده أم الكتاب	اسمية	الدوام	أم الكتاب اللوح المحفوظ والقرينة الإسناد إلى الله

[المتقارب]

٢ ـ نَـروحُ ونَـغـدو لـحـاجـاتِـنـا وحـاجـة مـن عـاشَ لا تَـنـقـضِـي

[الخفيف]

٣ ـ وعلى إثْرِهِمْ تَسَاقَطُ نفسِي حَسَرَاتٍ وذكرُهُمْ لي سِقَامُ

٤ ـ يأتي على الناس زمان لا يبالي المرءُ ما أخذ منه ـ أمِنَ الحلال أم من الحرام:

[الكامل]

٥ ـ أو كلّما وَردتْ عُكاظَ قبيلة بعَثُوا إليَّ عَرِيفَهم يتوَسَّم

الرقم الجملة	نوعها	ما تفيده	الإيضاح
٢ ـ نروح ونغدو	مضارعية	الاستمرار التجددي	القرينة قوله وحاجة من عاش
٣ ـ تساقط	مضارعية	الاستمرار التجددي	
وذكرهم لي سقام	اسمية	الاستمرار والدوام	القرينة حالية والأسى وهي الحزن والأسى
٤ ـ يأتي	مضارعية	التجدد	

٥ ـ يريد أن قبيلة ترد سوق عكاظ تبعث عريفها ورئيسها ليتفرّس في وجوه القوم مرة بعد أخرى، لعله يهتدي إلى معرفتي، لتأخذ بثأرها منّي وتنكل بي لأني طالما أوقعت بها وأذقتها صنوف المذلة والهوان.

وعكاظ سوق للعرب كانت تجتمع فيها للتفاخر والتنافر ليلاً ولتصريف المتاجر نهارًا.

الباب الثاني

في حقيقة الإنشاء وتقسيمه

الإنشاء لغةً الإيجاد؛ واصطلاحًا ما لا يحتمل الصدِّق والكذب لذاته[١]، نحو: اغفر وارحم، فلا يُنسب إلى قائلهِ صدق أو كذب.

وإن شئت فقل في تعريف الإنشاء ما لا يحصل مضمونه ولا يتحقَّق إلّا إذا تلفّظتَ به ـ فطلبُ الفعل في «افْعَلْ» وطلب الكفّ في «لاَ تَفْعَلْ» وطلب المحبوب في «التمني» وطلب الفهم في (الاستفهام) وطلب الإقبال في «النِّداء» كل ذلك ما حصل إلا بنفس الصِّيغ المُتلفَّظ بها.

وينقسم الإنشاء إلى نوعين: إنشاء طلبي ـ وإنشاء غير طلبي.

«فالإنشاء غير الطَّلبي» ما لا يَستدعِي مطلوبًا غير حاصل وقت الطَّلب كصيغ المدح والذَّم، والعقود، والقسم، والتَّعجب، والرجاء، وكذا رُبَّ ولعلَّ، وكم الخبرية «ولا دخل لهذا القسم في علم المعاني».

١ ـ أما المدح والذم فيكونان بنعم وبئس وما جرى مجراهما نحو: حبَّذا ولا حبّذا، والأفعال المحوَّلة إلى فعلُ نحو طاب عليٌّ نفسًا، وخَبُثَ بكر أصلاً.

٢ ـ وأما العقود فتكون بالماضي كثيرًا، نحو بعتُ واشتريتُ ووهبتُ وأعتقتُ ـ وبغيره قليلاً نحو أنا بائع. وعبدي حرٌّ لوجه الله تعالى.

٣ ـ وأما القسم فيكون بالواو والباء والتاء وبغيرها نحو: لعمرك ما فعلت كذا.

٤ ـ وأما التَّعجب ـ فيكون بصيغَتَيْنِ، ما أفعَلَه ـ وأفْعِلْ به.

وبغيرهما نحو لله دَرُّه عالمًا ـ ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ﴾[٢].

٥ ـ وأما الرجاء فيكون بعسى وحَرى واخْلَوْلَقَ نحو: عسى الله أن يأتي بالفتح.

---

(١) أي بقطع النظر عما يستلزمه الإنشاء فإن اغفر يستلزم خبرًا وهو أنا طالب المغفرة منك ـ وكذا لا تكسل يستلزم خبرًا وهو أنا طالب عدم كسلك ـ لكن هذا ليس لذاته.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨.

وأنواع الإنشاء غير الطلبي كثيرة ولكنها ليست من مباحث علم المعاني ولذا نقتصر فيه على ما ذكرناه ولا نطيل البحث في هذا القسم الذي أكثره في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء.

وإنَّما المبحوث عنه في علم المعاني هو:

«الإنشاء الطلبي» وهو الذي يَسْتَدعِي مطلوبًا[(١)] غير حاصل[(٢)] في اعتقاد المتكلّم وقتَ الطلب ـ ويكون بخمسة أشياء، الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء[(٣)] وفي هذا الباب خمسة مباحث:

المبحث الأول
في الأمر

الأمر ـ هو طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء[(٤)] وله أربع صيغ:

---

(١) اعلم أنه إذا كان المطلوب غير متوقع كان الطلب (تمنيا) وإن كان متوقعًا فإما حصول صورة أمر في الذهن فهو (الاستفهام) وإما حصوله في الخارج فإن كان ذلك الأمر انتفاء فعل فهو (النهي) وإن كان ثبوته فإما بأحد حروف (النداء) فهو النداء ـ وإما بغيرها فهو (الأمر) وبهذا تعلم أن الطلب هنا منحصر في هذه الأمور الخمسة لاختصاصها بكثير من اللطائف البلاغية.

(٢) أي لأنه لا يليق طلب الحاصل، فلو استعمل صيغ الطلب لمطلوب حاصل امتنع اجراؤها على معانيها الحقيقية، ويتولد من تلك الصيغ ما يناسب المقام كطلب دوام الإيمان والتقوى في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٣٦] وهلم جرا كما سيأتي.

(٣) ويكون الإنشاء الطلبي أيضًا، بالعرض والتحضيض، ولكن لم يتعرّض لهما البيانيون لأنهما مولّدان على الأصح من الاستفهام والتمني ـ فالأول من الهمزة مع لا النافية في «ألا» والثاني من هل ولو للتمني مع لا وما الزائدتين في «هلاَّ وألاّ» بقلب الهاء همزة.

وكذا لولا ولوما ـ واعلم أن الإنشاء الطلبي نوعان ما يدل على معنى الطلب بلفظه ويكون بالخمسة المذكورة. وما يدل على معنى الطلب بغير لفظه كالدعاء.

(٤) بأن يعدّ الآمر نفسه عاليًا سواء كان عاليًا في الواقع أو لا. ولهذا نسب إلى سوء الأدب إن لم يكن عاليًا. واشتراط الاستعلاء بهذا المعنى هو ما عليه الأكثر من الماتريدية ـ والإمام الرازي والآمدي من الأشعرية ـ وأبو الحسن من المعتزلة. وذهب الأشعري إلى أنه لا يشترط هذا ـ وبه قال كثير من الشافعية والأشبه أن الصدور من المستعلي يفيد إيجابًا في الأمر وتحريمًا في النهي ـ واعلم أن الأمر للطلب مطلقًا ـ والفور والتراخي من القرائن ـ ولا يوجبُ الاستمرار والتكرار في الأصح. وقيل ظاهره الفور كالنداء والاستفهام إلّا بقرينة وهو ما اختار السكاكي واعلم أيضًا أن الأمر يكون استعلاء مع الأدنى، ودعاء مع الأعلى، والتماسًا مع النظير.

١ ـ فعل الأمر ـ كقوله تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾[١].

٢ ـ والمضارع المجزوم بلام الأمر كقوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾[٢].

٣ ـ واسم فعْل الأمر ـ نحو: صَهْ، وآمينَ، ونزَالِ، ودَرَاكِ.

٤ ـ والمصدر النائب عن فعل الأمر ـ نحو: سَعيًا في سبيل الخير.

وقد تخرجُ صِيغ الأمر عن معناها الأصلي إلى معانٍ أخرى تُستَفادُ من سِياق الكلام وقرائن الأحوال.

١ ـ كالدّعَاء في قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾[٣].

٢ ـ والالتماس كقولك لمن يُساويك ـ أعطِني القَلَم أيُّها الأخ.

٣ ـ والإرشاد ـ كقوله تعالى: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ﴾[٤].

٤ ـ والتّهديد ـ كقوله تعالى: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٥].

٥ ـ والتّعجيز ـ كقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾[٦].

٦ ـ والإباحة ـ كقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾[٧] نحو: اجلس كما تشاء.

٧ ـ والتّسوية ـ نحو قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟﴾[٨].

٨ ـ والإكرام ـ كقوله تعالى: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾[٩].

٩ ـ والامتنان نحو قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾[١٠].

١٠ ـ والإهانة ـ كقوله تعالى: ﴿كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾[١١].

١١ ـ والدّوام كقوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾[١٢].

١٢ ـ والتّمني كقول امرىء القيس:

---

(١) سورة مريم: الآية ١٢.
(٢) سورة الطلاق: الآية ٧.
(٣) سورة النمل: الآية ١٩، سورة الأحقاف: الآية ١٥.
(٤) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.
(٥) سورة فصلت: الآية ٤٠.
(٦) سورة البقرة: الآية ٢٣.
(٧) سورة البقرة: الآية ١٨٧.
(٨) سورة الطور: الآية ١٦.
(٩) سورة الحجر: الآية ٤٦.
(١٠) سورة النحل: الآية ١١٤.
(١١) سورة الإسراء: الآية ٥٠.
(١٢) سورة الفاتحة: الآية ٦.

[الطويل]

ألاَ أيُّها اللَّيْل الطَّوِيل ألاَ انْجَلِي بُصُبحٍ وما الإصباحُ منك بأمثَلِ

١٣ ـ والاعتبار كقوله تعالى: ﴿انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾[١].

١٤ ـ والإذن ـ كقولك لمن طرق الباب ـ أُدخُل.

١٥ ـ والتكوين كقوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾[٢].

١٦ ـ والتَّخيير ـ نحو تَزَوَّجْ هندًا أو أختَها.

١٧ ـ والتّأديب ـ نحو كُلْ ممّا يَليك.

١٨ ـ والتّعجُّب ـ كقوله تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾[٣].

تمرين

بيّن ما يُراد من صيغ الأمر في التّراكيب الآتية:

١ ـ خُذِ العَفْوَ، وأْمُرْ بِالعُرْفِ، وأعرِضْ عَنِ الجاهِلِين.

[الطويل]

٢ ـ أَسيئي بنا أو أَحْسنِي لاَ مَلُومَةٌ لَدينَا ولاَ مَقْلِيَّةٌ إنْ تَقَلَّتِ

[المتقارب]

٣ ـ يا لَيْلُ طُلْ يا نَومُ زُلْ يا صُبحُ قِفْ لاَ تَطْلَعِ

[مجزوء الكامل]

٤ ـ عِشْ مَا بَدَا لَكَ سَالِمًا فِي ظِلِّ شَاهِقَةِ القُصُور

٥ ـ ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾[٤].

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٩٩.

(٢) سورة يس: الآية ٨٢، سورة غافر: الآية ٦٨، سورة مريم: الآية ٣٥، سورة الأنعام: الآية ٧٣، سورة النحل: الآية ٤٠.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٤٨.

(٤) سورة الملك: الآية ١٣.

الرقم	صيغة الأمر	الغرض منها
١ ـ	خذو العفو	الإرشاد
٢ ـ	أسيئي بنا	التسوية
٣ ـ	طل ـ زل	التمني
٤ ـ	عش سالمًا	الدعاء
٥ ـ	أسروا قولكم	التسوية

[الوافر]

٦ ـ تـرَفَّـقْ أيُّـهـا الـمـولـى عـلـيـهـم فـإنَّ الـرِّفـق بـالـجـانـي عـتـابُ

[الوافر]

٧ ـ أرى الـعـنـقـاء تـكـبُـرُ أن تُـصـادا فـعـانِـدْ مَـنْ تُـطـيـق لـه عِـنَـادًا

[الطويل]

٨ ـ خليليَّ هُبَّا طالَما قد رقدْتُما أجِـدْكُـمـا لا تـقـضـيَـانِ كَـرَاكُـمَـا

[الطويل]

٩ ـ أرِيـنـي جَـوَادًا مـاتَ هُـزْلاً لـعـلّـنـي أرَىٰ مـا تَـرَيْـنَ أوْ بـخـيـلًا مُـخَـلَّـدَا

١٠ ـ قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾(١).

[البسيط]

١١ ـ قد رَشّحوكَ لأمْرٍ إنْ فطِنْتَ لَهُ فـاربأ بِـنَـفْـسِـكَ أن تـرعَـىٰ مَـعَ الـهَـمَـل

١٢ ـ ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾﴾(٢).

١٣ ـ ليسَ هَذا بعشِّك فادرُجِي.

١٤ ـ اعملْ لدُنْيَاكَ كأنكَ تعيشُ أبدًا. واعمل لآخرَتك كأنكَ تموتُ غدًا.

[الطويل]

١٥ ـ فمَنْ شَاءَ فليبخلْ ومن شاء فليجُدْ كفَاني نَدَاكم عنْ جميع المطالب

[البسيط]

يَـا ربّ لا تَـسلبني حبّـهـا أبدًا ويـرحـمُ الله عـبـدًا قـال آمـيـنـا

---

(١) سورة البقرة: الآية ١١١.

(٢) سورة طه: الآية ٢٥ - ٢٦.

الرقم	صيغة الأمر	الغرض منها
٦ -	ترفق	الدعاء
٧ -	عاند	الإهانة
٨ -	هُبّا	الالتماس
٩ -	أريني جودًا	التعجيز
١٠ -	هاتوا برهانكم	التعجيز
١١ -	فاربأ بنفسك	الإرشاد
١٢ -	اشرح لي صدري	الدعاء
١٣ -	ادرجي	الإهانة
١٤ -	اعمل لدنياك	الإرشاد
١٥ -	فليبخل	التخيير

[الطويل]

١٦ ـ أُولئك آبائي فجِئني بمثلِهم ... إذا جمعتنا يا جرير المجامعُ

[الطويل]

أرُوني بخيلًا طال عُمرًا ببخْلِهِ ... وهاتوا كريمًا مات من كثرة البذْلِ

نموذج

بَيِّنْ نَوْعَ الإنشاء وصيغته في الأمثلة الآتية

[البسيط]

١ ـ يَأَيُّها المُتَحلِّي غيرَ شِيمَتِهِ ... وَمِنْ شَمَائِلِهِ التَّبْدِيلُ والمَلَقُ
إرْجِعْ إلَى خُلْقكَ المَعْرُوف دَيْدُنه ... إنّ التَّخلُّق يَأتي دُونَهُ الخُلقُ

[الخفيف]

٢ ـ يا ابنتَي إنْ أرَدْتِ آيَةَ حُسنٍ ... وَجَمَالًا يَزِينُ جِسمًا وعَقْلا
فانْبُذِي عَادَةَ التَّبرُّج نَبْذًا ... فَجَمَالُ النُّفُوسِ أسْمَىٰ وَأَعْلاَ
يَصْنعُ الصَّانِعُونَ وَرْدًا وَلكنْ ... وَرْدَة الرَّوْضِ لاَ تُضَارَعُ شَكْلا

[البسيط]

٣ ـ يا لَيْتَ مَنْ يَمْنَعُ المعْرُوفَ يَمْنَعُهُ ... حتّى يَذُوقَ رِجَالٌ غِبَّ ما صَنَعُوا

[الطويل]

٤ ـ لَعَمركَ مَا بِالْعَقْلِ يُكتَسبُ الغِنى ... ولا باكْتِسَابِ المَالُ يكتسبُ الْعَقْلُ

أسئلة على الإنشاء والأمر يطلب أجوبتها

ما هو الإنشاء لغة واصطلاحًا؟ إلى كم ينقسم الإنشاء؟ ما هو الإنشاء الغير الطلبي؟ كم أقسام الإنشاء الطلبي؟ ما هو الأمر؟ كم صيغة للأمر؟ ما هي المعاني التي

الرقم	صيغة الأمر	الغرض منها
١٦ ـ	جئني	التعجيز

رقم المثال	صيغة الإنشاء	نوعه	طريقته
١ ـ	يأيها المتحلي غير شيمته الخ	طلبي	النداء
	ارجع إلى خلقك المعروف	طلبي	الأمر
٢ ـ	يا ابنتي إن أردت آية حسن	طلبي	النداء
	فانبذي عادة التبرج	طلبي	الأمر
٣ ـ	يا ليت من يمنع المعروف	طلبي	التمني
٤ ـ	لعمرك بالعقل يكتسب الغنى	غير طلبي	القسم

تخرج إليها صيغ الأمر عن أصل معناها؟

المبحث الثاني

في النّهي

النَّهي ـ هو طلب الكفِّ عن الفعل على وجه الاستعلاء[١].

وله صيغةٌ واحدةٌ وهي المضارع مع لا الناهية كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾[٢].

وقد تخرج هذه الصِّيغة عن أصل معناها إلى معانٍ أخر تُستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال.

١ ـ كالدُّعاء ـ نحو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[٣].

٢ ـ والالتماس ـ كقولك لمنْ يُساويك ـ أيُّها الأخ لا تَتَوانَ.

٣ ـ والإرشاد ـ كقوله تعالى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[٤].

٤ ـ والدّوام ـ كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾[٥].

٥ ـ وبيان العاقبة ـ نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ﴾[٦].

٦ ـ والتّيئيس ـ نحو قوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[٧].

٧ ـ والتمنِّي ـ نحو يا ليلة الأُنسِ لا تنقضِي ـ وقوله:

[المتقارب]

يا ليلُ طُلْ يا نومُ زُل ... يا صبح قِفْ لاَ تَطلُع

٨ ـ والتّهديد ـ كقولك لخادمك ـ لا تُطِع أمري.

٩ ـ والكراهة ـ نحو لا تَلْتَفِتْ وأَنْتَ في الصَّلاةِ.

١٠ ـ والتّوبيخ ـ نحو لا تَنْهَ عن خُلُق وتأتي مِثلَه.

---

(١) اعلم أن النهي حقيقة في التحريم: كما عليه الجمهور ـ فمتى وردت صيغة النهي أفادت الحظر والتحريم على الفور.

واعلم أن النهي كالأمر فيكون استعلاء مع الأدنى، ودعاء مع الأعلى، والتماسا مع النظير.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٥٦.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

(٤) سورة المائدة: الآية ١٠١.

(٥) سورة إبراهيم: الآية ٤٢.

(٦) سورة آل عمران: الآية ١٦٩.

(٧) سورة التوبة: الآية ٦٦.

١١ ـ والائتناس ـ نحو: ﴿لَا تَحْـزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[١].

١٢ ـ والتّحقير ـ كقوله:

[الطويل]

لا تطلُبِ المجدَ إنّ المجْدَ سُلَّمُه صعبٌ وعِشْ مُستريحًا ناعمَ البَالِ

تطبيق

أذكر ما يُراد من صِيَغ النّهي الآتية.

١ ـ ﴿وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤٢﴾[٢].

[الطويل]

٢ ـ فلا تُلزِمنّ النّاس غير طباعهم فتتعبُ من طول العتاب ويتعبوا
ولا تغترِر منهم بحسن بشاشة فأكثرُ إيماض البوارق خُلّبُ

[السريع]

٣ ـ فلا تَهِجْ إنْ كنتَ ذَا إرْبَةٍ حَرْبَ أخِي التّجْرِبَةِ العَاقِل

٤ ـ لا تَعْتَذِرُوا اليَومَ.

[البسيط]

٥ ـ لا تَحْسَبِ المجدَ تَمرًا أَنتَ آكلهُ لَنْ تَبْلغ المجدَ حتّى تلعقَ الصبرا

٦ ـ لا تَحْتَجبْ عن العُيون أيُها القَمَرُ.

[الكامل]

٧ ـ لاَ تَعْرِضَنّ لجعْفَرٍ مُتَشبهًا بِنَدَى يَدَيْه فَلَسْتَ مِنْ أَنْدَادِهِ

[الكامل]

٨ ـ لا تَيأسُوا أنَ تَسْترِدُّوا مجدَكم فلَرُبّ مَغلُوبٍ هَوَىٰ ثُمّ ارْتقى

(١) سورة التوبة: الآية ٤٠.
(٢) سورة البقرة: الآية ٤٢.

١ ـ التوبيخ لهم على خلطهم الحق بالباطل.
٢ ـ الإرشاد إلى حسن الخلق.
٣ ـ الإرشاد والنصح.
٤ ـ التوبيخ والتقريع.
٥ ـ التوبيخ والتعنيف.
٦ ـ التمني.
٧ ـ التوبيخ والتأنيب.
٨ ـ الإرشاد والنصح.

[الوافر]

ولا تـجـلـس إلـى أهـل الـدّنـايـا فـإنّ خـلائـق الـسّـفـهـاء تُـعـدِي

المبحث الثالث

في الاستفهام

الاستفهام هو طَلب العِلم بشيءٍ لم يكن معلومًا مِن قبلُ.

وذلك بأداة من إحدى أدواته ـ وهي:

الهمزة. وهل. وما. ومن. ومتى. وأيّان. وكيف. وأين. وأنّى. وكم. وأيّ.

وتنقسم بحسب الطَّلب إلى ثلاثة أقسام:

أ ـ ما يُطَلب به التَّصور تارة والتَّصديق تارة أخرى وهو ـ الهمزة.

ب ـ وما يُطلَب به التَّصديق فقط وهو ـ هل.

ج ـ وما يُطلَب به التَّصور فقط وهو بقيّة ألفاظ الاستفهام.

١ ـ الهمزة

يُطلَب بالهمزة أحد أمرين: تَصوُّرٌ. أو تصدِيقٌ.

١ ـ فالتّصوّر هو إدراك المفرد[1] نحو أعليٌّ مسافرٌ أم سعيدٌ تعتقد أنَّ السّفر حصل من أحدهما ولكن تطلُب تعيينَه.

ولذا يُجاب بالتّعيين، فيقال سعيد مثلًا.

وحكم الهمزة التي لِطَلب التَّصور، أن يليهَا المسؤول عنه بها، سواء أكان:

١ ـ مُسندًا إليه ـ نحو: أأنتَ فعلتَ هذا أم يوسفُ.

٢ ـ أم مُسندًا ـ نحو: أراغِبٌ أنت عن الأمر أم راغبٌ فيه.

٣ ـ أم مفعولاً ـ نحو: إياسَ تقصد أم سعيدًا.

٤ ـ أم حالاً ـ نحو: أراكبًا حضرتَ أم ماشيًا.

---

(١) أي إدراك عدم وقوع النسبة وذلك كإدراك الموضوع وحده ـ أو المحمول وحده ـ أو هما معًا ـ أو ذات النسبة التي هي مورد الإيجاب والسلب.

فالاستفهام عن التصور يكون عند التردد في تعيين أحد الشيئين.

والاستفهام عن التصديق يكون عن نسبة تردّد الذهن فيها بين ثبوتها ونفيها وحينئذٍ للهمزة استعمالان ـ فتارة يطلب بها معرفة مفرد، وتارة يطلب بها معرفة نسبة، وتسمى معرفة المفرد تصورًا، ومعرفة النسبة تصديقًا.

٥ ـ أم ظرفًا ـ نحو: أيومَ الخميس قدمتَ أم يوم الجمعة.

ويُذكر غالبًا مع همزة التَّصور مُعادل مع لفظة «أم» وتُسمَّى مُتّصلة كالأمثلة السابقة.

ويجوز حَذْفُ هذا المُعادل.

نحو: أخليلٌ حضر ـ ونحو: أيومَ الخميس سافرتَ ـ وهَلُم جَرًّا.

ب ـ والتَّصديق «هو إدراك وُقوع نِسبة تامّة بين شيئين أَو عدَم وُقوعها»(١).

ويكثر التَّصديق في الجمل الفعليّة ـ كقولك أحضر الأمير(٢) تستفهم عن ثبوت النسبة ونفيها ـ وفي هذه الحالة يجاب بلفظة: نعم ـ أو ـ لا ويَقِلّ التّصديق في الجمل الإسميَّة ـ نحو أعليٌّ مسافر.

ويمتنع أن يُذْكر مع همزة التّصديق معادل كما مُثّل.

فإن جاءت «أم» بعدها قدّرتْ مُنقطعةً(٣) وتكون بمعنى (بل) كقوله:

[الطويل]

ولستُ أُبالي بعدَ فَقْديَ مالكًا ... أمَوتِيَ ناءٍ أم هُو الآن واقعُ

٢ ـ هل

يطلبُ بها التّصديق فقط «أي معرفة وقوع النّسبة. أو عدم وقوعها لا غير». نحو هل جاء الأمير ـ والجواب نعم ـ أو لا.

ولأجل اختصاصها بطلب التّصديق لا يذكر معها المعادل بعد أم المتصلة ـ فلذا:

أ ـ امتنع هل سعد قام أم سعيد: لأنّ وقوع المفرد وهو سعيد بعد «أم» الواقعة في حيِّز الاستفهام دليل على أن أم متصلة، وهي لطلب تعيين أحد الأمرين ـ ولا بدّ حينئذٍ أن يُعلَم بها أوّلًا أصل الحكم.

---

(١) أي إدراك موافقتها لما في الواقع أو عدم موافقتها له ـ واعلم أن إدراك وقوع النسبة أو عدم وقوعها كما يسمى تصديقًا يسمى حكمًا، وإسنادًا، وإيقاعًا، وانتزاعًا أو إيجابًا وسلبًا.

(٢) أي فقد تصورت الحضور والأمير والنسبة بينهما ـ وسألت عن وقوع النسبة بينهما؛ هل هو محقق خارجًا أو لا ـ فإذا قيل حضر. حصل التصديق وكذا يقال فيما بعده. فالمسؤول عنه في التصديق نسبة يتردّد الذهن في ثبوتها ونفيها كما سبق توضيحه.

(٣) أي ولا بد من وقوع الجملة بعد أم المنقطعة. فإن وقع بعدها مفرد قُدّر بجملة نحو أحضر الأمير أم جيشه ـ أي بل حضر جيشه.

وتلّخص ممّا تقدم أن همزة التّصور إن جاء بعدها «أم» تكون متصلة وإنّ همزة التصديق أو هل إن جاء بعدهما «أم» قُدرت منقطعة وتكون بمعنى بل.

(وهل) لا يناسبها ذلك ـ لأنها لطلب الحكم فقط، فالحكم فيها غير معلوم، وإلّا لم يُستفهم عنه بها، وحينئذٍ يُؤدِّي الجمع بين (هل وأم) إلى التّناقض، لأنَّ (هل) تفيد أن السّائل جاهلٌ بالحكم لأنها لطلبه.

«وأم» المتّصلة تفيد أنَّ السّائل عالم به، وإنما يَطلُب تعيين أحد الأمرين ـ فإن جاءت أمْ كذلك كانت مُنقطعة بمعنى بَل التي تفيد الإضراب نحو: هَلْ جاء صديقك أم عدوّك.

ب ـ وَقُبِحَ استعمالُ «هل» في تَركيبٍ هو مَظنّة للعلم بحصول أصْلِ النّسبة وهو ما يتقدّمُ فيه المعمولُ على الفعل، نحو: هل خليلًا أكرمتَ، فتقديم المعمولِ على الفعلِ يَقتضي غالبًا حصولَ العلم للمتكلّم، وتكون هَلْ لطلب حصول الحاصلِ وهو عبثٌ.

تنبيهات

الأوّل: هَلْ ـ كالسين وسوف تُخلِّص المضارع للاستقبال، فلا يُقال هَلْ تصدُق؟ جوابًا لمن قال أحبُّك الآن، بَلْ تقول له، أتصدق؟ ولأجل اختصاصها بالتّصديق وتخليصها المضارعَ للاستقبال قَوِيَ اتصالُها بالفعل لفظًا أو تقديرًا نحو هل يجيء عليّ ـ أو هَلْ عليٌ يَجِيء؟.

فإن عُدِل عن الفعلِ إلى الاسم لإبراز ما يحصل في صورة الحاصل دلالةً على كمال العناية بحصوله كانَ هذا العدُول أبلغ في إفادة المقصود كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾[1] فهذا التّركيب أدلُّ على طَلبِ الشُّكْر من قولك، هَل تشكرون ـ وذلك لأن الفعْل لازمٌ بعد هَلْ والعُدول عنه يَدلّ على قوّة الدّاعي لِمَا ذُكر.

الثاني: هَل نوعان: بسيطة ـ ومركبة:

أ ـ فالبسيطة: هي التي يُستفهم بها عن وجود شيء في نفسه، أو عدم وجوده، نحو هل العنقاء[2] موجودة ـ هَلِ الخِلُّ موجود.

ب ـ والمركبة: هي التي يُستفهم بها عن وجود شَيءٍ لشيءٍ، أو عدم وجوده له ـ نحو هل المرِّيخ مسكونٌ؟ هل النَّبات حَسَّاس؟.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٨٠.

(٢) حكى الزمخشري في ربيع الأبرار أن العنقاء كانت طائرًا وكان فيها من كل شيء من الألوان وكانت في زمن أصحاب الرس تأتي إلى أطفالهم وصغارهم فتخطفهم وتغرب بهم نحو الجبل فتأكلهم فشكوا ذلك إلى نبيهم صالح عليه السلام فدعا الله عليها فأهلكها وقطع عقبها ونسلها فسميت عنقاء مغرب لذلك.

الثالث: (هل) لا تدخل على:

١ المنفي(١)	فلا يقال هل لم يفهم عليٌّ
٢ ولا على المضارع الذي هو للحال	فلا يقال هل تحتقر عليًا وهو شجاع
٣ ولا على إنَّ	فلا يقال هل إنّ الأمير مسافر
٤ ولا على الشرط	فلا يقال هل إذا زرتُك تكرمني
٥ ولا على حرف العطف	فلا يقال هل فيتقدَّم أو هل ثم يتقدم(٢)
٦ ولا على اسم بعده فعل	فلا يقال هل بَشرًا مِنّا واحدًا نتّبِعُه

بخلاف الهمزة فإنها تدخل على جميع ما ذكر.

الرابع: بقيّة أدوات الاستفهام موضوعة للتصوُّر فقط - وهيَ: مَا، ومَن، ومَتَى، وأيّان، وكيفَ، وأينَ، وأنّى، وكَمْ، وأيّ.

ما - ومن

ما: موضوعة للاستفهام عن غير العقلاء - ويُطْلَب بها:

أ - إيضاح الاسم: نحو ما العَسْجَدُ؟ فيقال في الجواب إنه ذهبٌ.

ب - أو يُطلبُ بها بيان حقيقة المُسمَّى: نحو: ما الشمس؟ فيُجاب بأنه كوكبٌ نهاريٌّ.

ج - أو يُطْلَب بها بيان الصّفة نحو: ما خليلٌ؟ وجوابه طويل أو قصير: مثلًا.

وتقع هل البسيطة في التّرتيب العقلي(٣) بين «ما» التي لشرح الاسم والتي للحقيقة، فَمن يجهل معنى البشر مثلًا يَسأل أوّلًا «بما» عن شرحه فيُجاب بإنسان؛ ثم «بهل» البسيطة عن وجوده، فيُجاب بنعم.

ثم «بما» عن حقيقته، فيُجاب بحيوان ناطق.

ومن: موضوعة للاستفهام - ويُطلب بها تعيين العقلاء - كقولك: مَنْ فتحَ مصرَ؟ ونحو: مَنْ شيَّدَ الهرم الأكبر؟ ومَنْ شَيَّدَ القَنَاطِرَ الخيريّة.

(١) أي لأنّ هل في الأصل بمعنى قد، وهي لا تدخل على المنفي، فلا يقال قد لا يقوم خليل - فحينئذٍ هي مخصوصة بدخولها على النّسب المثبتة، سواء أكانت جملًا فعلية أو اسمية - واعلم أن عدم دخولها على المنفي لا ينافي أنها لطلب التصديق مطلقًا سواء في الإيجابي والسلبي.

(٢) أي لا تقع هل قبل الحرف العاطف بل تقع بعده دائمًا.

(٣) الترتيب العقلي هو أن يكون المتأخر متوقفًا على المتقدم من غير أن يكون المتقدم علة له - كتقدم المفرد على المركب.

متى - وأيان

متى: موضوعة للاستفهام، ويُطلب بها تعيين الزّمان سواء أكان ماضيًا أو مستقبلًا - نحو متى تولّى الخِلافةَ عُمَرُ؟ ومتى نَحظى بالاستقلال. وأيّان موضوعة للاستفهام، ويُطلب بها تَعيين الزّمان المُستقبل خاصّةً.

وتكون في موضع التّهويل والتّفخيم دون غيره كقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝٦﴾(١).

كيف وأين وأنى وكم وأي

كيف موضوعة - للاستفهام - ويُطلبُ بها تعيينُ الحال كقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ﴾(٢) - وكقوله:

[الطويل]

وكيف أخافُ الفَقر أو أُحرَمُ الغِنَى ورأيُ أميـرِ الـمُـؤمـنـيـن جـمـيـ

وأين للاستفهام - ويُطلب بها تعيين المكان نحو: ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ﴾(٣) وأنّى للاستفهام - وتأتِي لمعان كثيرة:

١ - فتكون بمعنى كيف - كقوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾(٤).

٢ - وتكون بمعنى مِنْ أين - كقوله تعالى: ﴿يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾(٥).

٣ - وتكون بمعنى متى - كقولك - زُرني أنّى شِئتَ.

وكم للاستفهام - ويُطلب بها تعيين عددٍ مُبهم كقوله تعالى: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾(٦).

وأيّ للاستفهام - ويُطلب بها تمييزُ أحد المُتشاركين في أمرٍ يَعُمُّهَا كقوله تعالى: ﴿أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾(٧) ويُسأل بها عن الزمان والمكان والحال، والعدد، والعاقل؛ وغيره - على حسب ما تضاف إليه.

وقد تخرُج ألفاظ الاستفهام عن معناها الأصلي - فيُستفهم بها عن الشّيء مع العلم به - لأغراض أخرى تُفهَم من سِياق الكلام ودلالته.

ومن أهمّ ذلك:

---

(١) أي فقد استعملت أيان مع يوم القيامة للتهويل والتفخيم بشأنه - وجواب عن السؤال ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣﴾ [الذاريات: ١٣]، سورة القيامة: الآية ٦.

(٢) سورة النساء: الآية ٤١.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٢٢.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٥٩.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٣٧.

(٦) سورة الكهف: الآية ١٩.

(٧) سورة مريم: الآية ٧٣.

١ ـ الأمر: كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾(١) أي انتهوا.

٢ ـ والنَّهي: كقوله تعالى: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ(٢) فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾(٣).

٣ ـ والتَّسوية كقوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(٤).

٤ ـ والنّفي: كقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠﴾(٥).

٥ ـ والإنكار(٦) كقوله تعالى: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾(٧).

٦ ـ والتّشويق: كقوله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(٨).

٧ ـ والاستئناس: كقوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧﴾(٩).

٨ ـ والتَّقرير(١٠): كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾(١١).

٩ ـ والتّهويل: كقوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣﴾(١٢).

١٠ ـ والاستبعاد: كقوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝١٣﴾(١٣) ونحو: أَنَّى يكون لي مالُ قارونَ.

١١ ـ والتّعظيم: كقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾(١٤).

١٢ ـ والتحقير: نحو: أهذا الذي مدحتَه كثيرًا.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٩١.
(٢) أي لا تخشونهم فالله أحق أن تخشوه
(٣) سورة التوبة: الآية ١٣.
(٤) سورة البقرة: الآية ٦.
(٥) أي ما جزاء الإحسان إلا الإحسان، سورة الرحمن: الآية ٦٠.
(٦) إعلم أن الإنكار إذا وقع في الإثبات يجعله نفيًا ـ كقوله تعالى: ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: ١٠]؟ أي لا شك فيه. وإذا وقع في النفي يجعله إثباتًا نحو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾ [الضحى: ٦] ـ أي قد وجدناك. وبيان ذلك أن إنكار الإثبات والنفي نفي لهما. ونفى الإثبات نفي ـ ونفي النفي إثبات. ثم الإنكار قد يكون للتكذيب نحو ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦﴾ [القيامة: ٣٦] ـ وقد يكون للتوبيخ واللوم على ما وقع نحو ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ [الصافات: ٩٥].
وهذه الآية من كلام إبراهيم عليه السلام لقومه حينما رآهم يعبدون الأصنام من الحجارة.
(٧) سورة الأنعام: الآية ٤٠.
(٨) سورة الصف: الآية ١٠.
(٩) سورة طه: الآية ١٧.
(١٠) ويكون غالبًا بالهمزة يليها المقرر به كقولك أفعلت هذا ـ إذا أردت أن تقرره بأن الفعل كان منه، وكقولك أأنت فعلت هذا ـ إذا أردت أن تقرره بأنه الفاعل، وكقولك أخليلًا ضربت ـ إذا أردت أن تقرره بأن مضروبه خليل ويكون التقرير أحيانًا بغير الهمزة نحو: لمن هذا الكتاب، وكم لي عليك.
(١١) سورة الشرح: الآية ١.
(١٢) سورة الحاقة: ١ - ٣.
(١٣) سورة الدخان: الآية ١٣.
(١٤) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

١٣ ـ والتَّعجُب: كقوله تعالى: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾(١) ـ ونحو ما بَالك تضيّع الوقت سُدًى.

١٤ ـ والتهكُّم: نحو: أعقلك يُسوِّغ لك أن تفعل كذا.

١٥ ـ والوعيد: نحو: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦﴾(٢).

١٦ ـ والاستبطاء: كقوله تعالى: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾(٣) ونحو: كم دعوتك.

١٧ ـ والتّنبيه على الخطأ: كقوله تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾(٤).

١٨ ـ والتّنبيه على الباطل: كقوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ﴾(٥).

١٩ ـ والتّنبيه على ضلال الطّريق: كقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝٢٦﴾(٦).

٢٠ ـ والتّكثير: كقول أبي العَلاءِ المعرّي:

[الخفيف]

صاح هذه قبورُنا تَملأ الرَّحـ ـبَ فأينَ القُبُورُ من عَهد عَاد

تطبيق

ماذا يراد بالاستفهام فيما يلي:

[الوافر]

١ ـ ألستُم خيرَ مَن رَكب المطايا وأندَى العالمينَ بطون راحِ

[المتقارب]

٢ ـ أنلهُو وأيامُنا تذهبُ ونلعبُ والموتُ لا يَلْعَبُ

[الطويل]

٣ ـ متى يبلغ البنيانُ يوما تمامَه إذا كنت تبنيه وغيرُكَ يَهدمُ

[الكامل]

٤ ـ فعلامَ يلتمس العدوُّ مَساءتي مِن بعد ما عرفَ الخلائقُ شاني

(١) سورة الفرقان: الآية ٧.
(٢) سورة الفجر: الآية ٦.
(٣) سورة البقرة: الآية ٢١٤.
(٤) سورة البقرة: الآية ٦١.
(٥) سورة الزخرف: الآية ٤٠.
(٦) سورة التكوير: الآية ٢٦.

١ ـ التقرير لأن المقام للمدح وذلك أبلغ فيه.
٢ ـ النهي عن اللعب ويصح أن يكون للتهجم.
٣ ـ الإنكار وبيان أن ذلك لن يكون.
٤ ـ التعجب من عمل لا يجديه نفعًا.

[الطويل]

٥ ـ وكيف أخافُ الفقر أو أحرم الغنى ورأيُ أميرِ المؤمنين جميلُ

[الطويل]

٦ ـ وهل نافعي أن تُرْفع الحُجب بَيننا ودُونَ الذي أمّلتُ منكَ حِجابُ

[الوافر]

٧ ـ أضاعوني وأيَّ فتًى أضاعوا ليوم كريهةٍ وسداد ثغر

[الطويل]

٨ ـ وَمن مثل كافور إذا الخيل أحجمتْ وكان قليلًا مَن يقول لها اقدمي

[الطويل]

٩ ـ أفي الحق أن يُعطى ثلاثون شاعرا ويحرمُ ما دون الرّضا شاعرٌ مثلي

[الطويل]

١٠ ـ أعندي وقد مارستُ كلّ خفيّةٍ يُصدَّق واش أو يُخيَّب سائل

[الطويل]

١١ ـ فدع الوعيد فما وعيدك ضائري أطنينُ أجنحةِ الذّباب يَضيرُ

[الطويل]

١٢ ـ ومن ذا الذي يُذْلي بعذر وحجَّةٍ وسيف المنايا بين عينيه مُصلتُ

[البسيط]

١٣ ـ إذًا محاسنيَ اللّاتي آتيه بها عُدَّت ذنوبًا فقل لي كيف أعتذر

[الوافر]

١٤ ـ إلاَمَ وفيمَ تنقلنا ركابٌ ونأمل أن يكون لنا أوان

أسئلة على الاستفهام يطلب أجوبتها

ما هو الاستفهام؟ ما هي أدواته؟ ما الذي يُطلب بالهمزة؟ ما هو التصوُّر؟ ما هو التصديق؟ ما الفرق بين همزة التصور وهمزة التصديق وهل؟ ماذا يطلب بأدوات

---

٥ ـ النفي وذلك أوقع في المدح.
٦ ـ النفي وبيان أن ذلك ليس بمفيد.
٧ ـ التعظيم وإكبار شأنه.
٨ ـ التعظيم والتنويه بشجاعته.
٩ ـ الإنكار وبيان أن ذلك لا ينبغي أن يكون.
١٠ ـ الإنكار وبيان أن ذلك لا ينبغي أن يكون.
١١ ـ التهكم والتحقير.
١٢ ـ التعظيم وتهويل شأن ذلك الموقف.
١٣ ـ النفي.
١٤ ـ الاستبطاء.

الاستفهام غير الهمزة وهل؟ ما الذي يطلب بمن؟ ما الذي يطلب بما؟ ما الذي يطلب بمتى؟ ما الذي يطلب بكيف؟ ما الذي يطلب بكم؟ ما الذي يطلب بأيان؟ ما الذي يطلب بأنّى؟ ما الذي يطلب بأيّ؟

ما هي المعاني التي تخرج إليها أدوات الاستفهام عن معانيها الأصلية.

المبحث الرابع
في التَّمنِّي

التَّمنِّي ـ هو طَلبُ الشّيء المحبوب الذي لا يُرْجى حصولُه.

١ ـ إمّا لكونه مستحيلًا ـ كقوله:

[الوافر]

ألا لـيـتَ الـشَّـبـابَ يـعـودُ يـومًـا   فـأُخـبـرَه بـمـا فـعـلَ الْـمـشـيـبُ

٢ ـ وإمّا لكونه ممكنًا غير مطموعٍ في نيله كقوله تعالى: ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ﴾[1].

وإذا كان الأمرُ المحبوبُ مِمَّا يُرْجَى حصولُه كان طلبه تَرجِّيًا.

ويُعبَّرُ فيهِ «بعسَى، ولعلَّ» كقوله تعالى: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾[2] و﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ﴾[3].

وقد تُسْتَعملُ في التَّرجِّي «لَيْتَ» لِغرض بَلاَغِيٍّ[4].

وللتَّمنِّي أربعُ أدوات ـ واحدةٌ أصليَّةٌ وهي «لَيْتَ».

وثلاثٌ غيرُ أصليَّةٍ نَائبةٌ عنها ويُتَمَنَّى بها لغرض بلاغِيٍّ ـ وهي:

١ ـ هل[5]: كقوله تعالى: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ﴾[6].

---

(١) سورة القصص: الآية ٧٩.   (٢) سورة الطلاق: الآية ١.

(٣) سورة المائدة: الآية ٥٢.

(٤) الغرض هو إبراز المرجو في صورة المستحيل مبالغة في بُعد نيله ـ نحو: [الطويل]

فـيـا لـيـت مـا بـيـنـي وبـيـن أحـبـتـي   من الـبـعـد مـا بـيـنـي وبـيـن الـمـصـائـب

وقد تستعمل أيضًا للتندّم نحو «يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلًا».

(٥) اعلم أن سبب العدول عن ليت إلى «هل» إبراز المتمنيّ لكمال العناية به في صورة الممكن الذي لا يجزم بانتفائه وهو المستفهم عنه.

(٦) لما كان عدم الشفاء معلومًا لهم امتنع حقيقة الاستفهام وتولّد منه التمني المناسب للمقام، سورة الأعراف: الآية ٥٣.

٢ ـ ولو[1]: كقوله تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾[2].

٣ ـ ولَعلَّ[3]: كقوله:

[الطويل]

أسِربَ القَطا هلْ مَن يُعيرُ جناحهُ   لعلّي إلى مَنْ قَدْ هَوِيتُ أطيرُ

* ولأجل استعمالِ هذه الأدوات في التَّمَنّي يُنصب المضارع الواقع في جوابها.

تمرين

بيِّن المعاني المُستفادةَ من صِيغ التَّمني فيما يأتي.

قال تعالى: ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾[4].

[البسيط]

عَلَّ اللّيالي الَّتي أضنت بفُرْقتنا   جِسمي سَتَجمعُني يومًا وتَجمعُه

لو يأتنيا فيحُدِّثنَا ـ لعلّي أحجُّ فأزورَك ـ يا ليتني اتَّخذتُ مع الرَّسول سبيلًا ـ هل إلى مَرَدٍّ من سبيل ـ ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ﴾[5] ـ لعلّي أبلغُ الأسبابَ ـ لوْ تتلوا الآيات فتشقَّ سمعي.

[الرمل]

كلّ من في الكون يشكُو دَهرهُ   ليت شِعري هذه الدنيا لِمنْ

[الوافر]

فليت اللّيل فيه كان شهرًا   ومرَّ نهارُهُ مَرَّ السَّحاب

[الوافر]

فلَيْتَ هَوَى الأحِبة كان عَدْلًا   فحمَّلَ كلَّ قلب مَا أطَاقا

(١) وسبب العدول إلى «لو» الدلالة على عزة متمناه وندرته حيث أبرزه في صورة الذي لا يوجد لأن «لو» تدل بأصل وضعها على امتناع الجواب لامتناع الشرط.

(٢) سورة الشعراء: الآية ١٠٢.

(٣) وذلك لبعد المرجو فكأنه مما لا يرجى حصوله، واعلم أن «هلّا وألّا ولو ما ولو لا» ـ مأخوذة من «هل ولو» بزيادة ما ولا عليهما ـ وأصل «ألّا هلّا» قلبت الهاء همزة ليتعين معنى التمني ويزول احتمال الاستفهام والشرط فيتولّد من التمني معنى التنديم في الماضي نحو: هلّا قمت، ومعنى التحضيض في المستقبل نحو هلّا تقف ولا يُتمنى بهل ولو ولعل إلا في المقطوع بعدم وقوعه لئلا تحمل على معانيها الأصلية.

(٤) سورة غافر: الآية ١١.   (٥) سورة القصص: ٧٩.

المبحث الخامس
في النِّدَاء

النِّداء: هو طلبُ المُتكلِّم إقبالَ المُخاطَبِ عليه بحرف نائب مناب «أُنادي» المنقول من الخبر إلى الإنشاء، وأدواته ثمانية:

الهمزة. وأيّ. ويَا. وآ. وآيْ. وأيَا. وَهيَا. ووَا[1].

وهي في الاستعمال نوعان:

١ ـ الهمزة وأي ـ لنِدَاء القريب.

٢ ـ وباقي الأدوات لِنِدَاء البعيد.

وقد يُنَزَّلُ البعيد منزلة القريب ـ فيُنادى بالهمزة وأيّ. إشارة إلى أنه لِشدَّة استحضاره في ذهن المتكلّم صار كالحاضر معه لا يغيب عن القلب وكأنه ماثِلٌ أمام العين ـ كقول الشاعر:

[الطويل]

أسُكّانَ نَعمانِ الأَرَاكِ تيقَّنُوا ... بأنكُم في رَبع قلبيَ سُكّانُ

وقد يُنَزَّلُ القريب منزلة البعيد ـ فيُنادى بغير «الهمزة وأيّ».

أ ـ إشارةً إلى عُلُوِّ مرتبته. فيُجعلُ بُعدُ المنزلة كأنه بُعْدٌ في المكان، كقولك «أيا مولاي» وأنت معه للدّلالة على أن المُنادَى عظيمُ القدر رفيعُ الشّأن.

ب ـ أو إشارة إلى انحطاط مَنْزلتِه ودرجتِهِ ـ كقولك «أيا هذا» لمن هو معك.

ج ـ أو إشارة إلى أن السّامع لغفلته وشرود ذهنه كأنّه غيرُ حاضر كقولك للسّاهي ـ أيا فلان ـ وكقول البارودِي:

[البسيط]

يأيُّها السَّادرُ المُزْوَرُّ من صَلَفٍ ... مَهلًا فإنك بالأيّام مُنْخَدِعُ[2]

وقد تخرج ألفاظ النِّدَاء عن معناه الأصلي إلى معان أخرى تُفهم من السِّياق بمعونة القرائن ـ ومن أهمّ ذلك:

١ ـ الإِغراءُ: نحو قولك لمن أقبل يتظلّم: يا مظلومُ.

---

(١) اعلم أن لفظ الجلالة يختص نداؤه بياء.

(٢) السادر الذاهب عن الشيء ترفعا عنه، والذي لا يبالي ولا يهتم بما صنع، المزور: المنحرف. والصلف: الكبر.

٢ ـ والاستغاثة: نحو: يَا لله للمُؤمنين.

٣ ـ والنُّدبة: نحو:

[الطويل]

فوا عجبًا كم يدَّعي الفضْلَ ناقصٌ   وَوَا أسفًا كم يُظهِر النَّقصَ فاضلُ

٤ ـ والتّعجب: كقوله:

[الرجز]

يا لكِ مِن قُبَّرَةٍ بِمَعْمَرِ   خلاَ لَكِ الجوُّ فبِيضِي واصفرِي

٥ ـ والزَّجر ـ كقوله:

[الرجز]

أَفُؤَادِي مَتَى المتابُ ألمّا   تَصْحُ والشَّيْبُ فَوْقَ رَأْسِي ألمّا

٦ ـ والتّحسُّر والتَّوجُّع كقوله تعالى: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾[1] وكقول الشاعر:

[الطويل]

أيا قَبرَ مَعْنٍ كيف وَاريْتَ جُودَهُ   وَقَدْ كانَ مِنْهُ البَرُّ والبحرُ مُترَعا

٧ ـ والتّذكر: كقوله:

[الطويل]

أيا منزِلَيْ سَلمى سلامٌ عليكما   هل الأزمُن اللَّاتِي مَضيْنَ رواجعُ

٨ ـ والتَّحيُّر والتَّضَجُّر ـ نحو قوله:

[البسيط]

أيا مَنَازلَ سَلمى أينَ سَلماكِ   مِنْ أجل هذَا بكيناهَا بكَيناكِ

ويكثر هذا في نداء الأطلال والمطايا ونحوها.

٩ ـ والاختصاص[2]: وهو ذكر اسم ظاهر بعد ضمير لبيانه. نحو قوله تعالى: ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ﴾[3].

ونحو: نَحن العُلماءَ ورثةُ الأنبياء ـ ويكون الاختصاص:

أ ـ إمّا للتّفاخر: نحو: أنا أُكرِمُ الضّيْفَ أيّها الرَّجُلُ.

ب ـ وإما للتَّواضع: نحو: أنا الفقيرُ المسكينُ أيُّها الرَّجُلُ.

---

(١) سورة النبأ: الآية ٤٠.

(٢) بيان ذلك أن النداء تخصيص المنادى بطلب إقباله عليك ـ فجرد عن طلب الإقبال واستعمل في تخصيص مدلوله من بين أمثاله بما نسب إليه منها.

(٣) سورة هود: الآية ٧٣.

ونحو: اللّهم اغفر لنا أيتها العِصابَة(١).

تمرين

بيِّن المعاني الحقيقيَّة المستفادة من صيغ النِّدَاء ـ والمعاني المجازيةَ المستفادة من القرائن:

[الطويل]

صاحِ شمّر ولا تزَل ذَاكِرَ المو ... تِ فنسيانُهُ ضَلاَلٌ مُبين

[البسيط]

يا لَقومي ويَا لأمثَالِ قَومِي ... لأُناسٍ عُتُوُّهُمْ في ازْدِيَادِ

[البسيط]

يَا للرِّجال ذَوِي الألباب مِنْ نَفَرٍ ... لاَ يَبرَحُ السّفهُ المرْدِي لهم دِينا

[الخفيف]

أيها القلبُ قد قَضَيتَ مَرَامًا ... فإلامَ الوَلُوع بالشُّهَواتِ

[الطويل]

أيا شجَر الخابور مالَكَ مُورقًا ... كأنّكَ لم تجزَع على ابنِ طَرِيفِ

[السريع]

يا أيها الظّالم في فعله ... الظُّلم مَردُودٌ عَلى من ظلَم

[الطويل]

أريحانةَ العينين والأنف والحشا ... ألا ليت شِعري هل تغيّرت مِن بعدِي

[الرجز]

يا ناقُ سِيري عَنقًا فسيحَا ... إلى سُليمان فتستريحا

[الخفيف]

حَجبوه عن الرّياح لأني ... قلتُ يا ريحُ بلِّغيه السّلاَما

[الرجز]

يا ليتني كُنْتُ صبيًّا مُرضعا ... تحملني الذَّلفاءَ حوْلًا أكتعا

[البسيط]

يا ليلةً لستُ أنسى طيبها أبدًا ... كأنَّ كلّ سرورٍ حاضرٌ فيها

[أحذ الكامل]

يا ليلةً كالمسك مَخْبُرها ... وكذاك فِي التَّشبيه منظرُها

أحيينها والبدرُ يخدُمني ... والشَّمس أنهاها وآمُرها

---

(١) أي اللهم اغفر لنا مخصوصين من بين العصائِبْ، فصورته صورة النداء وليس به ـ إذا لم يرد به إلا ما دل عليه ضمير المتكلم السابق. ولذا لا يجوز إظهار حرف النداء فيه.

[أحذ الكامل]

يـا مـن تـذَكِّـرني شـمـائـلـه ريح الشَّمال تنفّست سحرا
وإذا امـتـطـى قـلـمٌ أنـامـلَـه سحر العقول به وما سحرا

[الكامل]

يا قلب ويحك ما سمعت لنا صحٍ لـمّا ارتميتَ ولا اتّقيت ملاما

[البسيط]

يا أعدل الناس إلّا في معاملتي فيك الخِصام وأنت الخَصم والحكم

تنبيهات

الأول: يُوضع الخبرُ موضعَ الإنشاء لأغراضٍ كثيرة ـ أهمها:

١ ـ التفاؤل: نحو: هداك اللّهُ لصالح الأعمال.

(كأنّ الهداية حصلت بالفعل) فأخبرَ عنها، ونحو: وفّقك الله.

٢ ـ والاحتراز عن صورة الأمر تأدّبًا واحترامًا نحو: رحم الله فلانًا، ونحو: يَنظر مولايَ في أمري ويَقضِي حاجتي.

٣ ـ والتّنبيه على تيسُّرِ المطلوبِ لقوّة الأسباب.

كقول الأمير لجنده «تأخذون بنوَاصيهم وتُنزلونهم من صَياصيهم».

٤ ـ والمُبالغة في الطّلب للتّنبيه على سُرعة الامتثال.

نحو: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾(١).

لم يقُل لا تسفكوا قصدًا للمُبالغة في النَّهي حتى كأنّهم نهُوا فامتثلوا ثم أخبر عنهم بالامتثال.

٥ ـ إظهار الرَّغبة ـ نحو قولك في غائب: رزقني الله لِقاءَهُ.

الثاني: يُوضع الإنشاء موضع الخبر لأغراض كثيرة:

أ ـ منها إظهار العناية بالشّيء والاهتمام بشأنه ـ كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾(٢).

لم يقل وإقامةِ وجوهكم إشعارًا بالعناية بأمر الصلاة، لعظيم خَطَرِها، وجَليل قَدرها في الدِّين.

ب ـ ومنها التّحاشي والاحتراز عن مُساواة اللّاحق بالسّابق، كقوله تعالى: ﴿قَالَ

---

(١) سورة البقرة: الآية ٨٤.

(٢) سورة الأعراف: ٢٩.

﴿إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٥٤ مِن دُونِهِۦ﴾(١) لم يقل وأُشْهِدكم تحاشيًا وفرارًا مِنْ مُساواة شهادتهم بشهادة الله تعالى.

الثالث: الإنشاء كالخبر في كثير ممّا ذكر فيه، ومما سيُذكر في الأبواب التالية ـ من الذكر والحذف وغيرهما إن شاء الله تعالى.

تطبيق (أ)

بيّن المعاني المستفادةَ من النِّداء، وسببَ استعمال أداةٍ دون غيرها فيما يلي:

[البسيط]

١ ـ أيا مَنَازِلَ سَلمى أَيْنَ سلماكِ ... مِنْ أجلْ هَذَا بكَيناها بكيناكِ(٢)

[الخفيف]

٢ ـ صادِحَ الشّرق قدْ سكَتَّ طَوِيلاً ... وعزيزٌ علينَا ألّا تقولا(٣)

[الطويل]

٣ ـ أيا قبر معن كيف واريت جوده ... وقد كان منه البر والبحر مترعا(٤)

[البسيط]

٤ ـ يا دُرَّةً نُزِعَتْ من تاج والدها ... فأصبحت حِلْيَةً في تاجِ رِضوانِ

[الطويل]

٥ ـ فيا لائِمي دعني أغالي بقيمتي ... فقيمةُ كل الناسِ ما يُحسنونه

(١) سورة هود: الآية ٥٤.

(٢) يريد لعدم وجود سلمى بكيناها وبكينا المنازل ـ فواو العطف محذوفة.

(٣) صدح الرجل رفع صوته بالغناء.

(٤) المترع أي المملوء.

الرقم	الأداة	المعنى المستفاد	سبب إيثار الأداة
١ ـ	أيا	التضجر والتحير مما	تنزيل المنازل المخاطبة منزلة البعيد لعظم شأنها لديه
٢ ـ	يا	التضجر والتحير مما	كون المنادى بعيد المرتبة حقيقة
٣ ـ	أيا	التحسر	تنزيل المخاطب منزلة البعيد إشعارًا برفعة شأنه
٤ ـ	يا	التحسر	تنزيل المنادى منزلة البعيد تنويها بعظم الأمر ورفعة القدر
٥ ـ	يا	الطلب	للإشارة إلى أن المخاطب منحط الدرجة

تطبيق (ب)

الاعتبار الدّاعي لوضع كلٍّ من الخبر والإنشاء موضع الآخر.

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾[1].

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾[2].

[الطويل]

٣ ـ أتاني ـعنَ أنك لُمتَنِي   وتِلك الّتي أهتَمُّ منها وأنَصَبُ[3]

[البسيط]

٤ ـ إذًا فَعاقبني ربِّي مُعاقبة   قرَّت بها عينُ مَنْ يأتيك بالحسد

تدريب

بيِّن فيما يلي الغرضَ من وضع الإنشاء موضعَ الخبر وبالعكس:

[السريع]

١ ـ كلّ خليلٍ كنتُ خاللتُه   لا ترك اللَّهُ له واضحه

٢ ـ قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا﴾[4].

٣ ـ قولك لصديقك: رزقني اللّهُ لِقاءك.

[الطويل]

٤ ـ ولائمة لاَمتك يا فضلُ في النّدَى   فقلتُ لها هل أثّر اللّومُ في البحر

أَتَنْهيْنَ فضلاً عن عطاياه للورى   ومَن ذا الذي يَنهَىٰ الغَمام عن القَطرِ

(١) سورة الإسراء: الآية ٢٣.

(٢) سورة آل عمران: ٩٧.

(٣) أبيت اللعن. كانت تحية الملوك ومعناها أبيت أن تفعل شيئًا تلعن به أهتم أي أصير ذا همّ. أنصب أي أتعب.

(٤) سورة هود: الآية ٤١.

الرقم	نوع الكلام	البيان	الاعتبار
١ ـ	الإنشاء	إذ التقدير أحسنوا بالوالدين والمقام للإخبار	الاهتمام وإظهار العناية
٢ ـ	الخبر	إذ المعنى ليأمن من دخله	إظهار الحرص على وقوعه
٣ ـ	الخبر	المقام للإنشاء إذ الغرض الدعاء له	التفاؤل بالدعاء
٤ ـ	الخبر	المقام للطلب	لإظهار الحرص على وقوعه

أسئلة يطلب أجوبتها

١ ـ عرّف التّمني واذكر ألفاظه.

٢ ـ بيّن الفرق بين التَّمنّي والتّرجي. واذكر ألفاظ ثانيهما.

٣ ـ بيّن النّداء واذكر أدواته. وقسّمها من حيث الاستعمال.

٤ ـ متى يُنزَّل القريب منزلة البعيد وبالعكس.

٥ ـ بيّن المعاني المجازية التي تُستفاد من ألفاظ النّداء.

٦ ـ بيّن الأغراضَ الدّاعية لإيثار الخبر في مقام الإنشاء.

٧ ـ لِمَ يُوضع الإنشاءُ موضع الخبر؟

تطبيق عام على الباب الثاني

[الطويل]

أنا الذَّائد الحامِي الذّمار وإنّما ... يُدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي

الجملة الأولى: خبرية اسمية من الضرب الابتدائي. والمراد بها الفخر وإظهار الشجاعة ـ المسند إليه أنا. والمسند الذائد. والجملة الثانية خبرية فعلية من الضرب الثالث لما فيها من التوكيد بإنما. والمراد بها الفخر وإظهار الشجاعة أيضًا. المسند يدافع. والمسند إليه أنا.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[1] جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث ـ والمراد بها التوبيخ ـ المسند إليه ربّ والمسند ظلّام.

أنت خرجت عن حدّك: جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث ـ والمراد بها التوبيخ ـ المسند إليه أنت. والمسند جملة خرجت.

﴿رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ﴾[2]: جملة ربّ إنشائية ندائية. والمراد بها الدعاء. المسند والمسند إليه محذوفان نابت عنهما ياء النداء المحذوفة ـ وجملة إن قومي كذبون. خبرية اسمية من الضرب الثالث. المراد بها إظهار التحسر. المسند إليه قومي. والمسند جملة كذبون.

زارنا الغيث: جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي. المراد بها إظهار الفرح ـ المسند إليه الغيث. والمسند زاد. وأتى بها فعلية لإفادة الحدوث في الزمن الماضي مع الاختصار.

---

(١) سورة فصلت: الآية ٤٦.

(٢) سورة الشعراء: الآية ١١٧.

ذهب عنا الحزن: جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي. والمراد بها إظهار الشماتة بمدبر ـ المسند ذهب. والمسند إليه الحزن ـ وأتى بها فعلية لإفادة الحدوث في الزمن الماضي مع الاختصار.

قابلت الأمير: جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي. والمراد بها إظهار السرور. المسند قابل. والمسند إليه التاء.

أنا ممتثل لأمرك: جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي والمراد بها إظهار التواضع ـ المسند إليه أنا. والمسند ممتثل. وأتى بها اسمية من الضرب الثالث، والمراد بها التوبيخ للناس. المسند إليه لفظ الجلالة. والمسند جملة لا يظلم وأتى بالمسند جملة لتقوية الحكم بتكرار الإسناد ـ والجملة الإسمية مفيدة للاستمرار الآن بقرينة الإسناد إلى الله تعالى.

ما جاءنا من أحد: جملة خبرية فعلية من الضرب الثالث. والمراد بها فائدة الخبر. المسند جاء، والمسند إليه أحد، وأتى بها فعلية لما تقدم.

أنت نجحت: جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث لما فيها من تقوية الحكم بتكرار الإسناد. والمراد بها لازم الفائدة. المسند إليه أنت. والمسند جملة نجحت.

حضر الأمير: جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي. والمراد بها أصل الفائدة ـ المسند حضر. والمسند إليه الأمير.

سيحرم المقصر: خبرية فعلية من الضرب الابتدائي ـ والمراد بها الذم. المسند سيحرم. والمسند إليه المقصر. وهي تفيد الاستمرار التجددي بقرينة الذم.

ما برح المقصر نادمًا: جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي ـ والمراد بها الذم، المسند إليه المقصر. والمسند نادمًا. وهي مفيدة للاستمرار بقرينة ما برح.

كلما جئتني أكرمتك ـ جملة أكرمتك خبرية فعلية من الضرب الابتدائي. وهي الجملة، وما قبلها قيد لها، لأن الشرطية لا تعتبر إلا بجوابها، المسند أكرم، والمسند إليه التاء، وهي مفيدة للاستمرار التجدّدي بقرينة كلّما.

ما مجتهد صاحباك: جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي، ولا يقال اسمية لأن الاسم حل محل الفعل ـ ولذلك رفع ما بعده على أنه فاعله، والمراد بها الاستمرار بقرينة الذم، المسند مجتهد. والمسند إليه صاحباك، وقس عليها نحو ما مبغوض أنت ـ وما حسن فعل أعدائك، وأقائم أخواك، وهل منصف أصحابك.

كلما ذاكر المجتهد استفاد ـ جملة استفاد فعلية خبرية من الضرب الابتدائي المسند استفاد، والمسند إليه هو، وهي مفيدة للاستمرار التجدديّ بقرينة كلّما.

الشمس طالعة: للعائر ـ جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي.

المسند إليه الشمس: والمسند طالعة. والمراد بها التوبيخ.

الكريم محبوب ـ جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي، المسند إليه الكريم. والمسند محبوب، والمراد بها الاستمرار بقرينة المدح.

من يسافر: جملة إنشائية استفهامية. المسند إليه من. والمسند جملة يسافر التفتوا ـ جملة إنشائية أمرية. المسند التفت والمسند إليه الواو.

لا تتركوا المذاكرة: جملة إنشائية نهيية. المسند تترك والمسند إليه الواو.

ليت البخيل يجود: جملة إنشائية تمنية اسمية. المسند إليه البخيل. والمسند جملة يجود.

هل فهمتم ـ جملة إنشائية استفهامية. المسند فهم. والمسند إليه التاء.

يا تلاميذ ـ جملة إنشائية ندائية. المسند والمسند إليه محذوفان تقديرهما أدعو نابت عنها يا.

الباب الثالث

في أحوال المُسند إليه

المُسندُ إليه هو المبتدأ الذي له خبر، والفاعل ونائبه وأسماء النواسخ وأحواله هي الذكر، والحذف، والتّعريف، والتّنكير، والتّقديم، والتّأخير وغيرها. وفي هذا الباب عدة مباحث.

المبحث الأول

في ذكر المسند إليه

كلّ لفظ يدلّ على مَعنًى في الكلام خليقٌ بالذكر لتأدية المعنى المرادِ به فلهذا يُذكر المُسند إليه وجوبًا. حيث لا قرينة تدلّ عليه عند حذفه.

وإلّا كان الكلام مُعمًّى مُبهمًا لا يَستبينُ المرادُ منه.

وقد يُعمد إلى الذّكر مع وجود قرينة تُمكّن من الحذف.

وذلك لأغراض بلاغيّة كثيرة[1] منها:

١ - زيادة التّقرير والإيضاح للسّامع - كقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾[2] وكقول الشاعر:

[الطويل]

هو الشَّمس في العَلْيَا هو الدَّهر في السَّطا ... هو البدرُ في النّادي هو البحرُ في النَّدى

٢ - قِلّة الثّقة بالقرينة لضعفها، أو ضعف فهم السّامع.

نحو: سعدٌ نِعم الزَّعيم: تقول ذلك إذا سبق ذلك ذكر سعدٍ، وطال عهد السامع

(١) بيان ذلك أنه لم يكن في الكلام قرينة تدلّ على ما يراد حذفه، أو وجدت قرينة ولم يكن هناك غرض يدعو إلى الحذف فلا بد من الذكر جريًا على الأصل، وقد تدعو الظروف والمناسبات إلى ترجيح الذكر مع وجود قرينة تمكّن من الحذف وذلك لأغراض مختلفة كالمذكورة هنا.

(٢) الشاهد في أولئك هم المفلحون حيث كرر اسم الإشارة المسند إليه للتقرير والإيضاح تنبيهًا على أنهم كما ثبتت لهم الأثرة والميزة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح أيضًا، سورة البقرة: الآية ٥.

به، أو ذُكر معه كلام في شأن غيره.

٣ ـ الرَّد على المُخاطب نحو: الله واحد، ردًّا على من قال: اللَّهُ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ.

٤ ـ التّلذُّذُ. نحو الله ربِّي، اللَّهُ حسبِي.

٥ ـ التّعويضُ بغباوة السَّامع نحو سعيدٌ قال كذا، في جواب ماذا قال سعيد.

٦ ـ التّسْجيل على السَّامع(١)، حتَّى لا يَتأتَّى له الإِنكار ـ كما إذا قال الحاكم لشاهدٍ ـ هل أقرّ زيد هذا بأنّ عليه كذا؟ فيقول الشاهد نَعَمْ، زيد هذا أقَرَّ بأنّ عليه كذا(٢).

٧ ـ التّعجُب ـ إذا كان الحكم غريبًا ـ نحو عليٌّ يقاوم الأسد؟.

٨ ـ التّعظيم ـ نحو: حضر سيف الدولة. في جواب من قال: هل حضر الأمير؟

٩ ـ الإِهانة ـ نحو: السَّارق قادم. في جواب من قال: هل حضر السّارق!

المبحث الثاني
في حذف المُسند إليه

الحذف خلاف الأصل وهو قسمان:

أ ـ قسم يظهر فيه المحذوف عند الإعراب ـ كقولهم: أهلًا وسهلًا.

فإنّ نصبَهما يَدُلّ على ناصب محذوف يقدّر بنحو جئتَ أهلًا ـ ونزلت مكانًا سهلًا ـ وليس هذا القسم من البلاغة في شيء.

ب ـ وقسم لا يظهر فيه المحذوف بالإِعراب ـ وإنما تعلم مكانه إذا أنتَ تصفّحت المعنى ووجدته لا يتمّ إلا بمُراعاته. نحو يُعطي ويَمنع ـ أي يعطي ما يشاء ويمنع ما يشاء ـ ولكن لا سبيل إلى إظهار ذلك المحذوف، ولو أنت أظهرته زالت البهجة وضاع ذلك الرّونق(٣).

---

(١) أي كتابة الحكم عليه بين يدي الحاكم.

(٢) فيذكر المسند إليه لئلا يجد المشهود عليه سبيلًا للإنكار بأن يقول للحاكم عند التسجيل إنما فهم الشاهد أنك أشرت إلى غيري ـ فأجاب: ولذلك لم أنكر ولم أطلب الأعذار فيه.

(٣) وفي هذا القسم تظهر دقائق البلاغة ومكنون سرها وروائع أساليبها. ولهذا يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني في باب الحذف: إنه باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانًا إذا لمّ تُبن، وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبرُ، وتدفعها حتى تنظر والأصل في المحذوفات على اختلاف ضروبها أن يكون في الكلام ما يدلّ عليها وإلّا كان الحذف تعمية وألغازًا لا يصار إليه بحال ـ ومن شرط حسن الحذف أنه متى ظهر =

ومن دواعي الحذف إذا دلَّت عليه قرينة وتعلَّق بتركه غرض من الأغراض الآتية:

١ ـ ظهوره بدلالة القرائن عليه ـ نحو: ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾(١) «أي أنا عجوز».

٢ ـ إخفاء الأمر من غير المخاطب ـ نحو: أقبلَ «تُريد عَلِيًّا مثلاً».

٣ ـ تَيَسُّر الإِنكار عند الحاجة ـ نحو: لئيم خسيس ـ بعد ذكر شخص.

٤ ـ الحَذر منْ فوات فرصة سانحة ـ كقول مُنَبِّهِ الصَّياد: غزال «أي هذا غزال».

٥ ـ اختبار تنبُّه السَّامع ـ أو مقدار تنبُّهه ـ نحو: نوره مستفاد من نور الشَّمس ـ أو هو واسطةِ عقد الكواكب «أي القمر» في كلّ من المثالين.

٦ ـ ضِيق المقام عن إطالة الكلام بسبب تضجّر وتوجّع ـ كقوله:

[الخفيف]

قالَ لي كَيْفَ أَنْتَ قُلْتُ عَلِيلٌ سَهَرٌ دَائِمٌ وحُزْنٌ طَوِيلُ(٢)

٧ ـ المُحافظة على السَّجع ـ نحو:

مَنْ طابَتْ سَرِيرَتُهُ، حُمِدَتْ سِيرتُهُ(٣).

٨ ـ المُحافظة على قافية ـ كقوله:

[الطويل]

ومَا المالُ والأَهْلُونَ إلّا ودَائعٌ وَلاَ بُدَّ يوماً أن تُرَدَّ الوَدائعُ(٤)

٩ ـ المُحافظة على وزن ـ كقوله:

[الطويل]

على أنّنِي راضٍ بأن أحملَ الهوَى وأخلصَ منه لا عليَّ وَلاَ لِيا(٥)

١٠ ـ كون المسند إليه مُعيّنًا معلومًا «حقيقة» نحو ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾(٦) «أي

= المحذوف زال ما كان في الكلام من البهجة والطلاوة، وصار إلى شيء غثّ لا تناسب بينه وبين ما كان عليه أوّلا.

(١) سورة الذاريات: الآية ٢٩.

(٢) أي لم يقل أنا عليل لضيق المقام بسبب الضجر الحاصل له من الضنى.

(٣) أي لم يقل حمد الناس سيرته للمحافظة على السجع المستلزم رفع الثانية.

(٤) فلو قيل أن يردّ الناس الودائع لاختلفت القافية لصيرورتها مرفوعة في الأول منصوبة في الثاني.

(٥) أي لا عليّ شيء ولا لي شيء.

(٦) سورة المؤمنون: الآية ٩٢، سورة الرعد: الآية ٩، سورة الأنعام: الآية ٧٣، سورة التوبة: الآيتان ٩٤ - ١٠٥.

الله» ـ أو «ادّعاءً» نحو وَهَّابُ الألوف «أي فلان».

١١ ـ إتِّباع الاستعمال الوارد على تركه[١] ـ نحو رَمْيَةٌ من غير رامٍ «أي هذه رمية» ونحو ـ نِعَم الزّعيم سعدٌ: أي سعدٌ.

١٢ ـ الخوف منه أو عليه ـ نحو ضُرِبَ سعيد.

١٣ ـ تكثيرُ الفائدة ـ نحو ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾[٢] «أي فأمري صبرٌ جميل».

١٤ ـ تَعيُّنه بالعهدية ـ نحو ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾[٣] أي السّفينة ونحو «حتّى توارت بالحجاب» أي الشمس.

تدريب

بيِّن أسباب ذكر وحذف المسند إليه في الأمثلة الآتية.

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾[٤] الرَّئيس كلَّمني في أمرك والرئيس أمرني بمقابلتك،[٥] الأَمير نشر المعارف وأمَّنَ المخاوف[٦] ـ محتالٌ مُرَاوِغٌ،[٧] مُنضِجةٌ للزَّرع، مُصْلِحَةٌ للهواء[٨].

[الوافر]

فعبَّاسٌ يصُدُّ الخطبَ عنَّا ... وعبَّاسٌ يجيرُ مَن استجارا

﴿خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾﴾[٩]، مقرّر للشَّرائع مُوَضِّحُ للدَّلائل، ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[١٠].

[الطويل]

وإنِّي من القوم الذين هُمُ هُمُ ... إذا مات منهم سيِّدٌ والنّوادي

[مجزوء الكامل]

أنا فارسٌ أنا شاعرٌ ... في كلّ ملحمة ونادي

---

(١) وكذا أيضًا الوارد على ترك نظائره مثل الرفع على المدح نحو: مررت بزيد الهمامُ ـ وعلى الذم نحو رأيت بكرًا اللئيمُ ـ وعلى الترحم مثل: ترفق بخالد المسكينُ.

(٢) سورة يوسف: الآيتان، ١٨، ٨٣.

(٣) قيل الجودي هو الجبل الذي وقفت عليه سفينة نوح وهي معهودة في الكلام السابق في قوله واصنع الفلك بأعيننا الخ، سورة هود: الآية ٤٤.

(٤) سورة الجن: الآية ١٠.

(٥) تخاطب غبيًا.

(٦) جوابًا لمن سأل ما فعل الأمير؟.

(٧) بعد ذكر إنسان.

(٨) تعني الشمس.

(٩) سورة الأعلى: الآية ٢.

(١٠) أي لو شاء هدايتكم، سورة النحل: الآية ٩.

[الكامل]

إن حلّ في رُومٍ ففيها قَيْصَرٌ ... أو حلَّ في عُرْبٍ ففيها تبّعُ

تطبيق

وضّح دَواعي الحذف في التّراكيب الآتية:

[الطويل]

ملوكٌ وإخوانٌ إذا ما مدحتُهم ... أحكَّم في أموالهم وأُقَرَّبُ

[الطويل]

أمَا والذي أبكي وأضْحَكَ والَّذي ... أمَاتَ وأَحْيَا والّذِي أمْره أمْر

[الوافر]

١ - لَسِنٌ إِذَا صَعِدَ المنابر أو نَضا ... فَلَمّا شأى الخُطَبَاءَ والكُتّابا[1]

[الوافر]

٢ - عليلُ الجسم مُمْتَنِعُ القيام ... شديدُ السُّكْرِ مِنْ غير المُدَامِ

[الطويل]

٣ - أحجاجُ لا يفلَل سلاحُكَ إنّما الـ ... ـمنايا بكَفّ الله حيْثُ تراها[2]

[الطويل]

٤ - حَرِيصٌ على الدُّنيا مُضيعٌ لدِينه ... وليس لما في بيته بِمُضيعِ

[الطويل]

٥ - وإنّي رأيت البُخْل يُزْرِي بأهله ... فأكْرَمْتُ نَفسي أنْ يُقال بَخيل

[الكامل]

٦ - لو شِئتَ لم تُفسد سماحة حاتمٍ ... كَرَمًا ولم تهدم مآثِرَ خالِدِ

[الكامل]

٧ - بَرْدُ حَشَايَ إنِ اسْتَطَعْتَ بِلَفْظَةٍ ... فَلقد تضرُّ إذَا تَشاءُ وتَنْفَعُ[3]

---

(١) نضا بمعنى جَرّ - شأى: سبق.

(٢) فلول السيف كسور في حده.

(٣) الحشا، ما انطوت عليه الضلوع.

الرقم	المحذوف	السبب
١ -	المسند إليه	ادعاء العلم به في مقام المدح
٢ -	المسند إليه	ضيق المقام من التوجع
٣ -	المسند إليه	العلم به
٤ -	المسند إليه	ادعاء العلم به في مقام الذم
٥ -	المسند إليه	العلم به
٦ -	المفعول	البيان بعد الابهام
٧ -	المفعول	عدم تعلق الغرض به بتنزيل المتعدي منزلة اللازم

[الطويل]

٨ ـ نجومُ سماءٍ كلما غارَ كَوكَبٌ ... بَدَا كَوْكَبٌ تأوي إليه الكواكب[١]

[الوافر]

وقد عَلِمَ القبائل من معدّ ... إذا قببٌ بأبطحها بنينا
بأنّا المطعمون إذا قدرنا ... وأنّا المُهْلِكون إذا ابتُلينا
وأنّا المانعون لما أردنا ... وأنّا النَّازِلون بحيثُ شِينا
وأنَّا التّاركون إذا سَخطنا ... وأنا الآخذُون إذا رضِينا

أنا النبيُّ لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، أنا سيدُ ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ـ خلَّاق لما يشاء ـ الحمد لله الحميدُ ـ لا تخاطب السفيه اللئيمُ وأحسن إلى الفقير المسكينُ.

المبحث الثالث

في تعريف المسند إليه

اعلم أنَّ حقَّ المسند إليه أن يَكون معرفة، لأنّ المحكوم عليه ينبغي أن يكون معلومًا ليكونَ الحكم مُفيدًا.

وتعريفه[٢] إمّا بالإضمار، وإمَّا بالعلَمِيَّة، وإمَّا بالإشارة، وإمّا بالموصولية وإمّا بأل، وإمّا بالإضافة، وإمّا بالنداء.

(١) أي هؤلاء نجوم.

(٢) اعلم أن كلا من المعرفة والنكرة يدل على معين وإلا امتنع الفهم ـ إلا أن الفرق بينهما أن النكرة يفهم منها ذات المعين فقط ولا يفهم منها كونها معلومًا للسامع وأن المعرفة يفهم منها ذات المعين ويفهم منها كونه معلومًا للسامع لدلالة اللفظ على التعيين، والتعيين فيها إما بنفس اللفظ من غير احتياج إلى قرينة خارجية كما في العَلَم وإما بقرينة تكلم أو خطاب أو غيبة كما في الضمائر، وإما بقرينة إشارة حسية كما في الإشارة ـ وإما بنسبة معهودة كما في الأسماء الموصولة وإما بحرف وهو المعرّف بأل والنداء. وإما بإضافة معنوية وهو المضاف إلى واحد مما ذكر ما عدا المنادى.

واعلم أنه قدم ذكر الإضمار لأنه أعرف المعارف ـ وأصل الخطاب أن يكون لمعين وقد يستعمل أحيانًا دون أن يقصد به مخاطب معين كقول المتنبي: [الطويل]

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته ... وإن أنت أكرمت اللّئيم تمرّدا

أخرج الكلام هنا في صورة الخطاب ليفيد العموم.

الرقم	المحذوف	السبب
٨	المسند إليه	ادعاء تعيينه في مقام المدح

المبحث الرابع
في تعريف المسند إليه بالإضمار

يُؤْتَى بالمسند إليه ضميرًا لأغراض:

١ ـ لكون الحديث في مقام «التكلم» كقوله عليه الصلاة والسلام: «أنا النبيُّ لا كذِب، أنا ابن عبد المُطّلِب».

٢ ـ أو لكون الحديث في مقام (الخطاب) كقول الشاعر:

[الطويل]

وأنتَ الذي أخلَفتَني ما وعدتَنِي ... وأشْمَتَّ بي مَن كان فيك يَلومُ

٣ ـ أو لكون الحديث في مقام «الغيبة» نحو: هو اللَّهُ تبارك وتعالى، ولا بدَّ من تقدُّم ذكره:

أ ـ إمّا لفظًا ـ كقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾[1].

ب ـ وإمّا معنى ـ نحو: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾[2].

أي الرُّجوع ونحو: «اعدلوا هو أقرب للتقوى» أي العدل.

ج ـ أو دلّتْ عليه حال ـ كقوله تعالى: ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾[3] «أي الميت».

تنبيهات

الأوّل: الأصل في الخطاب أن يكون لمُشاهَد مُعيّن.

نحو: أنتَ استرقَقْتَنِي بإحْسانك ـ وقد يُخاطب:

أ ـ غيرُ المُشَاهَدَ إذا كان مُستحضرًا في القلب نحو ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ﴾[4].

ب ـ وغير المُعيّن: إذَا قُصِد تعميم الخطاب لكلٍّ من يُمكن خطابه على سبيل البدل ـ لا التَّناوُل دَفعة واحدةً بقول المُتنبّي:

[الطويل]

إذا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الكريمَ مَلَكْتَه ... وإنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللّئيم تَمرَّدَا

الثاني: الأصل في وضع الضَّمير عدمُ ذكره إلا بعد تَقدُّم ما يُفسِّرُهُ وقد يُعدل عن هذا الأصل فيُقدم الضَّمير على مرجعه لأغراض كثيرة.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٨٧.
(٢) سورة النور: الآية ٢٨.
(٣) سورة النساء: الآية ١١.
(٤) سورة الأنبياء: الآية ٨٧.

أ ـ منها تمكين ما بعد الضَّمير في نفس السّامع لتشوُّقه إليه.

كقوله:

[الطويل]

هـيَ الـنَّـفـس مـا حَـمّـلْـتَـهَـا تَـتَـحَـمّـلُ

فإنها لا تَعْمى الأَبصار ـ ونِعمَ رجلًا عليٌّ ـ فالفاعل ضمير يفسِّره التّمييز ويطَّرد ذلك في بابي نعم وبئس، وفي باب ضمير الشأن ـ نحو ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[1].

ب ـ ومنها ادّعاء أنّ مَرجع الضَّمير دائم الحضور في الذِّهن نحو ـ أقبل وعليه الهيبة والوقار... ونحو قول الشاعر:

[الكامل]

أبَـتِ الـوِصَـالَ مـخـافَـةَ الـرُّقـبـاء وأتَـتْـكَ تَـحـتَ مـدَارِعِ الـظُّـلَـمـاء

الثالث: يُوضع الظّاهر ـ (سواء أكان علمًا، أو صفة، أو اسم إشارة) موضع الضمير لأغراض كثيرة:

١ ـ منها إلقاء المهابة في نفس السّامع ـ كقول الخليفة: أمير المؤمنين يأمر بكذا.

٢ ـ وتمكين المعنى في نفس المخاطب ـ نحو: اللّهُ ربّي ولا أُشْرِكُ بربِّي أحَدًا.

٣ ـ ومنها التلذُّذ ـ كقول الشاعر:

[الطويل]

سَقَىٰ الله نجدًا والسَّلام على نجد ويا حَبّذا نجدٌ على القُرْبِ والبُعد

٤ ـ ومنها الاستعطاف ـ نحو اللّهم عبدك يَسألك المغفرة (أي أنا أسألك).

ويُسمّى هذا العدول بالإِظهار في مقام الإِضمار.

المبحث الخامس

في تعريف المسند إليه بالعمليّة

يُؤتى بالمُسند إليه علمًا لإحضار معناه في ذهن السّامع باسمه الخاص ليمتاز عمّا عداه ـ كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾[2].

وقد يُقصد به مع هذا أغراض أخرى تُناسب المقام.

١ ـ كالمدح في الألقاب التي تُشعِر بذلك ـ نحو جاء نصر ـ وحضر صلاح الدين.

٢ ـ والذمّ والإهانة ـ نحو جاء صخر ـ وذهب تأبَّط شرًّا.

(١) سورة الإخلاص: الآية ١. (٢) سورة البقرة: الآية ١٢٧.

٣ ـ والتّفاؤل ـ نحو جاء سرور.

٤ ـ والتّشاؤم ـ نحو حربٌ في البلد.

٥ ـ والتبرُّك ـ نحو الله أكرمني. في جواب هل أكرمك الله؟

٦ ـ والتّلذّذ ـ كقول الشاعر:

[البسيط]

بـالله يَـا ظـبـيَـاتِ الـقَـاعِ قُـلْـنَ لـنـا لَـيلايَ منكُـنَّ أم لَـيْـلـى مـن الـبَـشَـرِ

٧ ـ والكناية عن معنى يَصلح العلمُ لذلك المعنى بحسب معناه الأصلي قبل العلميّة ـ نحو. أبو لهب فعل كذا... كناية عن كونه جُهَنّمِيًّا.

لأن اللَّهَب الحقيقي هو لهب جهنم ـ فيصحّ أن يُلاحظ فيه ذلك.

المبحث السادس

في تعريف المسند إليه بالإشارة

يُؤْتَى بالمسند إليه اسمُ إشارة إذا تعيَّن طريقًا لإحضار المُشار إليه في ذهن السَّامع، بأن يكون حاضرًا محسوسًا، ولا يعرف المتكلّم والسَّامع اسمه الخاص، ولا مُعيِّنًا آخر، كقولك أتبيع لي هذا ـ مشيرًا إلى شيء لا تعرف له اسمًا ولا وصفًا.

أما إذا لم يتعيَّن طريقًا لذلك، فيكون لأَغراض أُخرى.

أ ـ بيان حاله في القُرْب ـ نحو هذه بضاعتنا.

ب ـ بيان حاله في التّوسّط ـ نحو ذاك ولدي.

ج ـ بيان حاله في البعد ـ نحو ذلك يوم الوعيد.

٢ ـ تعظيم درجته بالقرب نحو ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[(١)] أو تعظيم درجته بالبُعد كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[(٢)].

٣ ـ والتَّحقير بالقرب ـ نحو ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[(٣)]؟

أو التّحقير بالبعد ـ كقوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝﴾[(٤)].

٤ ـ وإظهار الاستغراب ـ كقول الشاعر:

[البسيط]

كـم عـاقـلٍ عـاقـلٍ أعـيَـتْ مَـذَاهِـبُـهُ وجـاهـلٍ جـاهـلٍ تـلـقـاهُ مَـرْزُوقـا

(١) سورة الإسراء: الآية ٩.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢.
(٣) سورة الأنبياء: الآية ٣.
(٤) سورة الماعون: الآية ٢.

هـذا الـذي تـركَ الأوهـام حَـائـرةً وصيَّـر الـعـالـم الـنَّـحـريـر زنـديـقـا

٥ ـ وكمال العناية وتمييزه أكمل تمييز ـ كقول الفرزدق:

[البسيط]

هـذا الـذي تَـعـرفُ الـبَـطـحـاءُ وطـأتـه والـبـيـتُ يـعـرفـهُ وَالـحِـلّ وَالـحَـرم

ونحو قوله: هذا أبو الصَّقر فَردًا في مَحَاسِنه.

٦ ـ والتّعريض بغباوة المخاطب حتى كأنّه لا يفهم غير المحسوس ـ كقوله:

[الطويل]

أُولـئـك آبـائـي فـجـئـنـي بـمـثـلِـهـم إِذَا جَـمَـعَـتـنـا يـا جَـريـرُ الـمـجـامـعُ

٧ ـ والتّنبيه على أن المشار إليه المُعَقَّب بأوصاف جديرٌ لأجل تلك الأوصاف بما يُذكر بعد اسم الإشارة ـ كقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾[1].

وكثيرًا ما يُشار إلى القَريب غير المُشاهَد بإشارة البعد تنزيلًا للبُعد من العيان منزلة البُعد عن المكان نحو: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ۝٨٢﴾[2].

المبحث السابع
في تعريف المسند إليه بالموصولية

يُؤتى بالمسند إليه اسمُ موصول إذا تعيّن طريقًا لإحضار معناه كقولك ـ الذي كان معنا أمس سافر، إذا لم تكن تعرف اسمه. أمّا إذا لم يتعين طريقًا لذلك فيكون لأغراض أخرى.

١ ـ منها التّشويق: وذلك فيما إذا كان مضمونُ الصّلةُ حكمًا غريبًا كقوله:

[الخفيف]

والـذي حـارت الـبـريَّـة فـيـه حـيـوانٌ مـسـتـحـدَثٌ مـن جَـمـاد[3]

٢ ـ ومنها إخفاء الأمر عَنْ غير المخاطب ـ كقول الشاعر:

[الكامل]

وأخـذتُ مـا جـاد الأمـيـرُ بـه وقـضـيـتُ حـاجـاتـي كـمـا أهـوى

---

(١) أي فالمشار إليه بأولئك. هم المتقون. وقد ذكر عقبه أوصاف هي الإيمان بالغيب وإقامة الصلاة وما بعدهما ـ ثم أتى بالمسند إليه اسم إشارة وهو أولئك تنبيهًا على أن المشار إليهم أحقاء من أجل تلك الخصال، بأن يفوزوا بالهداية عاجلًا والفوز بالفلاح آجلًا، سورة البقرة: الآية ٥.

(٢) سورة الكهف: الآية ٨٢.

(٣) يعني تحيّرت البرية في المعاد الجسماني.

٣ ـ ومنها التّنبيه على خطأ المخاطب نحو ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡ﴾[(١)] وكقول الشّاعر:

[الكامل]

إنَّ الَّـذيـن تُـرَونـهـم إخـوانـكـم ... يَشفي غليلَ صُدورهم أن تُصرَعوا[(٢)]

٤ ـ ومنها التّنبيه على خطأ غير المخاطب ـ كقوله:

[الكامل]

إنَّ الّـتـي زعـمـتْ فـؤادك مَـلّـهـا ... خلعتْ هواك كما خلعتَ هوَى لَها

٥ ـ ومنها تعظيم شأن المحكوم به ـ كقول الشاعر:

[الكامل]

إنَّ الـذي سـمـك الـسَّـمـاء بَـنـى لـنـا ... بـيـتًـا دَعـائـمـهُ أعـزُّ وأطـوَلُ[(٣)]

٦ ـ ومنها التّهويل تعظيمًا أو تحقيرًا ـ نحو ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ﴾[(٤)] ونحو ـ مَنْ لم يَدْرِ حقيقة الحال قال ما قال.

٧ ـ ومنها استهجان التّصريح بالاسم ـ نحو الّذي ربّاني أبي[(٥)].

٨ ـ ومنها الإشارة إلى الوجه الذي يُبنى عليه الخبر من ثواب أو عقاب كقوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٌ وَرِزۡقٌ كَرِيمٌ ۝٥٠﴾[(٦)].

٩ ـ ومنها التّوبيخ ـ نحو: الّذي أحسن إليك قد أسأتَ إليه.

١٠ ـ ومنها الاستغراق: نحو: الّذين يأتونك أكْرِمْهم.

١١ ـ ومنها الإبهام نحو: لكلّ نفسٍ مَا قدّمتْ.

واعلم أنّ التّعريف بالموصوليّة مبحث دقيق المسلك، غريب النّزعة يُوقفك على دَقائقِ من البلاغة تؤنسُك إذا أنت نظرتَ إليها بثاقِب فكرك، وتُثلجُ صدرك إذا تأمّلتها بصادق رأيك، فأسرارُ ولطائفُ التّعريف بالموصوليّة لا يمكن ضبطها، واعتبر في كلّ مقام ما تراه مُناسبًا.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٩٤.

(٢) أي من تظنون أخوتهم يحبون دماركم فأنتم مخطئون في هذا الظن ـ ولا يفهم هذا المعنى لو قيل إن قوم كذا يشفي الخ.

(٣) أي إن من سمك السماء بنى لنا بيتًا من العز والشرف هو أعز وأقوى من دعائم كل بيت.

(٤) أي غطاهم وسترهم من البحر موج عظيم لا تحيط العبارة بوصفه، سورة طه: الآية ٧٨.

(٥) أي بأن كان اسمه قبيحًا كمن اسمه (برغوت أو جحش أو بطة أو غيره).

(٦) سورة الحج: الآية ٥٠.

المبحث الثامن
في تعريف المسند إليه بأل

يُؤْتى بالمُسند إليه مُعرّفًا بِأل العَهْدِيَّة ـ أو ـ أل الجنسية: لأغراضٍ:

أل العهدية

أل العهدية: تدخل على المُسند إليه للإشارة إلى فرد معهود خارجًا بين المُتخاطبين ـ وعهده يكون:

أ ـ إمَّا بتقدُّم ذكره «صريحًا» كقوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾[1] ـ ويُسمّى عهدًا صريحيًا.

ب ـ وإمّا بتقدُّم ذكره «تلويحًا» ـ كقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾[2] فللذكر وإن لم يكن مسبُوقًا صريحًا إلا أنه إشارة إلى «ما» في الآية قبله ﴿رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ «مَا» فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا﴾[3].

فإنهم كانوا لا يُحرِّرونَ لِخدمة المقدس إلّا الذكور، وهو المعنيُّ «بمَا» ـ ويُسمّى عهدًا كنائيًّا.

ج ـ وإما بحضوره بذاته ـ نحو ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[4] أو بمعرفة السّامع له نحو: هل انعقد المجلس ـ ويُسمّى عهدًا حُضوريًّا.

---

(١) سورة المزمل: الآية ١٥ ـ ١٦.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٣٦.

(٣) التحرير هو العتق لخدمة بيت المقدس، سورة آل عمران: الآية ٣٥.

تنبيهان: الأول ـ علم ممّا تقدم أن أل التعريفية قسمان:

القسم الأول ـ لام العهد الخارجي وتحته أنواع ثلاثة صريحي ـ وكنائي ـ وحضوري.

والقسم الثاني ـ لام الجنس وتحته أنواع أربعة لام الحقيقة من حيث هي ـ ولام الحقيقة في ضمن فرد مهم ـ ولام الاستغراق الحقيقي ـ ولام الاستغراق العرفي فمجموع أقسام أل من حيث هي سبعة.

الثاني استغراق المفرد أشمل من استغراق المثنى والجمع لأن المفرد يتناول كل واحد واحد من الأفراد. والمثنى إنما يتناول كل اثنين اثنين. والجمع إنما يتناول كل جماعة جماعة ـ بدليل صحة لا رجالَ في الدار إذا كان فيها رجل أو رجلان ـ بخلاف قولك لا رجلَ: فإنه لا يصحّ إذا كان فيها رجل أو رجلان.

وهذه القضية ليست بصحيحة على عمومها، وإنما تصحّ في النكرة المنفية دون.

(٤) سورة المائدة: الآية ٣.

أل الجنسية

أل الجنسية: (وتُسمَّى لامَ الحقيقة) تدخل على المسند إليه لأغراض أربعة:

١ ـ للإشارة إلى الحقيقة من حيث هي بقطع النّظر عن عمومها وخصوصها نحو الإنسان حيوانٌ ناطق (وتُسمّى لامَ الجنس) لأن الإشارة فيه إلى نفس الجنس، بقطع النظر عن الأفراد ـ ونحو: الذّهب أثمن من الفضّة.

٢ ـ أو للإشارة إلى الحقيقة في ضمن فرد مُبهم، إذا قامت القرينة على ذلك كقوله تعالى: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾(١).

ومدخولها في المعنى كالنكرة فيُعامَل مُعاملتها (وتُسَمَّى لامَ العهد الذِّهني).

٣ ـ أو للإشارة إلى كلِّ الأفراد التي يتناولها اللَّفظ بحسب اللغة.

أ ـ بمعونة قرينة «حالية» نحو ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾(٢).

أي كلّ غائب وشاهد.

ب ـ أو قرينة «لفظية» نحو ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾(٣).

أي كلّ إنسان ـ بدليل الاستثناء بعده ـ ويُسمَّى استغراقًا حقيقيًّا.

٤ ـ أو للإشارة إلى كلّ الأفراد مقيّدًا ـ نحو: جمع الأمير التُّجار وألقى عليهم نصائحه ـ أي جمع الأمير «تجّار مملكته» لا تجّارَ العالَم أجمعَ (ويسمّى استغراقًا عرفيًا).

المبحث التاسع
في تعريف المسند إليه بالإضافة

يُؤْتَى بالمُسند إليه مُعرَّفًا بالإضافة إلى شيء من المعارف السَّابقة لأغراض كثيرة.

١ ـ منها أنها أخصر طريق إلى إحضاره في ذهن السّامع ـ نحو جاء غلامي ـ فإنه أخصر من قولك: جاء الغلام الذي لي:

٢ ـ ومنها تعذُّر التَّعدُّد أو تعسُّره ـ نحو ـ أجمع أهل الحقِّ على كذا وأهلُ مصرَ كرامٌ.

٣ ـ ومنها الخروجُ مِن تَبِعة تقديم البعض على البعض ـ نحو حضر أمراء الجند.

٤ ـ ومنها التّعظيم للمضاف ـ نحو كتاب السُّلطان حضر.

---

(١) سورة يوسف: الآية ١٣. (٢) سورة الزمر: الآية ٤٦.

(٣) سورة العصر: الآية ٢.

أو للمضاف إليه: نحو الأمير تلميذي ـ أو غيرهما نحو: أخو الوزير عندي [الجمع المعرف باللام ـ لأن المعرف بلام الاستغراق يتناول كل واحد من الإفراد نحو ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾(١) بل هو في المفرد أقوى كما دلّ عليه الاستقراء وصرح به أئمة اللغة وعلماء التفسير في كل ما وقع في القرآن العزيز ـ نحو ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾(٢) ـ و ﴿ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٣) ـ و ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾(٤) ـ إلى غير ذلك مما لا يُعدّ ولا يحصى.

الثالث: قد يعرّف الخبر بلام الجنس لتخصيص المسند إليه بالمسند المعرفة وعكسه «حقيقة» نحو هو الغفور الودود. ونحو ـ وتزوّدوا فإن خير الزاد التقوى أو «ادّعاء» للتنبيه على كمال ذلك الجنس في المسند إليه نحو محمد العالم ـ أي الكامل في العلم ـ أو كماله في المسند ـ نحو الكرم التقوى (أي لا كرم إلا هي).

٥ ـ ومنها التّحقير للمضاف ـ نحو وَلد اللّصّ قادم.

أو للمضاف إليه نحو رفيق زيد لصٌّ ـ أو غيرهما نحو: أخو اللّصّ عند عمرو.

٦ ـ ومنها الاختصار لضيق المقام لفرط الضّجر والسآمة ـ كقول جعفر بن عُلبة «وهو في السِّجن بمكة»:

[الطويل]

هوايَ مع الرّكب اليمانينَ مُصعِدُ جنيبٌ وجُثماني بمكّة مُوثَقُ(٥)

واعلم أنَّ هيئة التركيب الإضافي موضوعة للاختصاص المُصحِّح لأَن يقال: «المضاف للمضاف إليه» فإذا استُعملت في غير ذلك مجازًا كما في الإضافة لأدنى مُلابسة نحو مكرُ اللّيل وكقوله:

[الطويل]

إذا كوكبُ الخرقاء لاحَ بسَحرةٍ سُهيلٌ أذاعت غزلَها في القَرائِب(٦)

---

(١) سورة النساء: الآية ٣٤. (٢) سورة الإسراء: الآية ٥٥.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٩٥، سورة المائدة: الآية ٩٣.

(٤) سورة البقرة: الآية ٣١.

(٥) أي من أهواه وأحبه ذاهب مع ركبان الإبل القاصدين إلى اليمن منضم إليهم، مقود معهم، وجسمي مقيد بمكة محبوس وممنوع عن السير معهم ـ فلفظ هواي أخصر من الذي أهواه ـ ونحوه.

(٦) أضاف الكوكب إلى الخرقاء أي المرأة الحمقاء مع أنه ليس لها لأنها لا تتذكر كسوتها إلا وقت طلوع سهيل سحرًا في الشتاء ـ وتفصيل ذلك أنه يقال إن المرأة الحمقاء كانت تضيع وقتها في الصيف فإذا طلع سُهيل وهو كوكب قريب من القطب الجنوبي في السحر وذلك قرب الشتاء =

المبحث العاشر
في تعريف المسند إليه بالنِّداء(١)

يُؤتى بالمسند إليه مُعرفًا بالنداء لأغراض:

١ ـ منها إذا لم يُعرف للمخاطب عنوان خاصٌ ـ نحو ـ يا رجلُ.

٢ ـ ومنها الإشارة إلى عِلّة ما يُطلب منه نحو ـ يا تلميذ أكتب الدَّرس.

المبحث الحادي عشر
في تنكير المسند إليه

يُؤتى بالمسند إليه نكرة لعدم عِلْم المُتكلم بجهةٍ من جهات التّعريف حقيقةً أو ادّعاءً، كقولك ـ جاء هنا رجل يسأل عنك. إذا لم تعرف ما يُعيّنه من عَلَم أو صِلة أو نحوهما، وقد يكون لأغراض أخرى.

١ ـ كالتّكثير(٢) نحو: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾(٣) (أي رُسُلٌ كثيرة).

٢ ـ والتّقليل ـ نحو: لو كان لنا من الأمر شيء، ونحو: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾(٤).

٣ ـ والتّعظيم والتّحقير ـ كقول ابن أبي السَّمط:

[الطويل]

لَهُ حَاجِبٌ عنْ كلِ أَمْرٍ يَشِينُهُ ... وليسَ لَهُ عَنْ طالب العُرْف حاجِبُ

أي له مانع عظيم وكثير عن كلِّ عيب ـ وليس له مانع قليل أو حقير عن طالب الإحسان(٥) فيحتمل التعظيم والتكثير والتقليل والتحقير.

= أحست بالبرد واحتاجت إلى الكسوة ففرقت غزلها أي قطنها أو كتّانها الذي يصير غزلًا في أقاربها ليغزلوا لها بسبب عجزها عن الغزل ما يكفيها لضيق الوقت، فإضافة كوكب الخرقاء لأدنى ملابسة ـ وقد جعل الشاعر هذه الملابسة بمنزلة الاختصاص.

(١) اعلم أن أغلب البيانيين لم يثبت التعريف بالنداء في تعريف المسند إليه. وتحقيق ذلك يطلب من المطولات.

(٢) اعلم أن الفرق بين التعظيم والتكثير أن التعظيم بحسب رفعة شأن وعلّو الطبقة ـ وأن التكثير باعتبار الكميات والمقادير تحقيقًا كما في قولك إن له إبلا، وإن له لنمًا ـ أو تقديرًا نحو ورضوان من الله أكبر ـ أي قليل من الرضوان من كل شيء ـ ويلاحظ ذلك الفرق في التحقير والتقليل أيضًا.

(٣) سورة فاطر: الآية ٤.

(٤) سورة التوبة: الآية ٧٢.

(٥) أي ومنه قوله: ولله عندي جانب لا أضيعه وللهو عندي والخلاعة جانب ويحتمل التكثير والتقليل =

٤ ـ وإخفاء الأمر ـ نحو قال رجلٌ إنَّك انحرفتَ عن الصَّواب؛ تخفي اسمه حتَّى لا يلحقه أذًى.

٥ ـ وقصد الإفراد ـ نحو: ويلٌ أَهْوَنُ من ويلَين «أي ويل واحد».

٦ ـ وقصد النَّوعية ـ نحو لكلّ داءٍ دَواءٌ (أي لكلّ نوع من الدَّاء نوع من الدَّواء).

المبحث الثاني عشر
في تقديم المسند إليه(١)

اعلم أنّ مَرتبة المُسند إليه التَّقديمُ، وذلك لأنّ مدلوله هو الذي يخطر أولًا في الذِّهن لأنه المحكوم عليه، والمحكوم عليه سابق للحكم طبعًا فلهذا تقدّم وضعًا، ولتقديمه دواعٍ شتَّى:

= قوله تعالى ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ [مريم: ٤٥].

(١) معلوم أن الألفاظ قوالب المعاني. فيجب أن يكون ترتيبها الوضعي حسب ترتيبها الطبيعي. ومن البيِّن أن رتبة المسند إليه التقديم لأنه المحكوم عليه ورتبة المسند التأخير إذ هو المحكوم به ـ وما عداهما فهو متعلقات وتوابع تأتي تالية لهما في الرتبة، ولكن قد يعرض لبعض الكلم من المزايا والاعتبارات ما يدعو إلى تقديمها وإن كان من حقها التأخير فيكون من الحسن إذًا تغيير هذا الأصل واتباع هذا النظام ليكون المقدم مشيرًا إلى الغرض الذي يؤدي إليه ومترجمًا عمّا يريد ولا يخلو التقديم من أحوال أربع:

الأول ـ ما يفيد زيادة في المعنى مع تحسين في اللفظ وذلك هو الغاية القصوى وإليه المرجع في فنون البلاغة ـ والكتاب الكريم هو العُمدة في هذا. انظر إلى قوله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] تجد أن تقديم الجار في هذا قد أفاد التخصيص وأن النظر لا يكون إلا لله مع جودة الصياغة وتناسق السجع.

الثاني ـ ما يفيد زيادة في المعنى فقط نحو: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٦٦﴾ [الزمر: ٦٦] فمتقدم المفعول في هذا لتخصيصه بالعبادة وأنه ينبغي ألّا تكون لغيره، ولو أُخرّ ما أفاد الكلامُ ذلك.

الثالث ـ ما يتكافأ فيه التقديم والتأخير وليس لهذا الضرب شيء من الملاحة كقوله: [الطويل]

وكانت يدي ملأى به ثم أصبحت «بحمد إلهي» وهي منه سليب

فتقديره: ثم أصبحت وهي منه سليب بحمد إلهي.

الرابع ـ ما يختل به المعنى ويضطرب، وذلك هو التعقيد اللفظي ـ أو المعاظلة التي تقدمت، كتقديم الصفة على الموصوف، والصلة على الموصول، أو نحو ذلك كما سلف من قول الفرزدق: [الطويل]

إلى ملك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت كُليبٌ تصاهره

فتقديره إلى ملك أبوه ما أمه من محارب، أي ما أم أبيه منهم، ولا شك أن هذا لا يفهم من كلامه للنظرة الأولى بل يحتاج إلى تأمل وتريث ورفق حتى يفهم المراد منه.

١ ـ منها تعجيل المسَرَّة ـ نحو: العفو عنك صدَرَ به الأمر.

٢ ـ ومنها تعجيل المسَاءة ـ نحو: القَصاصُ حكم به القاضي.

٣ ـ ومنها التّشويق إلى المتأخّر إذا كان المتقدِّم مُشْعِرًا بغرابة كقول المعرّي:

[الخفيف]

والَّـــذي حــارت الــبــريَّــةُ فــيــه حيــوانٌ مُــسْــتــحــدَثٌ مــنْ جَــمــاد(١)

٤ ـ ومنها التّلذّذ ـ نحو: ليلَى وصلَت ـ وسلمى هجرت.

٥ ـ ومنها التّبرُّك ـ نحو: اسمُ الله اهتديتُ به.

٦ ـ ومنها النَّص على عموم السَّلب ـ أو سلب العموم.

فعموم السلب يكون بتقديم أداة العموم(٢) ككلّ. وجميع. على أداة النفي نحو: كلّ ظالم لا يُفلح ـ المعنى لا يفلح أحد من الظّلمَة، ونحو كلّ ذلك لم يكن: أي لم يقع هذا ولا ذاك، ونحو كلّ تلميذ لم يقصّر في واجبه ويسمى «شمول النّفي».

واعلم أنّ عُموم السّلب يكون النّفي فيه لكلِّ فرد.

وتوضيح ذلك أنك إذا بدأت بلفظة «كلّ» كنتَ قد بَنيتَ وسلّطت الكُليَّة على النّفي وأعملتَها فيه ـ وذلك يقتضي ألّا يشذَّ عنه شيء.

وسلب العموم يكون بتقديم أداة النّفي على أداة العموم ـ نحو لم يكن كلّ ذلك، أي لم يقع المجموع، فيحتمل ثبوت البعض، ويحتمل نفي كلّ فرد، لأنّ النّفي يُوَجّه إلى الشّمول خاصة دون أصل الفعل.

ويُسمَّى «نفي الشّمول».

واعلم أن سلب العُموم يكون النّفي فيه للمجموع غالبًا كقول المُتنبِّي:

[البسيط]

مــا كــلُّ رأيِ الــفــتــى يــدعُــو إلــى رَشَــدِ

---

(١) قيل الحيوان هو الإنسان ـ والجماد الذي خلق منه هو النطفة.

وحيرة البرية فيه هو الاختلاف في إعادته للحشر ـ وهو يريد أن الخلائق تحتار في المعاد الجسماني، يدل لذلك قوله قبله: [الخفيف]

بــان أمــر الإلٰــه واخــتــلــف الــنــا س فــداع إلـــى ضـــلال وهـــادي

(٢) بشرط أن تكون أداء لعموم غير معمولة لما بعدها كما مثل ـ فإن كانت معمولة لفعل بعدها سواء تقدمت لفظًا أو تأخرت نحو كلَّ ذنب لم أصنع ـ ولم آخذ كلَّ أسراهم، أفاد الكلام سلب العموم ومنع الشمول غالبًا.

وقد جاء لعموم النفي قليلًا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[(١)].

ودليل ذلك الذَّوق والاستعمال.

٧ ـ ومنها إفادة التّخصيص قطعًا ـ[(٢)] إذا كان المسند إليه مسبوقًا بنفي والمسند فعلاً ـ نحو ما أنا قُلت هذا ـ أي لم أقُلْه: وهو مقول لغيري.

(ولذا لا يصحّ أن يُقال ما أنا قلت هذا ولا غيري، لأن مفهوم ما أنا قلت أنّه مقول للغير، ومنطوق ولا غيري كونه غير مقول للغير، فيحصل التّناقض سلبًا وإيجابًا).

وإذا لم يَسبق المسندَ إليه نفيٌ كان تقديمه محتملًا[(٣)] لتخصيص الحكم به أو تقو إذا كان المسند فعلًا[(٤)] نحو أنت لا تبخل ـ وهو يَهبُ الألوف، فإنَّ فيه الإسناد مرتين، إسناد الفعل إلى ضمير المخاطب في المثال الأول، وإسناد الجملة إلى ضمير الغ في المثال الثاني.

٨ ـ ومنها كون المُتقدِّم محطَّ الإنكار والغرابة ـ كقوله:

[الطويل]

أبعدَ المشِيب المُنقضِي ذي الذَّوائب ... تُحاوِلُ وصلَ الغانيات الكواعب

---

(١) سورة لقمان: الآية ١٨.

(٢) وذلك يكون في ثلاثة مواضع:
الأول ـ أن يكون المسند إليه معرفة ظاهرة بعد نفي نحو ما فؤاد فعل هذا.
الثاني ـ أن يكون المسند إليه معرفة مضمرة بعد نفي نحو ما أنا قلت ذلك.
الثالث ـ أن يكون المسند إليه نكرة بعد نفي نحو ما تلميذ حفظ الدرس.

(٣) وذلك في ستة مواضع:
الأول ـ أن يكون المسند إليه معرفة ظاهرة قبل نفي ـ نحو فؤاد ما قال هذا.
الثاني ـ أن يكون المسند إليه معرفة ظاهرة مثبتة نحو عباس أمر بهذا.
الثالث ـ أن يكون المسند إليه معرفة مضمرة قبل نفي نحو أنا ما كتبت الدرس.
الرابع ـ أن يكون المسند إليه معرفة مضمرة مثبتة نحو أنا حفظت درسي.
الخامس ـ أن يكون المسند إليه نكرة قبل نفي نحو رجل ما قال هذا.
السادس ـ أن يكون المسند إليه نكرة مثبتة نحو تلميذ حضر اليوم في المدرسة.
واعلم أن ما ذكرناه هو مذهب عبد القاهر الجرجاني وهو الحق وخالفه السكاكي.

(٤) فإن قيل: لماذا اشترط أن يكون المسند فعلًا وهل إذا كان المسند وصفًا مشتملًا على ضمير نحو أنت بخيل لم يكن كالفعل في إفادة التقوية ـ أقول: لما كان ضمير الوصف لا يتغير تكلّمًا وخطابًا وغيبة، فهو شبيه بالجوامد، وكانت تقويته قريبة من الفعل لا مثلها تمامًا.

٩ ـ ومنها سُلوك سبيل الرُّقي ـ نحو هذا الكلام صحيح، فصيح، بليغ.

فإذا قلتَ فصيح ـ بليغ، لا يحتاج إلى ذكر صحيح ـ وإذا قلت بليغ لا يحتاج إلى ذكر فصيح.

١٠ ـ ومنها مُرَاعاة التّرتيب الوُجودِي ـ نحو ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[١].

المبحث الثالث عشر
في تأخير المسند إليه

يُؤخّر المسند إليه إن اقتضى المقامُ تقديم المسند ـ كما سيجيء ولا نَلتمسُ دواعي للتّقديم والتّأخير إلا إذا كان الاستعمال يبيح كليهما.

تطبيق عام على أحوال المسند إليه وما قبله

أمير المؤمنين يأمرك بكذا ـ جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث، المراد بالخبر بيان سبب داعي الامتثال. المسند إليه أمير المؤمنين. ذكر للتعظيم. وقدم لذلك والمسند جملة يأمر، ذكر لأن الأصل فيه ذلك، وأخر لاقتضاء المقام تقديم المسند إليه وأتى به جملة لتقوية الحكم بتكرار الإسناد (والتعظيم وتقوية الحكم وكون ذكر المسند هو الأصل ولا مقتضى للعدول عنه واقتضاء المقام تقديم المسند إليه أحوال) والذكر والتقديم والتأخير مقتضيات ـ والإتيان بهذه الجملة على هذا الوجه مطابقة لمقتضى الحال أنت الذي أعانني. وأنت الذي سرّني ـ ذكر أنت ثانيًا لزيادة التقرير والإيضاح، فزيادة التقرير والإيضاح حال ـ والتكرير مقتضى ـ والإتيان بالجملة على هذا الوجه مطابقة لمقتضى الحال.

سعيد يقتحم الأخطار «بعد مدحه» ذكر سعيد للتعظيم والتعجب، فالتعظيم والتعجب حال ـ والذكر مقتضى، والإتيان بالجملة على هذا الوجه مطابقة لمقتضى الحال، حضر الكريم «بعد أحضر سعد» كرم الكريم لتعظيم سعد ومدحه فالتعظيم حال، والذّكر مقتضى، والإتيان بالجملة في هذا الوجه مطابقة لمقتضى الحال، علي كتب الدّرس «جواب ـ ما الذي عمل علي» ـ ذكر علي للتعريض بغباوة السامع. وقدم لتقوية الحكم لكون الخبر فعلًا، فالتعريض والتقوية حالان والذكر والتقديم مقتضيان. والإتيان بالجملة على هذا الوجه مطابقة لمقتضى الحالين، محمود نعم التلميذ «بعد مدح كثير له» ـ ذكر محمود لقلة الثقة بالقرينة وقدم لتقوية الحكم.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾(١) ـ حذف المسند وهو خلقنا ـ لعلم به ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾(٢) ـ حذف المسند إليه وهو الله تعالى للعلم به.

معطي الوسامات والرتب ـ حذف المسند إليه للتنبيه على تعيين المحذوف ادعاء ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦﴾(٣) ـ حذف مفعول آوى للمحافظة على الفاصلة.

صاحبك يدعو إلى وليمة العرس ـ حذف مفعول يدعو للتعميم باختصار.

لا يعطي ولا يمنع إلا الله تعالى ـ حذف المفعولان لعدم تعلق الغرض بهما أهين الأمير ـ حذف الفاعل للخوف عليه.

[الكامل]

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده

قدم نصف الثاني للمحافظة على الوزن:

[البسيط]

ما كلّ ما يتمنّى المرء يدركه

قدمت أداة النفي على أداة العموم لإفادة سلب العموم ونفي الشمول.

جميع العقلاء لا يسعون في الشر ـ قدمت أداة العموم على أداة النفي لإفادة عموم السلب وشمول النفي.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾(٤) ـ قدم الجار والمجرور للتخصيص.

[الوافر]

ونحن التّاركون لما سخطنا ... ونحن الآخذون لما رضينا

الجملة الأولى خبرية اسمية من الضرب الابتدائي ـ والمراد بالخبر إظهار الفخر والشجاعة. المسند إليه نحن. ذكر لأن ذكره الأصل. وقدم للتعظيم، وعرف بالإضمار لكون المقام للتكلم مع الاختصار. والمسند التاركون. ذكر وأخر لأن الأصل ذلك.

[الطويل]

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني ... وأشمتَّ بي من كان فيك يلوم

جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي. والمراد بالخبر التوبيخ. المسند إليه أنت. ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك. وعرف بالإضمار لكون المقام للخطاب مع

---

(١) سورة الزخرف: الآية ٨٧. (٢) سورة الأنبياء: الآية ٣٧.

(٣) سورة الضحى: الآية ٦.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٦٠، سورة المائدة: الآية ١١، سورة التوبة: الآيتان ١١، ١٢، سورة المجادلة: الآية ١٠.

الاختصار. والمسند لفظه الذي، وقد ذكر وأخر لأن الأصل فيه ذلك. وعرّف بالموصولية للتعليل.

يعني أن إخلاف وعده كان سبب الشماتة واللوم. وأما جملة أشمتَّ فمعطوفة على جملة أخلفت. ووُصلت بها لما تقدّم. وعُرف المسند إليه وهو الفاعل في يلوم بالإضمار لكون المقام للغيبة مع الاختصار.

أبو لهب فعل كذا ـ جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث لما فيها من تقوية الحكم بتكرار الإسناد. والمراد بالخبر أصل الفائدة لمن يجهل ذلك. المسند إليه أبو لهب. ذكر وقدّم لأن الأصل فيه ذلك. وعرف بالعلمية للكناية عن كونه جهنميًا.

أسئلة على أحوال المسند إليه يطلب أجوبتها

ما هو المسند إليه؟ ما هي أحواله؟ متى يجب ذكره؟ ما هي الوجوه التي ترجّح ذكره عند وجود القرينة؟ متى يحذف؟ ما الفرق بين المعرفة والنكرة؟ لم يُعرَّف المسند إليه بالإضمار؟ ما الأصل في الخطاب؟ ما الأصل في وضع الضمير؟ هل يقدّم الضمير على مرجعه؟ هل يوضع الظاهر موضع الضمير؟ لم يعرّف المسند إليه بالعلميّة؟ لم يُعرَّف بالإشارة؟ لم يعرَّف بالموصولية؟ لم يُعرَّف بأل. . .؟ إلى كم تنقسم أل؟ لم يُعرَّف بالإضافة؟ لم يعرَّف بالنداء؟ لأيّ شيء ينكّر المسند إليه؟ لم يقدَّم؟ ما الفرق بين عموم السلب وسلب العموم لم يؤخّر؟

الباب الرابع

في المسند وأحواله[١]

المُسند هو ـ الخبر، والفعل التَّام؛ واسم الفعل، والمبتدأ الوصف المُستغنى بمرفوعه عن الخبر. وأخبار النَّواسخ. والمصدر النّائب عن الفعل.

وأحواله هي: الذكر، والحذف، والتّعريف، والتّنكير، والتّقديم والتّأخير، وغيرها ـ وفي هذا الباب ثلاثة مباحث:

المبحث الأول
في ذكر المسند أو تركه

يُذكر المسند للأغراض التي سبقت في ذكر المسند إليه ـ وذلك:

١ ـ ككون ذكره هو الأصل ولا مُقتضَى للعُدول عنه.

نحو: العلم خيرٌ من المال.

٢ ـ وكضعف التَّعويل على دلالة القرينة ـ نحو حالي مستقيم ورزقي ميسور «إذ لو حُذف ميسور ـ لا يدلُّ عليه المذكور».

٣ ـ وكضعف تنبُه السَّامع، نحو: (أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا ثَابِتٌ). (إذا لو حذف ثابت رُبما لا يتنبه له السّامع لضعف فهمه).

٤ ـ وكالرَّد على المخاطب ـ نحو: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[٢].

بعد قوله تعالى: ﴿مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾[٣].

وكإفادة أنه «فِعْلٌ» فيفيد التّجدُّدَ والحدوثَ، مقيّدًا بأحد الأزمنة الثلاثة بطريق الاختصار.

---

(١) وإنما ذكر المسند بعد المسند إليه لأن المسند محكوم به ـ والمسند إليه محكوم عليه ـ والمحكوم به مؤخر عن المحكوم عليه طبعًا ـ ففعل ذلك وضعًا.

(٢) سورة يس: الآية ٧٩.

(٣) سورة يس: الآية ٧٨.

«أو اسمٌ» فيفيد الثُّبوتَ مطلقًا نحو ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾[١] فإنَّ يُخادعون تُفيد التَّجدُّد مرةً بعد أخرى، مُقَيَّدًا بالزمان من غير افتقار إلى قرينة تدلُّ عليه ـ كذكر الآن ـ أو ـ الغد.

وقوله وهو خادعهم ـ تُفيد الثّبوت مطلقًا من غير نظر إلى زمان ويُحذف المسند لأغراض كثيرة.

١ ـ منها إذا دلَّت عليه قرينة وتعلّق بتركه غرض مِمّا مرَّ في حذف المسند إليه.

والقرينة

أ ـ «إمّا مذكورة كقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾[٢] أي خَلقهنَّ الله.

ب ـ وإمّا مقدّرة كقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ﴾[٣] أي يُسَبِّحُهُ رجالٌ ـ كأنه قيل من يُسَبِّحه؟.

٢ ـ ومنها الاحتراز عن العَبث ـ نحو ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ﴾[٤] ـ أي ورسولَهُ بريءٌ منهم أيضًا.

فلو ذكر هذا المحذوف لكان ذكره عبثًا لعدم الحاجة إليه.

٣ ـ ومنها ضيق المقام عن ذكره ـ كقول الشاعر:

[المنسرح]

نحنُ بما عندنا وأنتَ بما عند ... ك راضٍ والرَّأيُ مُختلِفُ

«أي نحن بما عندنا راضُون ـ فحذف لضيق المقام».

٤ ـ ومنها اتّباع الاستعمال ـ نحو: ﴿لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ﴾[٥].

«أي لولا أنتم موجودون»، ونحو ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ﴾[٦] «أي أجمل».

---

(١) سورة النساء: الآية ١٤٢.
(٢) سورة الزخرف: الآية ٨٧.
(٣) سورة النور: الآية ٢٦.
(٤) سورة التوبة: الآية ٣.
(٥) سورة سبأ: الآية ٣١.
(٦) سورة يوسف: الآيتان: ١٨، ٨٣.

المبحث الثاني
في تعريف المسند أو تنكيره

يُعرّف المسند

١ ـ لإفادة السّامع حُكمًا على أمر معلوم عنده بأمر آخر مثله بإحدى طُرُق التعريف ـ نحو هذا الخطيب. وذاك نقيب الأشراف.

٢ ـ ولإفادة قصره على المسند إليه «حقيقة» نحو سعد الزّعيم إذا لم يكن زعيم سواه ـ أو «ادعاءً» مبالغة لكمال معناه في المسند إليه نحو: سعد الوطني أي الكامل الوطنية، فيخرج الكلام في صورة توهّم أنّ الوطنية لم توجد إلا فيه لعدم الاعتداد بوطنية غيره.

وذلك إذا كان المسند معرفًا بلام الجنس(١).

ويُنكّر المسند لعدم الموجب لتعريفه ـ وذلك:

١ ـ لقصد إرادة العهد ـ أو الحصر ـ نحو أنت أميرٌ وهو وزير.

٢ ـ ولاتّباع المسند إليه في التّنكير ـ نحو تلميذ واقفٌ بالباب.

٣ ـ ولإفادة التّفخيم ـ نحو ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾(٢).

٤ ـ ولقصد التّحقير ـ نحو: ما خالد رجلا يُذكر.

المبحث الثالث
في تقديم المسند أو تأخيره

يُقدمُ المسند إذا وُجد باعث على تقديمه كأن يكون عاملًا نحو قام عليٌّ ـ أو ممَّا له الصدارة في الكلام نحو: أين الطريق؟.

أو إذا أريد به غرض من الأغراض الآتية.

١ ـ منها التّخصيص بالمسند إليه ـ نحو ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾(٣).

٢ ـ ومنها التّنبيه من أوّل الأمر على أنه خبرٌ لا نعتٌ كقوله:

---

(١) على أن التعريف بلام الجنس لا يفيد أحيانًا القصر كقول الخنساء: [الوافر]

إذا قبح البكاء على قتيل ... وجدتُ بُكاءك الحسنَ الجميل

فالخنساء لا تقصد قصر الجنس على بكاء قتيلها، ولكنها تريد أن تثبت له وتخرجه من جنس بكاء غيره من القتلى ـ فهو ليس من القصر في شيء.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢. (٣) سورة آل عمران: الآية ١٨٩.

[الطويل]

لَـه هِـمـمٌ لا مُـنـتَـهـى لِـكـبـارهـا ... وَهـمَّـتـه الـصُّـغـرى أجـلُّ مـن الـدَّهـر
لَـهُ راحـةٌ لـو أنَّ مِـعـشَـارَ جُـودهـا ... على البَرِّ كان البَرُّ أَنْدَى من البحرِ

فلو قيل «همم له» لتُوهِّم ابتداءً كون «له» صفة لما قبله.

٣ ـ ومنها التّشويق للمُتأخّر إذا كان في المتقدّم ما يُشوّق لذكره.

كتقديم المسند في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠﴾[1] وكقوله:

[الكامل]

خَيرُ الـصَّـنـائـع فـي الأنـام صـنـيـعـةٌ ... تـنـبُـو بـحـامـلـهـا عـن الإذلال

٤ ـ ومنها التفاؤل ـ كما تقوم للمريض ـ في عافية أنتَ: وكقوله:

[الكامل]

سَـعـدتْ بـغُـرَّة وجْـهـك الأيـامُ ... وَتـزيَّـنـتْ بـلـقـائِـكَ الأعْـوَامُ

٥ ـ ومنها إفادة قصر المُسند إليه على المُسند نحو ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ٦﴾[2].

«أي دِينكم مقصورٌ عليكم وَدِيني مقصورٌ عليَّ».

٦ ـ ومنها المسَاءة كقول المتنبي:

[الطويل]

ومِنْ نكَدِ الدُّنيَا على الحُرّ أن يرى ... عـدُوًّا لـه مـا مـن صـداقـتـه بُـدُّ

٧ ـ ومنها التّعجب أو التّعظيم أو المدح أو الذّم أو التّرحّم أو الدّعاء نحو للهِ دَرّك، وعظيمٌ أنتَ يا الله. ونِعْم الزعيم سعدٌ. وبِئس الرجل خليل، وفقير أبوك، ومباركٌ وصولك بالسّلامة.

ويُؤَخَّر الْمُسْنَدُ لأنّ تأخيره هو الأصل، وتقديم المسند إليه أهمّ نحو الوطن عزيز.

وينقسم المسند من حيث الأفرادُ،عدمهُ إلى قسمين ـ مفرد ـ وجملة فالمسند المفرد اقسمان ـ فعل: نحو قدم سعدٌ ـ واسم: نحو: عد قادمٌ والمسند الجملة ثلاثة أنواع:

١ ـ أن يكون سببيًا نحو خليل أبوه مُنتصر ـ أو أبوه انتصر ـ أو انتصر أبوه.

٢ ـ وأن يُقصد تخصيص الحكم بالمسند إليه ـ نحو أنا سعيت في حاجتك (أي السّاعي فيها أنا لا غيري).

٣ ـ وأن يُقصد تأكيد الحكم ـ نحو سعد حضر. لما فيها من تكرار الإسناد مرّتين.

(١) سورة البقرة: الآية ١٦٤.
(٢) سورة الكافرون: الآية ٦.

ويُؤتى بالمسند ظرفًا للاختصار ـ نحو خليل عندك.

وجارًّا ومجرورًا ـ نحو محمود في المدرسة.

تمرين

بيِّن أسباب التّقديم والتّأخير فيما يأتي:

[الكامل]

١ ـ ما كلّ ما فوق البسيطة كافيًا ... فإذا قنعت فبعض شيء كافي

[الطويل]

٢ ـ وما أنا وحدي قلت ذا الشّعر كلّه ... ولكنّ شعري فيه من نفسه شعر

[الطويل]

٣ ـ إذا شئت يومًا أن تسود عشيرة ... فبالحلم سُدْ لا بالتّسرُّع والشَّتم

[البسيط]

٤ ـ ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها ... شمس الضّحى وأبو إسحق والقمر

[الطويل]

٥ ـ أَفي الحق أَن يُعطَى ثلاثون شاعرًا ... ويُحرم ما دون الرّضا شاعرٌ مثلي

[الطويل]

٦ ـ فكيف وكلٌّ ليس يعدو حمامه ... وما لامرىء عمّا قضى الله مزحل

---

١ ـ قدم حرف النفي وهو «ما» على لفظ العموم وهي (كل) على يوم السّلب ـ والمعنى لا يكفيك جميع ما على الأرض إذا كنت طامعًا.

٢ ـ إذا كان المسند فعلاً منفيًا ووُسِّط المسند إليه بين الفعل وحرف النفي كما في هذا المثال وهو (ما أنا قلت) دلّ ذلك على التخصيص. والمعنى لست القائل لذلك الشعر وحدي، بل شاركني فيه غيري.

ولذلك يعدّ من الخطأ الذي لا يستقيم مع معنى أن تقول ما أنا فعلت هذا ولا غيري، لأن معنى ما أنا فعلت ـ يفيد من نفسه نفي الفعل عنك وثبوته لغيرك فقولك ـ ولا غيري، يكون تناقضًا.

٣ ـ قدم الجار والمجرور في قوله (بالحلم سد) ليدلّ على التخصيص أي أنك تسود بالحلم لا بغيره.

٤ ـ قدم العدد وهو ثلاثة وأخر المعدود ليشوّق إليه. لأن الإنسان إذا سمع العدد مجموعًا يشتاق إلى تفصيل آحاده.

٥ ـ قدم الجار والمجرور بعد الاستفهام في قوله أفي الحق أن يعطى ـ ليدلّ على أن ذلك المقدم هو محط الإنكار. فتحليل المعنى أنه لا ينكر الإعطاء ولكنه ينكر أنْ يُعدّ ذلك حقًا وصوابًا مع حرمانه هو.

٦ ـ قدم أداة العموم على أداة السلب في قوله (كلٌّ ليس يعدو) ليدلّ على عموم السلب ـ أي أن الناس واحدًا واحدًا يشملهم حكم الموت ولا مفرّ منه.

٧ ـ قال تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٦٦﴾[١].

[الطويل]

٨ ـ بك اقتدتِ الأيام في حسناتها وشيمتها لولاك هَمٌّ وتكريب

تطبيق عام على أحوال المسند

لما صدأت مرآة الجنان، قصدت لجلائها بعض الجنان ـ الجملة الشرطية لا تعتبر إلا بجوابها وهو قصدت. وهي خبرية فعلية من الضرب الابتدائي ـ والمراد بها أصل الفائدة. المسند قصد. ذكر لأن ذكره الأصل. وقدم لإفادة الحدوث في الزمن الماضي مع الاختصار. والمسند إليه التاء ـ ذكر لأن الأصل فيه ذلك ـ وأخر لاقتضاء المقام تقديم المسند. وعرّف بالإضمار لكون المقام للتكلم مع الاختصار.

كأنه الكوثر الفياض ـ جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي ـ والمراد بها المدح. فهي تفيد الاستمرار بقرينة المدح. المسند إليه الهاء. ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك، وعرف بالإضمار لكون المقام للغيبة مع الاختصار. والمسند الكوثر ذكر وأخر لأن الأصل فيه ذلك ـ وعرف بأل للعهد الذهني.

كتاب في صحائفه حِكَم ـ التنكير في هذه الجملة للتعظيم.

ما هذا الرجل إنسانًا ـ نكر المسند «إنسانًا» للتحقير.

له همم لا منتهى لكبارها ـ المسند له ـ قدم لإفادة أنه خبر من أول الأمر، لأنه لو تأخر لتوهم أنه صفة للمسند إليه لأنه نكرة.

﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[٢]. قدم المسند كفوًا. على المسند إليه «أحد» للمحافظة على الفاصلة ـ على رأي بعضهم. والمنصوص عليه في كتب التفسير المعتبرة أن التقديم للمبادرة إلى نفي المثل.

زهرة العلم أنضر من زهرة الروضة ـ جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي والمراد بها الاستمرار بقرينة المدح. المسند إليه زهرة العلم. ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك. وعرف بالإضافة إلى العلم لتعظيمه. والمسند أنضر. ذكر وأخر لأن الأصل

(١) سورة الزمر: الآية ٦٦. (٢) سورة الإخلاص: الآية ٤.

٧ ـ قدم المفعول على الفعل في قوله (الله فاعبد) ليدلّ على التخصيص أي أُعبد الله ولا تعبد غيره.

٨ ـ قدم الجار والمجرور على الفعل في قوله (بك اقتدت) ليدلّ على التخصيص أي أن الإقتداء كان بك لا بغيرك.

في ذلك، ونكر لتعظيمه.

غلامي سافر. أخي ذهبت جاريته. أنا أحب المطالعة ـ الحق ظهر. الغضب آخره ندم ـ أتي بالمسند في هذه المثل جملة لتقوية الحكم لما فيها من تكرار الإسناد.

أسئلة على أحوال المسند يطلب أجوبتها

ما هو المسند؟ ما هي أحواله؟ لأي شيء يذكر المسند؟ لأيّ شيء يحذف؟ لِمَ يُقدّم؟ لمَ يؤخر؟ لم يُعرَّف؟ لم ينكَّر؟ لم يؤتى به جملة.

الباب الخامس

في الإطلاق[1] ـ والتّقييد

إذا اقتُصِرَ في الجملة على ذكر المسند إليه والمسند. فالحكم مطلقٌ والإطلاق يكون حِينما لا يتعلّق الغرض بتقييد الحكم بوجه من الوجوه لِيذهبَ السّامع فيه كلّ مَذهبٍ مُمكِنٍ.

وإذا زيدَ عليهما شيءٌ ممّا يتعلّق بهما أو بأحدهما. فالحكم مُقيّدٌ والتّقييد يكون حِينما يتعلّق الغرض بتقييده بوجه مخصوص، بحيث لو حُذف القيد لكان الكلام كذبًا ـ أو غيرَ مقصود ـ نحو ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝٣٨﴾[2] فلو حذف الحال وهو ﴿لَٰعِبِينَ﴾ لكان الكلام كذبًا بدليل المشاهدة ـ ونحو ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾[3]، إذ لو حُذف «يكاد» لفات الغرض المقصود وهو إفادة المقاربة. وهلم جرًّا.

واعلم أن معرفة خواصّ التراكيب وأسرار الأساليب وما فيها من دقيق الوضع، وباهر الصنع، ولطائف المزايا، يسترعي لُبّك إلى أنّ التّقييد بأحد الأنواع الآتية يكون لزيادة الفائدة وتقويتها عند السامع لما هو معروف من أنّ الحكم كلّما ازدادت قيوده ازداد إيضاحًا وتخصيصًا، وحينئذٍ تكون فائدته أتمّ وأكمل.

والتّقييد يكون بالتوابع، وضمير الفصل؛ والنواسخ، وأدوات الشرط والنفي، والمفاعيل الخمسة، والحال والتمييز ـ وفي هذا الباب جملة مباحث[4].

---

(١) الإطلاق والتقييد وصفان للحكم. فالإطلاق أن يقتصر في الجملة على ذكر المسند والمسند إليه حيث لا غرض يدعو إلى حصر الحكم ضمن نطاق معين بوجه من الوجوه ـ نحو: الوطن عزيز. والتقييد أن يزاد على المسند والمسند إليه شيء يتعلق بهما أو بأحدهما ممّا لو أغفل لفاتت الفائدة المقصودة، أو كان الحكم كاذبًا نحو الولد النجيب يسرّ أهله.

(٢) سورة الدخان: الآية ٣٨.

(٣) سورة النور: الآية ٣٥.

(٤) اعلم أن التقييد يكون لتمام الفائدة لما تقرّر من أن الحكم كلّما زاد قيده زاد خصوصية، وكلّما زاد خصوصية زادت فائدته لا فرق بين مسند إليه أو مسند أو غيرهما، كما لا فرق بين تقييده بالتوابع أو غيرها.

المبحث الأول
في التّقييد بالنّعت

أمَّا النَّعت فيؤتى به لأغراض كثيرة:

أ ـ منها تخصيص المنعوت بصفة تُميِّزه إن كان نكرة ـ نحو:

جاءني رجل تاجر.

ب ـ ومنها توضيح المنعوت إذا كان معرفة لغرض.

١ ـ الكشف عن حقيقته ـ نحو ـ الجسم الطويل العريض العميق يُشغل حيزًا من الفراغ.

٢ ـ أو التأكيد ـ نحو ـ تلك عشرة كاملة، وأمسِ الدَّابرُ كان يومًا عظيمًا.

٣ ـ أو المدح ـ نحو حضر سعد المنصور.

٤ ـ أو الذّم ـ نحو ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤﴾[(١)].

٥ ـ أو التّرحّم ـ نحو قدِم زين المسكينُ.

المبحث الثاني
في التّقييد بالتوكيد

أمّا التّوكيد فيُؤتى به:

١ ـ لمجرّد التّقرير، وتحقيق المفهوم عند الإِحساس بغفلة السّامع:

نحو جاء الأميرُ ـ الأميرُ.

٢ ـ وللتّقرير مع دفع توهُّم خلاف الظّاهر ـ نحو جاءني الأميرُ نفسهُ.

٣ ـ وللتّقرير مع دفع توهُّم عدم الشّمول نحو ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٣٠﴾[(٢)].

٤ ـ ولإِرادة انتقاش معناه في ذهن السّامع. نحو ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾[(٣)].

---

(١) سورة المسد: الآية ٤.

(٢) سورة الحجر: الآية ٣٠.

(٣) سورة البقرة: الآية ٣٥.

المبحث الثالث
في التّقييد بعطَف البيان

أما عطف البيان فيُؤتى به:

أ ـ لمجرَّد التَّوضيح للمتبوع باسم مُختصٌ به[١] نحو أقسم بالله أبو حفص عُمَر.

ب ـ وللمدح. كقوله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَمًا لِّلنَّاسِ﴾[٢] فالبيت الحرام عطف بيان للمدح.

المبحث الرابع
في التَّقييد بعطف النَّسَق

أما عطف النَّسَق فيُؤتى به للأغراض الآتية:

١ ـ لتفصيل المسند إليه باختصار، نحو: جاء سعد وسعيد، فإنه أخصر من: جاء سعد، وجاء سعيد، ولا يعلم منه تفصيلُ المسند لأن الواوَ لمطلق الجمع.

٢ ـ ولتفصيل المسند مع الاختصار أيضًا، نحو ـ جاء نصرٌ فمنصورٌ[٣] أو ثم منصور، أو جاء الأميرُ حتى الجند. لأن هذه الأحرفَ الثلاثةَ مُشتركة في تفصيل المسند ـ إلا أنّ الأولَ يفيد الترتيبَ مع التَّعقيب والثاني يفيد التَّرتيب مع التراخي ـ والثالث يفيد ترتيبَ أجزاءِ ما قبله ذاهبًا من الأقوى إلى الأضعف ـ أو بالعكس ـ نحو مات الناس حتّى الأنبياء.

---

(١) يكفي في التوضيح أن يوضّح الثاني الأولَ عند الاجتماع، وإن لم يكن أوضحَ منه عند الانفراد، نحو علي زين العابدين، ونحو: عسجد ذهب.

(٢) سورة المائدة: الآية ٩٧.

(٣) قد تجيء الفاء للتعقيب في الذكر دون الزمان ـ إما مع ترتيب ذكر الثاني على الأول كما في تفصيل الإجمال في قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ﴾ [هود: ٤٥] فقال: ﴿إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ [هود: ٤٥] ـ ونحو ﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [غافر: ٧٦، الزمر: ٦٠].

وإما بدون ترتيب وذلك عند تكرير اللفظ الأول ـ نحو بالله ـ فبالله وقد تجيء ثم للتراخي في الذكر دون الزمان ـ إما مع الترتيب المذكور نحو: [الخفيف]

إن من ساد ثم ساد أبوه ثم ساد قبل ذلك جده

فإن الغرض ترتيب درجات حال الممدوح. فابتدأ بسيادته ثم بسيادة أبيه. ثم بسيادة جده. وإما بدون ترتيب نحو ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾﴾ [الانفطار: ١٧ ـ ١٨] ثم ما أدراك ما يوم الدين.. ولاستبعاد مضمون جملة عن مضمون جملة أخرى نحو ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤] فنزلوا الترتيب في هذه الأمور منزلة الترتيب الزماني المستفاد منها بأصل الوضع ولذا يكون استعمالها في هذه الأمور مجازًا.

٣ ـ ولردِّ السامع إلى الصَّواب مع الاختصار ـ نحو جاء نصر ـ لا منصور أو: لكن منصور.

٤ ـ ولصرف الحكم إلى آخَر ـ نحو ما جاء منصور بل نصر.

٥ ـ وللشكّ من المتكلم ـ أو التَّشكيك للسّامع، أو للإبهام ـ نحو ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٤﴾﴾(١).

٦ ـ وللإباحة أو التَّخيير ـ نحو تعلَّم نحوًا أو صرفًا. وتَزوَّجْ هندًا أوْ أختها ـ ونحو تعلَّم إمَّا صرفًا وإمَّا نحوًا، وتَزوّج إمَّا هندًا أو أختها.

المبحث الخامس
في التقييد بالبدل

يُؤتى بالبدل لزيادة التَّقرير والإيضاح، لأن البدل مقصودٌ بالحكم بعد إبهام، نحو حضر ابني عليٌّ. في بدل الكلّ ـ وسافر الجندُ أغلبُه في بدل البعض. ونفعني الأستاذ علمُه. في بدل الاشتمال ـ ووجهك بدرٌ شمسٌ ـ في بدل الغلط(٢) لإفادة المبالغة التي يقتضيها الحال.

المبحث السادس
في التقييد بضمير الفَصْلِ

يُؤتى بضمير الفَصل لأغراض:

١ ـ منها التَّخصيص، نحو ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾(٣).

٢ ـ ومنها تأكيد التَّخصيص إذا كان في التركيب مخصصٌص آخرُ.

كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾(٤).

٣ ـ ومنها تمييز الخبر عن الصفة، نحو ـ العالِم هو العاملُ بعلمه.

---

(١) سورة سبأ: الآية ٢٤.

(٢) لكن الحق الذي عليه الجمهور أن بدل الغلط لا يقع في كلام البلغاء.

(٣) سورة التوبة: الآية ١٠٤.

(٤) سورة التوبة: الآية ١٠٤.

المبحث السابع
في التَّقييد بالنَّواسخ

التَّقييد بها يكون للأغراض التي تُؤدِّيها معاني ألفاظ النَّواسخ كالاستمرار ـ أو لحكاية الحال الماضية في «كان»(١).

وكالتوقيت بزمن مُعيّن في «ظلَّ، وبات، وأصبح، وأمسى وأضحى».

وكالتّوقيت بحالة معيَّنة في «مادام».

وكالمقاربة في «كاد، وكَرب، وأوشك».

وكالتأكيد في «إنَّ وأنَّ» ـ وكالتّشبيه في «كأنَّ».

وكالاستدراك في «لكنَّ» ـ وكالرَّجاء في «لعلَّ» ـ وكالتمنِّي في «ليتَ» ـ وكاليقين في «وجد، وألفَى، ودَرى، وعلم ـ وكالظنِّ في خال، وزعِم، وحسبِ، وكالتحوُّل: في «اتَّخذ وجعل وصيَّرَ» وهلمَّ جرًّا.

المبحث الثامن
في التقييد بالشّرط

التَّقييد به يكون للأغراض التي تُؤَدِّيها معاني أدوات الشّرط ـ كالزّمان في «متى وأيّان» والمكان في أين، وأنّى، وحيثما ـ والحال في «كيفما» واستيفاء ذلك وتحقيق الفرق بين تلك الأدوات يُذكر في علم النحو وإنّما يفرّق هنا بين «إنْ وإذَا ولو» لاختصاصها بمزايا تُعدُّ من وجوه البلاغة.

الفرق بين إن ـ وإذا ـ ولو

الأصل عدم قطع المتكلّم بوقوع الشَّرط في المستقبل مع «إن» ومنْ ثَمَّ كَثُرَ أن تُسْتَعمل «إنْ» في الأحوالَ التي يندُر وقوعها ووجب أنْ يتلوهَا لفظ المضارع لاحتمال الشكّ في وقوعه(٢).

بخلاف «إذا» فتُستعمل بحسب أصلها في كلّ ما يَقطع المتكلّم بوقوعه في المستقبل

---

(١) فالجملة تنعقد من الاسم والخبر ـ أو من المفعولين اللذين أصلهما مبتدأ وخبر ويكون الناسخ قيدًا ـ فإذا قلت: رأيت الله أكبرَ كل شيء، فمعناه الله أكبر كل شيء على وجه العلم واليقين. وهكذا.

(٢) ولذا لا يقال إن طلعت الشمس أزرك: لأن طلوع الشمس مقطوع بوقوعه، وإنما يقال إذا طلعت الشمس أزورك.

ـ ومن أجل هذا لا تُستعمل «إذا» إلّا في الأحوال الكثيرة الوقوع، ويتلوها الماضي لدلالته على الوقوع قطعًا ـ كقوله تعالى ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَـٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ﴾(١).

فلكونِ مجيء الحسنة منه مُحققًا ـ ذكر هو والماضي مع (إذا).

وإنَّما كان ما ذكر مُحقَّقًا ـ لأنّ المراد بها مُطلقُ الحسنة الشامل لأنواع كثيرة من خصب ورخاء وكثرة أولاد، كما يفهم من التّعريف بأل الجنسية في لفظة «الحسنة».

ولكون مجيء السَّيئة نادرًا ذُكر هو والمضارع مع (أن).

وإنَّما كان ما ذُكر نادرًا لأنّ المراد بها نوعٌ قليلٌ هو جذْبٌ وبَلاَءٌ كما يُفهم من التّنكير في لفظة «سيئة» الدّال على التقليل.

ولو ـ تفيد انتفاءَ الشيءِ بسبب انتفاءِ غيره في الماضي مع القطع بانتفاء الوقوع.

ويجب كون جملتيها فعليَّتين ماضوِيَّتين، نحو: لو أتقنتَ عملك لبلغتَ أَمَلك.

وتُسمَّى «لو» حرف امتناع لامتناع ـ كقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ﴾(٢) ونحو: ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾(٣) أي انتفت هدايته إيَّاكم بسبب انتفاء مشيئته لها.

تنبيهات

الأول: يُعلم ممَّا تقدم أن المقصود بالذّات من الجملة الشّرطية هو الجواب فإذا قلت إن اجتهد فريد كافأته، كنت مخبِرًا بأنك ستكافئه، ولكن في حال حصول الاجتهاد، إلا في عموم الأحوال(٤).

ويتفرَّع على هذا أنها تُعدّ خبريَّة أو إنشائية باعتبار جوابها.

الثاني: ما تقدَّم من الفرق بين «إن» و«إذا» هو مقتضى الظاهر.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٣١.
(٢) سورة الأنبياء: الآية ٢٢.
(٣) سورة الأنعام: الآية ١٤٩.
(٤) قال السكاكي قد يُقيّد الفعل بالشرط لاعتبارات تستدعي التقييد به ولا يخرج الكلام بتقييده به عما كان عليه من الخبرية والإنشائية ـ فالجزاء إن كان خبرًا فالجملة خبرية نحو إن جئتني أكرمك أي أكرمك لمجيئك، وإن كان إنشاء فالجملة إنشائية نحو إن جاءك خليل فأكرمه، أي أكرمه وقت مجيئه، فالحكم عنده في الجمل المصدّرة بأن وأمثالها في الجزاء، وأمّا نفس الشرط فهو قيد للمسند فيه، وقد أخرجته الأداة عن الخبرية واحتمال الصدق والكذب.

وقد يَخرُج الكلامُ على خلافه، فتستعمل «إنْ» في الشّرط المقطوع بثبوته أو نفيه ـ لأغراض كثيرة.

أ ـ كالتّجاهل ـ نحو قول المعتذر ـ إن كُنتُ فعلتُ هذا فعن خطأ.

ب ـ وكتنزيل المخاطب العالم منزلة الجاهل لمخالفته مقتضَى علمه.

كقولك للمُتكبِّر توبيخًا له ـ إنْ كنتَ من تراب فلا تفتخر.

ج ـ وكتغليب غير المتّصف بالشّرط على المتّصف به كما إذا كان السّفرُ قطعيَّ الحصول لسعيد، غيرَ قطعيٍّ لخليل، فتقول إن سافرتُما كان كذا[١] وقد تُستعمل إذا في الشرط المشكوك في ثبوته أو نفيه، لأغراض:

أ ـ منها الإشعار بأن الشّك في ذلك الشّرط لا ينبغي أن يكون مشكوكًا فيه: بل لا ينبغي ألّا يكون مجزومًا به ـ نحو إذا كثُر المطر في هذا العام أخصب النّاس.

ب ـ ومنها تغليب المتّصف بالشّرط على غير المتّصف به ـ نحو إذا لم تسافرْ كان كذا ـ وهلمّ جرًّا من عكس الأغراض التي سبقت.

الثالث: لمّا كانت (إن) و(إذا) لتعليق الجزاء على حصول الشرط في المستقبل وجب أن يكون شرطُ وجزاءُ كلٍّ منهما جملةً فعليةً استقبالية لفظًا ومعنى، كقوله تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾[٢].

وكقول الشاعر:

[الكامل]

وإذَا تُــرَدّ إلــى قَــلِـيــلٍ تَـقْـنَـعُ

ولا يُعدلُ عن استقباليّة الجملة لفظًا وَمعنى إلى استقباليتها معنى فقط إلّا لدواعٍ غالبًا.

---

(١) أي ففيه تغليب لمن لم يقطع له بالسفر على من قطع له به، فاستعملت إن في المجزوم وهو من قطع له به بسبب تغليبه على من لم يقطع له به ـ وهذا السبب مساغ لذكر إن ـ واعلم أن التغليب (الذي هو أن يعطى أحد المصطحبين أو المتشاكلين حكم الآخر) باب واسع يجري في أساليب كثيرة لنكات عديدة، سمحت بها المطولات في هذا المقام. واعلم أن المقصود بالذات من جملتي الشرط والجواب هو جملة الجواب فقط وأما جملة الشرط فهي قيد لها، فإذا قلت إن زارني سليم أكرمته فالمقصود أنك ستكرم سليمًا ولكن في حال زيارته لك. فتعدّ اسمية أو فعلية خبرية أو إنشائية باعتبار الجواب كما سبق توضيحه مفصلًا، فارجع إليه إن شئت.

(٢) سورة الكهف: الآية ٢٩.

أ ـ منها التّفاؤل ـ نحو ـ إنْ عِشتُ فعلتُ الخير(١).

ب ـ ومنها تخييل إظهار غير الحاصل «وهو الاستقبال» في صورة الحاصل «وهو الماضي» ـ نحو ـ إنْ متُّ كان ميراثي للفقراء.

الرّابع: عُلم مما تقدّم من كون «لو» للشّرط في الماضي لزومُ كون جملتي شرطها وجزائها فعليّتين ماضَوِيّتين. وعدم ثبوتهما.

وهذا هو مُقتضَى الظّاهر ـ وقد يخرج الكلام على خلافه.

فتُستعمل «لو» في المضارع لدواعٍ اقتضاها المقامُ ـ وذلك.

أ ـ كالإشارة إلى أن المضارعَ الذي دخلت عليه يُقصد استمراره فيما مضى وقتًا بعد وقت، وحصوله مرّة بعد أخرى ـ كقوله تعالى: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾(٢).

ب ـ وكتنزيل المضارع منزلة الماضي لصدوره عمَّن المُستقبلُ عنده بمنزلة الماضي في تحقُّق الوقوع، ولا تخلُّفَ في أخباره كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾(٣).

المبحث التاسع
في التقييد بالنفي

التقييد بالنَّفي يكون لسلب النِّسبة على وجه مخصوص ممّا تفيده أحرف النّفي السّبعة ـ وهي ـ لا. وما. ولات. وإنْ. ولنْ. ولم. ولمّا.

---

(١) وقد تستعمل إن في غير الاستقبال لفظًا ومعنى ـ وذلك فيما إذا قصد بها تعليق الجزاء على حصول الشرط في الماضي حقيقة كقول أبي العلاء المعري: [الطويل]

فيا وطني إن فاتني بك سابق ... من الدهر فلينعم بساكنك البالُ

وقد تستعمل إذا أيضًا في الماضي حقيقة نحو ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ [الكهف: ٩٦] وللاستمرار نحو: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ [البقرة: ١٤].

(٢) أي امتنع عنتكم أي وقوعكم في جهد وهلاك بسبب امتناع استمراره فيما مضى على إطاعتكم، سورة الحجرات: الآية ١٢.

(٣) نزل وقوفهم على النار في يوم القيامة منزلة الماضي فاستعمل فيه إذ ولفظ الماضي وحينئذٍ فكان الظاهر أن يقال ولو رأيت بلفظ الماضي ـ لكن عدل عنه إلى المضارع تنزيلًا للمستقبل الصادر عمن لا خلاف في خبره منزلة الماضي الذي عُلم وتحقّق معناه ـ كأنه قيل قد انقضى هذا الأمر وما رأيته ـ ولو رأيته لرأيت أمرًا فظيعًا، سورة السجدة: الآية ١٢.

(فلا) للنّفي مطلقًا ـ و(مَا وإنْ وَلاَتَ) لنفي الحال إنْ دخلت على المضارع ـ و(لن) لنفي الاستقبال. و(لم ولمّا) لنفي المُضيّ ـ إلّا أنه (بلمّا) يَنسحبُ إلى ما بعد زمن التكلّمُ: ويختصّ بالمتوقّع ـ وعلى هذا فلا يقال لمّا يقم خليلٌ ثم قام. ولا: لمّا يجتمع النَّقيضان ـ كما يقال لم يقم عليٌّ ثم قام ولم يجتمع الضدّان؛ فلمّا في النفي تقابل (قد) في الإثبات. وحينئذٍ يكون منفيُّها قريبًا من الحال ـ لا يصحّ لمّا يجيءُ خليل في العام الماضي.

المبحث العاشر
في التّقييد بالمفاعيل الخمسة ونحوها

التقييدُ بها يكون لبيان نوع الفعل؛ أو ما وقع عليه. أو فيه. أو لأجله أو بمُقارنته. ويُقيّد بالحال لبيان هيئة صاحبها وتَقييد عامِلها. ويُقيّد بالتّمييز لبيان ما خَفيَ من ذات أوِ نسبة. فتكون القيودُ هي محطُّ الفائدة، والكلام بدونها كاذبٌ ـ أو غيرُ مقصود بالذّات ـ كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾[١] وقد سبق القولُ في ذلك مفصَّلا.

تنبيهان

الأول: عُلِمَ ممّا تقدَّم أن التّقييد بالمفاعيل الخمسة ونحوها للأغراض التي سبقت ـ وتقييدها إذا كانت (مذكورة).

أما إذا كانت (محذوفة) فتفيد أغراضًا أخرى:

١ ـ منها التّعميم باختصار ـ كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾[٢] (أي جميعَ عباده) لأنّ حذف المعمول يؤذن بالعُموم[٣]. (ولو ذُكر لفات غرض الاختصار).

٢ ـ ومنها الاعتماد على تقدُّم ذكره ـ كقوله تعالى: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾[٤] أي ويُثْبِتُ ما يَشاءُ.

---

(١) سورة الدخان: الآية ٣٨.

(٢) سورة يونس: الآية ٢٥.

(٣) أي ما لم يكن تعلق فعل المشيئة بالمفعول غريبًا كقوله: [الطويل]

فلو شئت أن أبكي دمًا لبكيته ... عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

وأعددته ذخرًا لكلّ ملمّة ... وسهم المنايا بالذخائر أولع

فإنّ تعلّق فعل المشيئة ببكاء الدم غريب. فلذا لم يحذف المفعول ليتقرر في نفس السامع.

(٤) سورة الرعد: الآية ٣٩.

٣ ـ ومنها طلب الاختصار ـ نحو ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾[١] أي يغفر الذُّنوب.

٤ ـ ومنها استهجان التَّصريح به نحو: (ما رَأَيتُ منه ولا رأى منِّي) أي العورة.

٥ ـ ومنها البيانُ بعد الإبهام ـ كما في حذف مفعول فعل المشيئة[٢] ونحوها[٣] إذا وقع ذلك الفعل شرطًا فأنّ الجواب يدلّ عليه ويبيِّنه بعد إبهامه فيكون أوقع في النفس، ويقدّر المفعول مصدرًا من فعل الجواب نحو ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن﴾[٤] أي فمن شاء الإيمان.

٦ ـ ومنها المحافظة على سجع ـ أو: وزن.

فالأول: كقوله تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾﴾[٥].

إذ لو قيل يخشى الله ـ لم يكن على سنن رؤوس الآي السّابقة والثاني ـ كقول المتنبي:

[الطويل]

بنَاهَا فأعلىٰ والقَنَا يقرعُ القَنَا ... ومَوجُ المنايا حَولها مُتلاطِمُ

٧ ـ ومنها تعيُّن المفعول ـ نحو رعت الماشية (أي نباتًا).

٨ ـ ومنها تنزيل المتعدِّي منزلة اللَّازم لعدم تعلُّق الغرض بالمعمول بل يجعل المفعول نسيًا، بحيث لا يكون ملحوظًا مقدّرًا.

ولا يلاحظ تعلق الفعل به أصلًا كقوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٦].

الثاني: الأصل في العَامل أن يُقدّم على المعمول.

وقد يُعكس فيقدّم المعمول على العامل لأغراض شتَّى:

١ ـ منها التَّخصيص ـ نحو ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾[٧].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٤، سورة المائدة: الآية ٤٠.

(٢) هذا التعميم وإن أمكن بذكر المفعول على صيغة العام، لكن يفوت الاختصار المطلوب.

(٣) أي ما يرادفها في المعنى كالإرادة والمحبة.

(٤) سورة الكهف: الآية ٢٩.

(٥) سورة الأعلى: الآية ١٠.

(٦) أي فالغرض مجرد إثبات العلم ونفيه بدون ملاحظة تعلقه بمعلوم عام أو خاص ـ والمعنى لا يستوي من ثبتت له حقيقة العلم ومن لم تثبت له، فلو قدر له مفعول وقيل: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] لفات هذا الغرض، سورة الزمر: الآية ٩.

(٧) وذلك لأن المناسب لمقام عرض العبادة له تعالى تخصيصها به، لا مجرد الإخبار بأنّ العبادة له، فاستفاد التخصيص من التقديم إنما هي بحسب المقام لا بأصل الوضع، سورة الفاتحة: الآية ٥.

٢ ـ ومنها رَدُّ المخاطَب إلى الصَّواب عند خَطئِهِ في تعيين المفعول نحو: نصرًا رأيت ـ ردًّا لمن اعتقد أنك رأيت غيره.

٣ ـ ومنها كون المتقدِّم محطّ الإِنكار مع التعجب ـ نحو أبعدَ طُولِ التّجرِبةِ تنخدع بهذه الزَّخارف.

٤ ـ ومنها رِعاية مُوازاةِ رُؤوس الآي ـ نحو ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾﴾[١] وَهلمَّ جرًّا من بقية الأغراض التي سبقت[٢].

تطبيق عام على الإطلاق والتقييد

[المتقارب]

إذا كنتَ في نعمة فارعَها فإنّ المعاصي تزيل النّعم

جملة فارعَها إنشائية أمرية والأمر مستعمل في أصل معناه، المسند إليه أنت وهي مقيدة بالمفعول به لبيان ما وقع عليه الفعل، ومقيدة بالشرط للتعليق، وكانت أداة الشرط إذا لتحقق الحصول «فإن المعاصي تزيل النعم» جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث، والمراد بالخبر التحذير من المعاصي.

المسند إليه المعاصي والمسند جملة تزيل، وأتى به جملة لتقوية الحكم بتكرار الإسناد، وقيّد بالمفعول به «النعم» لبيان ما وقع عليه الفعل، والحكم مقيد بأنّ للتوكيد.

إن اجتهد خليل أكرمته ـ الجملة «أكرمته» وهي جملة خبرية فعليه من الضرب الابتدائي المسند أكرم والمسند إليه التاء وهي مقيدة بالمفعول به لبيان ما وقع عليه الفعل، وبالشرط للتعليق. وكانت أداة الشرط «إن» لعدم الجزم بوقوع الفعل.

---

(١) سورة الحاقة: الآية ٣٠.

(٢) أي فيكون التقديم للتبرك والاستلذاذ وموافقة كلام السامع والاهتمام وضرورة الشعر، وغير ذلك ـ واعلم أن اختلاف الترتيب بين المعمولات:

إمّا لأمر معنوي نحو ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ [يس: ٢٠] ـ فلا أخر المجرور لتوهم أنه من صلة الفاعل، والمراد كونه من صلة فعله.

وإما لأمر لفظي نحو ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣] ـ فلو قدم الفاعل لاختلفت الفواصل لأنها مبنيّة على الألف ـ وقد يتقدم بعض المفاعيل على بعض إما لأصالة في التقدم لفظًا نحو حسبت زيدًا كريمًا فإن زيدًا وإن كان مفعولًا في الحال لكنه مبتدأ في الأصل ـ أو معنى نحو أعطى زيد عمرًا درهمًا فإن عمرًا وإن كان مفعولًا بالنسبة إلى زيد لكنه لا يخلو من معنى الفاعلية بالنسبة إلى الدرهم لأنه آخذ والدرهم مأخوذ.

[الخفيف]

وأصابت تلك الرُّبى عين شمس ... أورثتها من لونها اصفرارا
كلما جال طرفها تركت النا ... س سكارى وما هم بسكارى

«وأصابت تلك الربى» جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي. والمراد بالخبر أصل الفائدة ـ المسند أصاب، ذكر لأن الأصل فيه ذلك. وقدّم لإفادة الحدوث في الزمن الماضي مع الاختصار، والمسند إليه عين شمس، ذكر لأن الأصل فيه ذلك وأخر لاقتضاء المقام تقديم المسند وخصص بالإضافة لتعينها طريقًا لإحضار معناه في ذهن السامع. والمضاف إليه شمس قيد بالصفة «أورثتها من لونها» لأنها في محل جر صفة شمس للتخصيص. وقيد الحكم بالمفعول به «تلك» لبيان ما وقع عليه الفعل وعرف المفعول به بالإشارة لبيان حاله في البعد. وقيد المفعول بالبدل «الربى» لتقرير حاله في نفس السامع «تركت الناس سكارى» هي الجملة لأن الشرطية لا تعتبر إلا بجوابها وهي جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي والمراد بالخبر التفخيم المسند إليه الناس، ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك، وعرف بأل للعهد الذهني لأن المراد بالناس الذين نظروا إليها، والمسند سكارى ذكر وأخر لأن الأصل فيه ذلك ونكر للتهويل والحكم مقيد بترك لإفادة التحويل وبالشرط للتعليق وكانت أداة الشرط كلما لإفادة التكرار. «وما هم بسكارى» جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث والمراد بالخبر أصل الفائدة، المسند إليه هم والمسند سكارى والحكم مقيد بما لنفي الحال.

[البسيط]

لا تيأسنّ وكن بالصبر معتصما ... لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

«لا تيأسن» جملة إنشائية نهيية والمراد بالنهي الإرشاد. المسند لا تيأس والمسند إليه أنت. و«كن بالصبر معتصمًا» أصلها أنت معتصم بالصبر، وهي جملة إنشائية أمرية والمراد بالأمر الإرشاد أيضًا، المسند إليه الضمير المستتر في كن والمسند معتصمًا والحكم مقيد «بالصبر» لبيان ما وقع عليه الفعل، وبالأمر «كن» لإفادة التوقيت بالاستقبال «لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا» أصلها لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبر وهي جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي والمراد بالخبر الحث على الصبر. المسند تبلغ والمسند إليه أنت والحكم مقيد بلن للنفي في المستقبل. وبالجار والمجرور لبيان غاية الفعل.

[الوافر]

عسى الكرب الذي أمسيت فيه ... يكون وراءه فرج قريب

في البيت جملة إنشائية غير طلبية وهي إسمية من الضرب الثالث لما فيها من تقوية الحكم بتكرار الإسناد ـ المسند إليه «الكرب» ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك وعرف

بأل للعهد الذهني، وقيد بالنعت «الذي أمسيت فيه» لتوضيحه والمسند يكون الخ والحكم مقيد بعسى لإفادة الرجاء ـ وأما جملة النعت «الذي أمسيت فيه» فهي جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي المسند إليها فيها التاء ـ والمسند الجار والمجرور والحكم مقيد بأمسى لإفادة المساء وجملة الخبر «يكون وراءه فرج قريب» جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي. المسند إليه فيها «فرج» ذكر لأن الأصل فيه ذلك وأخر لضرورة النظم وقيد بالنعت «قريب» لإفادة القرب والمسند وراءه ـ ذكر لأن الأصل فيه ذلك وقدم للضرورة والحكم مقيد بالناسخ «يكون» لإفادة الاستقبال.

[المنسرح]

يوشك من فرّ من منيّته في بعض غِرّاته يوافقها

أصل الجملة يوشك من فر من منيته يوافقها في بعض غراته وهي جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث، والمراد بها التيئيس من الخلود في هذه الدنيا، المسند إليه «من» ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك وعرِّف بالموصولية لعدم العلم بما يخصه غير الصلة والمسند جملة يوافقها. ذكر وأخِّر لأن الأصل فيه ذلك وأتى به جملة لتقوية الحكم وقيد بالجار والمجرور لبيان زمنه. والحكم مقيد بالناسخ «يوشك» لإفادة المقاربة.

[السريع]

إن الثمانين وبلِّغتُها قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

إن الثمانين قد أحوجت. جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث والمراد بها إظهار الضعف ـ المسند إليه «الثمانين» ذكر وقدِّم لأن الأصل فيه ذلك، وعرِّف بأل للعهد الذهني. والمسند (قد أحوجت) ذكر وأخِّر لأن الأصل فيه ذلك وأتى به جملة لتقوية الحكم ـ والحكم مقيد بأن وقد للتوكيد، وأما قوله وبلغتها فهي معترضة للدعاء وهي جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي. المسند إليه التاء والمسند بلغ، والحكم مقيد بالمفعول به لبيان ما وقع عليه الفعل.

أسئلة على الإطلاق والتقييد يطلب أجوبتها

ما هو الإطلاق؟ ما هو التقييد؟ متى يكون الإطلاق؟ متى يكون التّقييد؟ لماذا يقيّد بالنعت؟ لماذا يقيد بعطف النسق؟ لماذا يقيد بالبدل؟ لماذا يقيد بالمفاعيل الخمسة؟ لماذا يقيد بالحال؟ لماذا يقيد بالتميز؟ لماذا يقيد بالنواسخ؟ لماذا يقيد بضمير الفصل؟ لماذا يقيد بالشرط؟ ما الفرق بين إن وإذ ولو؟ ما المقصود من الجملة الشرطية؟ هل يمكن أن تستعمل إن في مقام الجزم بوقوع الشرط؟ هل يمكن أن تستعمل إذا في مقام الشك؟ هل يمكن أن تستعمل لو مع المضارع؟ لماذا يقيد بالنفي.

الباب السادس

في أحوال متعلِّقات الفعل

الأصل في الفعل بناؤه للمعلوم، وقد يُبنى للمجهول ويُحذف الفاعل لأغراض شَتّى.

١ ـ للعلم به ـ نحو ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾[(١)].

٢ ـ أو للجهل به ـ نحو ـ سُرق المتاع ـ إذا لم يُعرف السّارق.

٣ ـ أو للخوف عليه ـ نحو شُتِمَ الأَمير. إذا خِيف على الشّاتم.

٤ ـ أو للخوف منه ـ نحو قتل قَتيل: إذا خِيف مِن القاتل.

٥ ـ أو للمُحافظة على سجع ـ نحو (من طابت سريرته حُمدت سيرته).

٦ ـ أو لتعظيم الفاعل إذا كان الفعل خسيسًا ـ أو صونه عن اللّسان نحو تُكلِّم بما لا يليق.

٧ ـ أو لتحقيره بصون اللِّسان عنه نحو ـ قد قِيلَ ما قِيلَ.

والأصل في المفعول أن يُؤَخر عن الفعل ولا يُقدّمُ عليه إلَّا لأغراض كثيرة:

١ ـ منها التّخصيص ـ نحو ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[(٢)] ردًّا على من قال أعتقد غير ذلك.

٢ ـ ومنها رِعاية الفاصلة ـ نحو ﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾﴾[(٣)].

٣ ـ منها التّبرُّك ـ نحو ـ كتابًا مقدَّسًا تلوتُ.

٤ ـ ومنها التّلَذُّذ ـ نحو ـ الحبيبَ قابلتُ.

والأصل في العامل أن يُقدّمَ على المعمول؛ كما أنَّ الأصلَ في المعمول أن تُقدّم عُمدتُه على فَضيلتِهِ ـ فيُحفظ هذا الأصلُ بين الفعل والفاعل.

أمّا بين الفعل والمفعول ونحوه كالظَّرف والجارِّ والمجرور فيختلف التَّرتيب للأَسباب الآتية:

---

(١) سورة النساء: الآية ٢٨.

(٢) سورة الفاتحة: الآية ٥.

(٣) سورة الحاقة: الآية ٣١.

أ ـ إمَّا لأمر معنويٍّ ـ نحو ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾[(١)] (فلو أُخِّر المجرور لتُوُهِّم أنه من صلة الفاعل وهو خلافُ الواقع لأنه صلةٌ لفعله).

ب ـ وإمَّا لأمر لفظي ـ نحو ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾[(٢)].

فلو قُدِّم الفاعل لاختلفَت الفواصلُ، لأَنَّها مبنيةٌ على الألف.

ج ـ وإما للأهمية ـ نحو ـ قُتل الخارجيُّ فلانٌ.

وأمّا تقديم الفضلات على بعض ـ فقد يكون:

أ ـ للأصالة في التقدُّم لفظًا ـ نحو حسبتُ الهلال طالعًا، فإنَّ الهلال وإن كان مفعولًا في الحال لكنه مبتدأ في الأصل أو للأصالة في التقدُّم معنى ـ وذلك كالمفعول الأول في نحو: أعطى الأمير الوزير جائزة، فإن الوزير وإن كان مفعولًا بالنسبة إلى الأمير، لكنه فاعل في المعنى بالنِّسبة إلى الجائزة[(٣)].

ب ـ أو لإخلال في تأخيره ـ نحو مررت راكبًا بفلان ـ فلو أخرت الحال لتُوُهِّمَ أنها حال من المجرور، وهو خلاف الواقع فإنها حال من الفاعل والأصل في المفعول ذكره، ولا يحذف إلَّا لأغراض تقدَّم ذكرها.

---

(١) سورة يس: الآية ٢٠.

(٢) سورة النجم: الآية ٢٣.

(٣) لأن الجائزة مأخوذة، والآخذ لها الوزير الذي فيه معنى الفاعلية التي تستدعي حق التقدم.

الباب السابع

في القصر

القصر لغة الحبس ـ واصطلاحًا هو تخصيص أمرٍ بآخرَ بطريق مخصوص أو ـ هو: إثبات الحكم لما يذْكر في الكلام ونفيه عمّا عداه بإِحدى الطرق الآتية:

نحو: ما فَهِم إلا خليل ـ فمعناه تخصيص الفهم بخليل، ونفيه عن غيره مِمَّن يُظَنُّ فيه ذلك ـ فما قبل «إِلَّا» وهو الفهم يسمّى مقصورًا وما بعدها وهو (خليل) يسمى مقصورًا عليه (وما ـ وإلا) طريق القصر ولكن قصر طرفان «مقصور، ومقصور عليه» وفي هذا الباب أربعة مباحث:

المبحث الأول

في طريق القصر

للقصر طرُقٌ كثيرة ـ وأشهرها في الاستعمال أربعة[1] وهي:

---

(١) ومن طرق القصر التي ليست مشهورة الاستعمال لفظ: وحده. أو فقط. أو لا غير. أو ليس غير. أو مادة الاختصاص، أو مادة القصر. أو توسط ضمير الفصل. أو تعريف المسند إليه. أو تقديم المسند إليه على خبره الفعلي أحيانًا وغير ذلك. وهذه الطرق خالية من اللطائف البلاغية وقد أوصلها السيوطي في كتاب «الإتقان في علوم القرآن» إلى أربعة عشر طريقًا.
أهمها الطرق الأربعة المشهورة الاستعمال وهي تختلف من أوجه كثيرة:
منها أن لا العاطفة لا تجتمع مع النفي والاستثناء لأن شرط المنفي بها أن لا يكون منفيًا صريحًا قبلها بغيرها فلا تقول ما عليٌّ إلّا مجتهدٌ لا متكاسل ـ ولذا عيب على الحريري قوله: [الطويل]

لعمرك ما الإنسان إلا ابن يومه ... على ما تحلى يومه ابن أمسه

وتجتمع «لا» مع إنما أو التقدم نحو إنما أنا مصري سوري. ونحو المجتهدَ أكرمتُ لا المتكاسلَ لأن النفي فيهما غير مصرح به ـ ومنها أن الأصل في الحكم مع النفي والاستثناء ـ أن يكون مجهولًا منكرًا للمخاطب (أي شأنه أن يجهله المخاطب وينكره) بخلاف إنما لأن النفي مع الاستثناء لصراحته أقوى في التأكيد من إنما فينبغي أن يكون لشديد الإنكار. ونحو: قولك (وقد رأيت شبحًا من بعد) ما هو إلا زيد لمن اعتقد أنه غيره. ونحو: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠]. لما كانوا مصرّين على دعوى الرسالة مع زعم المكذبين امتناع الرسالة في=

١ ـ النفي والاستثناء، نحو: ما شوقي إلاَّ شاعر ـ أو: ما شاعر إلاَّ شوقي.

٢ ـ وإنما ـ نحو: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[1].

٣ ـ والعطف بلا ـ وبل ـ ولكن ـ نحو: الأرض متحركة لا ثابتة.

أو: ما الأرض ثابتة بل متحركة ـ أو: ما الأرض ثابتة لكن متحركة.

٤ ـ وتقديم ما حقه التأخير ـ نحو ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[2].

= البشر. رد المكذبون إصرارهم عليها بقولهم ذلك.

وقد ينزل المعلوم منزلة المجهول لغرض بلاغي فيستعمل فيه النفي والاستثناء نحو ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤] أي مقصور على الرسالة لا يتعدّاها إلى التبرّي من الموت.

وهذا معلوم للصحابة منزلة المعلوم نحو إنما نحن مصلحون. لا دّعائهم أن كونهم مصلحين أمر ظاهر. ولهذا رد عليهم بقوله ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ [البقرة: ١٢] مؤكدًا بما ترى بالجملة ـ فالاستثناء لقوته يكون لرد شديد الإنكار حقيقة أو ادعاء ـ و«إنما» لضعفها تكون لرد الإنكار في الجملة حقيقية أو إدعاء ـ ومنها زيادة «إنما» على العطف بمزية أنه يفهم منها الحكمان أعني الإثبات للمذكور ـ والنفي عما عداه معًا، بخلاف العطف فإنه يفهم منه أولًا الإثبات، ثم النفي، أو عكسه، نحو إنما خليل فاهم ـ خليل فاهم لا حافظ ـ وأحسن مواقعها التعريض نحو ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩﴾ [الرعد: ١٩].

واعلم أن «غير» كإلّا في إفادة القصرين، وفي امتناع اجتماعه مع لا العاطفة فلا يقال ما عليٌّ غير شاعر لا منجم، وما شاعر غير علي لا نصر.

تنبيهات: الأول ـ الأصل في العطف أن ينص فيه على المُثْبت له الحكم والمنفي عنه إلاّ إذا خيف التطويل ـ وفي الثلاثة الباقية يُنص على المثبتُ فقط.

الثاني ـ النفي بلا العاطفة ـ لا يجتمع مع النفي والاستثناء فلا تقول ما محمد إلا ذكي لا غبي. لأن شرط جواز النفي بلا أن يكره ما قبلها منفياً بغيرها ويجتمع النفي بلا العاطفة مع كل من إنما والتقديم. فتقول: ما محمد ذكي لا غبي. وبالذكاء يتقدم محمد لا بالغباوة.

الثالث ـ الأصل في (النفي والاستثناء) أن يجيء لأمر ينكره المخاطب ـ أو يشكّ فيه ـ أو لما هو منزَّل هذه المنزلة: ومن الأخير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ۝ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ۝٢٣﴾ [فاطر: ٢٢ ـ ٢٣].

الرابع ـ الأصل في (إنما) أن تجيء لأمر من شأنه أن لا يجهله المخاطب ولا ينكره، وإنما يراد تنبيهه فقط. أو لما هو منزل هذه المنزلة. فمن الأول قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦] وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ۝٤٠﴾ [الرعد: ٤٠] ومن الثاني قوله تعالى حكاية عن اليهود: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١]، فهم قد ادّعوْا أن إصلاحهم أمرٌ جليٌّ لا شكّ فيه ـ وقال الشاعر: [الطويل]

أنا الزّائد الحامي الذِّمار وإنّما ... يدافعُ عن أحسابهم أنَا أو مثلي

(١) سورة فاطر: الآية ٢٨.
(٢) سورة الفاتحة: الآية ٥.

«وتوضيح ذلك» أن المقصور عليه «في النفي والاستثناء» هو ما بعد أداة الاستثناء ـ نحو: وما توفيقي إلا بالله.

والمقصور عليه مع (إنما) يكون مؤخرًا في الجملة وجوبًا نحو: إنما الدنيا غرُور.

والمقصور عليه مع (لا) العاطفة هو الواقع قبلها والمُقابلُ لما بعدها نحو: الفخر بالعلم لا بالمال.

والمقصور عليه مع (بل) أو (لكن) العاطفتين هو الواقع ما بعدهما نحو: ما الفخر بالمال بل بالعلم ـ ونحو: ما الفخر بالنّسب لكن بالتّقوى.

والمقصور عليه في (تقديم ما حقّه التأخير) هو المُقدَّم نحو: على الله توكلنا.

ملاحظات

١ ـ للقصر بإنّما مزية على العطف لأنّها تفيد الإثبات للشّيء، والنفي عن غيره دَفعة واحدة، بخلاف العطف فإنه يفهم منه الإثبات أولاً، ثم النفي ثانيًا ـ أو عكسه.

٢ ـ القصر بالتّقديم لا يُدَلّ عليه بطريق الوضع كالثلاثة الأول، بل مرجع دلالته إلى الذوق السليم والفكر الصّائب ـ يُسمّي علماءُ المعاني التّخصيص المُستفادَ من هذه الوسائل بالقصر ـ ويُسمُّون الوسائلَ نفسَها طُرُقَ القَصر.

المبحث الثاني

في تقسيم القصر باعتبار الحقيقة والواقع إلى قسمين

أ ـ قصر حقيقي[1] وهو أن يختصّ المقصورُ بالمقصورِ عليه بحسب الحقيقة والواقع بألّا يتعدّاه إلى غيره أصلًا ـ نحو لا إلٰه إلّا اللّهُ.

ب ـ وقصر إضافي ـ وهو أن يختصّ المقصور عليه بحسب الإضافة والنسبة إلى شيء آخَر مُعيَّن، لا لجميع ما عداه، نحو: ما خليل إلا مسافر: فإنك تقصد قصر السفر عليه بالنسبة لشخص غيره كمحمود مثلًا وليس قصدك أنه لا يوجد مسافر سواه، إذ الواقع يشهد ببطلانه.

(١) ومنه نوع يسمى بالقصر الحقيقي الادعائي ويكون على سبيل المبالغة بفرض أن ما عدا المقصور عليه لا يعتدّ به.

المبحث الثالث

في تقسيم القصر باعتبار طرفيه

ينقسم القصر باعتبار «طرفيه المقصور والمقصور عليه».

سواء أكان القصر حقيقيًا أم إضافيًا إلى نوعين:

أ ـ قصر صفة على موصوف ـ ومثاله من الحقيقي لا رازقَ إلّا الله، ومثاله من الإضافي، نحو: لا زعيم إلّا سعد.

ب ـ قصر موصوف على صفة. ومثاله من الحقيقي، نحو: ما الله إلّا(١) خالقُ كلِّ شيءٍ(١).

ومثاله من الإضافي قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾(٢).

---

(١) قصر الموصوف على الصفة في القصر الحقيقي لا يكاد يوجد لتعذر الإحاطة بصفات الشيء حتى يمكن إثبات شيء منها ونفي ما عداها ـ ويكثر القصر الحقيقي في قصر الصفة على الموصوف بخلاف القصر الإضافي الذي يأتي كثيرًا في كلّ من قصر الصفة على الموصوف، وقصر الموصوف على الصفة ـ واعلم أنّ المراد بالصفة هنا الصفة المعنوية التي تدلّ على معنى قائم بشيء، سواء أكان اللّفظ الدال عليه جامدًا أو مشتقًا، فعلًا أو غير فعل، وليس المراد بها الصفة النحوية المسماة بالنعت.

أسباب ونتائج

الغاية من القصر تمكين الكلام وتقريره في الذهن كقول الشاعر: [الطويل]

وما المرء إلا كالهلال وضوئه ... يوافي تمام الشهر ثم يغيب

ونحو: [الطويل]

وما لامرىء طول الخلود وإنما ... يخلّده طول الثناء فيخلد

وقد يراد بالقصر المبالغة في المعنى كقول الشاعر: [الطويل]

وما المرء إلا الأصغران لسانه ... ومعقوله والجسم خَلْق مُصور

وكقوله: [مجزوء الكامل]

لا سيف إلا ذو الفقار ... ولا فتى إلا علي

وذو الفقار لقب سيف الإمام علي، وسيف العاص بن منبه والقصر قد ينحو فيه الأديب مناحي شَتى، كأن يتّجه إلى القصر الإضافي رغبة في المبالغة كقوله: [الرمل]

وما الدنيا سِوى حلُم لذيذ ... تُنَبّهُه تباشير الصّباح

وقد يكون من مرامي القصر التعريض كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد: ١٩] إذ ليس الغرض من الآية الكريمة أن يعلم السامعون ظاهر معناها ولكنها تعريض بالمشركين الّذين في حكم من لا عقل له.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

المبحث الرابع
في تقسيم القصر الإضافي

ينقسم القصر الإِضافيُّ بنوعيه[١] على حسب حال المخاطب إلى ثلاثة أنواع:

أ ـ قصر إفراد ـ إذا اعتقد المخاطب الشّرِكةَ ـ نحو ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[٢] «ردًّا على مَن اعتقد أنّ الله ثالثُ ثلاثة».

ب ـ قصر قلب ـ إذا اعتقد المخاطب عكسَ الحكم الذي تُثبتُه نحو: ما سافر إلا عليّ. «ردًّا على من اعتقد أن المسافرَ خليل لا عليٌّ».

فقد قلبتَ وعكستَ عليه اعتقادَه.

ج ـ قصر تعيين ـ إذا كان المخاطب يتردَّد في الحكم: كما إذا كان متردِّدًا في كون الأرض متحرّكةً أو ثابتة فتقول له: الأرض متحركة لا ثابتة «ردًّا على مَنْ شَكَّ وَتَرَدّد في ذلك».

واعلم أن القصر يقع بين المبتدأ والخبر، وبين الفعل والفاعل، وبين الفاعل والمفعول، وغير ذلك من المتعلّقات.

تطبيق (١)

وضّح فيما يلي نوع القصر وطريقه

[البسيط]

١ ـ ما الدَّهرُ عندك إلا رَوضةٌ أُنُفٌ ... يا مَن شمائلُهُ في دهره زَهرُ[٣]

[الطويل]

٢ ـ ليس عارٌ بأن يُقَالَ فَقيرٌ ... إنما العار أن يُقال بخِيلُ

---

(١) بخلاف الحقيقي بنوعيه، إذ العاقل لا يعتقد اتصاف أمر بجميع الصفات أو اتصافه بجميعها إلا واحدة، أو يتردد في ذلك، كيف وفي الصفات ما هي متقابلة فلا يصح أن يقصر الحكم على بعضها وينفي عن الباقي إفرادًا أو قلبًا وتعيينًا وعلى هذا المنوال قصر الصفة على الموصوف. كما في المطول وشراح التجريد.

(٢) سورة النساء: الآية ١٧١.

(٣) روضة أنف، لم يرعها أحد.

الرقم الجملة	نوعه باعتبار المقصور	نوعه باعتبار الواقع	طريقه
١ ـ ما الدهر..	موصوف على صفة	إضافي	النفي والاستثناء
٢ ـ إنما العار	موصوف على صفة	إضافي	إنما

[البسيط]

٣ ـ وإنما الأَمَمُ الأَخلاق ما بقِيت ... فإن هُموا ذَهبتْ أخلاقُهم ذَهبُوا

[الطويل]

٤ ـ فلمّا أبى إلاّ البكاءَ رَفَدْتُهُ ... بعَينين كانا للدّمُوع على قَدْر(١)

[مجزوء الخفيف]

٥ ـ ما لنا في مديحه غيرُ نظم ... للمساعي التي سعاها ووصفُ

[الطويل]

٦ ـ بك اجتمع الملك المُبَدَّدُ شَمْلهُ ... وضُمَّتْ قَواصٍ منه بعد قَواصي(٢)

[الطويل]

٧ ـ سيذكرني قومي إذا جَدَّ جِدُّهُمُ ... وفي الليلة الظلماء يُفْتَقَدُ البدرُ(٣)

[مجزوء الخفيف]

٨ ـ ما افترقنا في مديحه بل وَصَفْنَا ... بعضَ أخلاقه وذلك يَكفي

تطبيق (٢)

١ ـ قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾(٤).

٢ ـ قال تعالى: ﴿إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ﴿١١٣﴾﴾(٥).

---

(١) رفده أعانه، قدر: مصدر قدر على الشيء بمعنى اقتدر.
(٢) المبدد المفرق القواصي جمع قاصية، وهي الناحية البعيدة.
(٣) جد في أمره اجتهد. والجد (بكسر الجيم). الاجتهاد. وضده الهزل. يفتقد يطلب.
(٤) سورة النساء: الآية ١٧١.
(٥) سورة الشعراء: الآية ١١٣.

الرقم الجملة	نوعه باعتبار المقصور	نوعه باعتبار الواقع	طريقه
٣ ـ إنما الأمم	موصوف على صفة	حقيقي ادعائي	إنما
٤ ـ فلما أبى	صفة على موصوف	إضافي	النفي والاستثناء
٥ ـ ما لنا	صفة على موصوف	إضافي	النفي والاستثناء
٦ ـ بك اجتمع	صفة على موصوف	إضافي	تقديم الجار والمجرور
٧ ـ وفي الليلة	موصوف على صفة	إضافي	تقديم الجار والمجرور
٨ ـ ما افترقنا	موصوف على صفة	إضافي	بل

الرقم	الجملة	نوعه باعتبار الواقع	باعتبار المقصور	باعتبار المخاطب	طريقه
١ ـ	إنما الله...	إضافي	موصوف على صفة	إفراد	إنما
٢ ـ	إن حسابهم	إضافي	موصوف على صفة	إفراد	النفي والاستثناء

٣ ـ قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾[١].

٤ ـ قال تعالى: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾[٢].

[الطويل]

٥ ـ فإنْ كان في لبس الفتى شَرَفٌ له ... فما السَّيْفُ إلا غِمده والحمائلُ[٣]

[البسيط]

٦ ـ ليسَ اليتيمُ الذي قَدْ مَاتَ والدُه ... بَلِ اليتيمُ يَتيمُ العِلمِ والأدب

[الطويل]

٧ ـ وما شاب رأسي من سِنينَ تتابَعَت ... عليَّ ولكن شَيَّبَتني الوقائع

[البسيط]

٨ ـ إن الجَديدَينِ في طول اختلافهما ... لا يَفسُدَانِ ولكن يفسُدُ الناس

١ ـ لا يألف العلم إلا ذكي ـ ولا يجفوه إلا غبيّ.

[السريع]

٢ ـ قد علمتْ سَلْمى وجاراتُها ... ما قَطَّرَ الفارس إلَّا أنا

[مجزوء الرمل]

٣ ـ إنما الدنيا هِباتٌ ... وعوارٍ مُستَرَدَّهْ

شِدَّةٌ بعد رَخاءٍ ... وَرَخاءٌ بعد شِدَّة

٤ ـ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ـ إنما الأعمال بالنِّيات، وإنّما لكل امرىء ما نوى.

---

(١) سورة النساء: الآية ١٣٢، سورة آل عمران: الآية ١٢٩، سورة البقرة: الآية ٢٨٤.

(٢) سورة يس: الآية ١٥.

(٣) جفن السيف غمده: والحمائل: جمع حمالة: علاقة السيف.

الرقم	الجملة	نوعه باعتبار الواقع	باعتبار المقصور	باعتبار المخاطب	طريقه
٣ ـ	لله ما في السموات	حقيقي	صفة على موصوف	إفراد	التقديم
٤ ـ	إن أنتم...	إضافي	موصوف على صفة	إفراد	النفي والاستثناء
٥ ـ	فما السيف...	إضافي	موصوف على صفة	محتمل	النفي والاستثناء
٦ ـ	ليس اليتيم...	إضافي	صفة على موصوف	محتمل	العطف ببل
٧ ـ	وما شاب...	إضافي	صفة على موصوف	محتمل	العطف بلكن
٨ ـ	لا يفسدان...	إضافي	صفة على موصوف	محتمل	العطف بلكن

الرقم	الجملة	نوعه باعتبار المقصور	باعتبار الواقع	طريقه
١ ـ	لا يألف العلم إلا ذكي	قصر صفة على موصوف	حقيقي	النفي والاستثناء
٢ ـ	ما قطر الفارس إلا أنا	قصر صفة على موصوف	حقيقي	النفي والاستثناء
٣ ـ	إنما الدنيا هبات	قصر موصوف على صفة	إضافي	إنما
٤ ـ	على الله توكلنا	قصر صفة على موصوف	إضافي	التقديم

[الطويل]

٥ ـ محاسنُ أوصاف المغنِّين جمّة وما قصباتُ السّبق إلَّا لمعْبَد

[الطويل]

٦ ـ إلى الله أشكو أنّ في النّفس حاجةً تمُرّ بها الأيّام وهي كما هِيَا

٧ ـ عند الامتحانِ يُكرمُ المرءُ أو يُهان.

٨ ـ هاتِ جملةِ تفيد نجاحَ سعد ـ وعدم نجاحَ سعيد ـ بواسطة إنَّما.

٩ ـ رُدَّ بطريق القصر بأنما على من ظنَّ أن المطر يكثر شتاء في السودان.

١ ـ أ ـ مَنْ تُخاطب بالجملة الآتية؟ فيكون القصر قصر قلب.

ب ـ مَنْ تُخاطب بالجملة الآتية؟ فيكون القصر قصر إفراد.

ج ـ مَنْ تُخاطب بالجملة الآتية؟ فيكون القصر قصر تعيين.

وهي (ما أدَّيتُ إلا الواجبَ عليَّ).

٢ ـ غيِّر الجملة الآتية بحيث تفيد القصرَ بالعطف:

«بالاختراعات الحديثة ارتقت الأمم الغربيّة».

أسئلة على القصر يطلب أجوبتها

ما هو القصر لغة واصطلاحًا؟ كم قسمًا القصر؟ ما هو القصر الحقيقي ما هو القصر الإضافي؟ كم قسمًا القصر الحقيقي؟ كم قسمًا القصر الإضافي ما مثال قصر الصفة على الموصوف من الحقيقي؟ ما مثال قصر الصفة على الموصوف من الإضافي؟ ما مثال قصر الموصوف على الصفة من الحقيقي؟ ما مثال قصر الموصوف على الصفة من الإضافي؟ كم قسمًا الإضافي بقسميه؟ على من يُرَدّ بقصر الإفراد؟ على مَن يُرَدُّ بقصر القلب؟ على من يُرَدُّ بقصر التعيين؟ ما هي طرق القصر المصطلح عليها

الرقم	الجملة	نوعه باعتبار المقصور	باعتبار الواقع	طريقه
٥ ـ	ما قصبات السبق إلا الخ	قصر صفة على موصوف	إضافي	النفي والاستثناء
٦ ـ	إلى الله أشكو	قصر صفة على موصوف	حقيقي	التقديم
٧ ـ	عند الامتحان يكرم الخ	قصر صفة على موصوف	إضافي	التقديم

٨ ـ إنما نجح سعد لا سعيد.

٩ ـ إنما يكثر المطر في السودان ربيعًا لا شتاءً.

١ ـ أ ـ إذا كان المخاطب يعتقد أنك أديت غير الواجب عليك.

ب ـ إذا كان المخاطب يعتقد أنك أديت الواجب وغيره.

ج ـ إذا كان المخاطب مترددًا في تأدية الواجب وغيره.

٢ ـ ارتقت الأمم الغربية بالاختراعات الحديثة لا بغيرها.

في هذا الباب؟ ما أقواها أيمكن وقوع القصر بين الفعل والفاعل؟ أيمكن وقوع القصر بين الفاعل والمفعول أيمكن وقوع القصر بين الفعل ومعمولاته؟ أيمكن وقوع القصر بين المفعولين؟ متى يجب تأخير المقصور عليه؟ ومتى يكثر تأخير المقصور عليه؟ لماذا يجب تأخير المقصور مع إنما؟ ويكثر مع النفي والاستثناء؟.

تطبيق عام على القصر ـ والأبواب السابقة

لا حول ولا قوة إلا بالله ـ جملتان خبريتان اسميتان من الضرب الثالث لما فيهما من التوكيد بالقصر الذي هو أقوى طرق التوكيد ـ المسند إليه (حول وقوة) والمسند الجار والمجرور. ولا نظر لتقديم الخبر لأن ذلك مراعاة لقاعدة نحوية لا يعتبرها أهل المعاني ولا يعدون حذفه إيجازًا. والحكمان مقيدان بالنفي والاستثناء لإفادة القصر ـ ففيهما قصر صفة وهي التحول عن المعاصي، والقوة على الطاعة على موصوف وهو الذّات الأقدس. وهو قصر إضافي طريقه النفي والاستثناء. ثم إن كان للرد على من يعتقد أن التحول عن المعاصي والقوة على الطاعة بغير الله تعالى فهو قصر قلب. أو على من يعتقد الشركة فهو إفراد. أو على من يتردد فهو تعيين. ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾[1] ـ جملتان خبريتان فعليتان من الضرب الثالث. المسند. نعبد ونستعين. والمسند إليه الضمير المستتر فيهما ـ وهما مقيدتان بالمفعولين إياك. وقدم المفعولين لإفادة القصر ـ ففيهما قصر صفة وهي العبادة والاستعانة على موصوف وهو الذات الأقدس. طريقه تقديم ما حقه التأخير ـ وهو إضافي. ثم إن كان للرد على من يعتقد أن المعبود غير الله تعالى ـ فهو قلب ـ أو على من يعتقد الشركة فهو إفراد. أو على من يتردد فهو ـ تعيين.

إنما شوقي شاعر ـ فيه قصر موصوف وهو شوقي على صفة وهي الشعر ـ طريقه إنما ـ وهو قلب أو إفراد أو تعيين على حسب حال المخاطب.

الله الغفور الرحيم ـ فيه قصر الصفة وهي المغفرة والرحمة ـ على موصوف وهو الله تعالى ـ طريقه تعريف المسند بأل.

وهو قلب ـ أو إفراد ـ أو تعيين ـ على حسب حال المردود عليه.

إنما الشجاع عليّ ـ فيه قصر صفة وهي الشجاعة ـ على موصوف وهو عليّ طريقه إنما.

---

(١) سورة الفاتحة: الآية ٥.

المرء بآدابه لا بثيابه ـ فيه قصر الموصوف على الصفة، قصر قلب بين المسند إليه والمسند. طريقه العطف بلا.

إنَّما الإله واحد ـ فيه قصر الموصوف على الصفة، قصرًا حقيقًا ـ طريقه إنما. وهو واقع بين المسند إليه والمسند.

الباب الثامن

في الوصل والفصل

العلم بمواقع الجُمل، والوقوف على ما ينبغي أن يصنع فيها من العطف والاستئناف والتّهدّي إلى كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها، أو تركها عند عدم الحاجة إليها صعبُ المسلك، لا يُوفّق للصّواب فيه إلّا مَن أوتي قسطًا وافرًا من البلاغة وطُبع على إدراك محاسنها، ورُزق حظًّا من المعرفة في ذوق الكلام، وذلك لغموض هذا الباب ودِقّة مسلكه، وعظيم خطره، وكثير فائدته، يدلّ لهذا أنهم جعلوه حدًا للبلاغة ـ فقد سُئل عنها بعض البلغاء فقال: هي «معرفة الفصل والوصل» فالوصل عطف جملة على أخرى بالواو ونحوها ـ والفصل ترك هذا العطف(1). والذي يَتكلّم

(١) اعلم أنه إذا توالت الجملتان. لا يخلو الحال من أن يكون ـ للأولى محل من الإعراب ـ أوْ لاَ. وإن كان لها محل من الإعراب فلا بد من أن يقصد تشريك الثانية لها في حكم الاعراب ـ أو لا. فإن قصد التشريك عطفت الثانية عليها نحو ﴿وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [آل عمران: ١٥٦] ـ وإلّا فصلت عنها نحو ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝١٤ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤ ـ ١٥]. لم يعطف قوله الله يستهزىء بهم على ما قبله لئلا يشاركه في حكم المفعولية للقول وهو ليس مما قالوه كما سيأتي ـ وإن لم يكن لها محل من الاعراب فإن كان لها حكم لم يقصد إعطاؤه للثانية وجب الفصل ـ دفعًا للتشريك بينهما ـ نحو ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ [الرعد: ٧ ـ ٨] ـ لم يعطف (قوله الله يعلم) على ما قبله لئلا يشاركه في حكم القصر فيكون تعالى مقصورًا على هذا العلم ـ وإن لم يكن لها ذلك الحكم نحو: زيد خطيب وعمرو متشرع ـ أو قصد إعطاء حكمها للثانية نحو إنما زيد كاتب وعمرو شاعر، وجب الوصل كما رأيت ـ ما لم تكن إحدى الجملتين مطلقًا منقطعة عن الأخرى انقطاعًا كاملًا بحيث لا يصح ارتباطهما ـ أو متصلة بها اتصالًا كاملًا بحيث لا تصح المغايرة بينهما، فيجب الفصل لتعذر ارتباط المنقطعتين بالعطف وعدم افتقار المتصلتين إلى ارتباط به. ويحمل شبه كل واحد من الكمالين عليه فيعطى حكمه ـ واعلم أنه لا يقبل في العطف إلا عطف المتناسبات مفردة أو جملًا بالواو أو غيرها، فالشرط وجود جهة جامعة بين المتعاطفات، فنحو الشمس والقمر والسماء والأرض، محدثة (مقبول) ونحو الشمس والأرنب والحمار. محدثة (غير مقبول) لكن اصطلاحهم اختصاص الوصل والفصل بالجمل، وبالواو ـ فلا يحسن الوصل إلا بين الجمل المتناسبة. لا المتحدة ولا المتباينة. =

عليه علماءُ المعاني هُنَا العطفُ «بالواو» خاصَّة دون بقيَّة حروف العطف ـ لأنَّ الواو هي الأَداة التي تخفَى الحاجةُ إليها، ويحتاج العطف بها إلى لُطف في الفهم، ودقّة في الإدراك، إذ لا تفيد إلّا مجرّدَ الرّبط وتشريكَ ما بعدها لما قبلها في الحكم ـ بخلاف العطف بغيرها فيفيد مع التّشريك معاني أخرى ـ كالتّرتيب مع التّعقيب في الفاء ـ وكالتّرتيب مع التّراخي في ثُمَّ ـ وهكذا باقي حروف العطف التي إذا عُطف بواحد منها ظهرت الفائدة، ولا يقع اشتباه في استعماله.

وشرط العطف بالواو أن يكون بين الجملتين جامعٌ كالمُوافقةِ في نحو: يقرأ ويكتبُ، وكالمُضادّة في نحو يضحك ويبكي.

وإنّما كانت المضادّة في حكم المُوافقة، لأنّ الذّهن يتصوّر أحد الضدّين عند تصوّر الآخر، فالعلم يخطر على البال عند ذكر الجهل كما تخطر الكتابة عند ذكر القراءة.

والجامع يجب أن يكون باعتبار المسند إليه والمسند جميعًا فلا يُقال خليل قادم، والبعير ذاهب، لعدم الجامع بين المسند إليهما.

كما لا يقال: سعيد عالم، وخليل قصير، لعدم الجامع بين المسندين وفي هذا الباب مبحثان:

المبحث الأول
في مواضع الوصل

الوصلُ عطفُ جملة على أُخرى بالواو ونحوها ـ ويقع في ثلاثة مواضع[(١)]:

الأول: إذا اتّفقت الجملتان في الخبرية والإنشائية لفظًا ومعنى أو معنى فقط[(٢)] ولم يكن هناكَ سببٌ يقتضي الفصل بينهما. وكانت بينهما مُناسبةٌ تامّة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾[(٣)] وقوله تعالى: ﴿فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾[(٤)].

= والأفضل ـ واعلم إنه إن وجدت الواو بدون معطوف عليه قدّر مناسب للمقام ـ نحو ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا﴾ [البقرة: ١٠٠] فيقدر أكفروا وكلما عاهدوا لأن الهمزة تستدعي فعلًا.

(١) الوصل يقع وجوبًا بين جملتين متناسبتين لا متحدتين ولا مختلفتين كما سيأتي تفصيل ذلك.

(٢) المعول عليه اتفاقهما في المعنى لأن العبرة به ولا قيمة لاختلاف الصورة اللفظية.

(٣) سورة الانفطار: الآية ١٤.

(٤) سورة هود: الآية ١١٢.

وقوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾[(١)].

أي إنِّي أُشهِدُ اللّهَ وأُشهِدُكم[(٢)]: فتكون الجملة الثانية في هذه الآية إنشائية لفظًا، ولكنّها خبرية في المعنى[(٣)].

ونحو: إذهبْ إلى فلان وتقول له كذا، فتكون الجملة الثانية من هذا المثال خبرية لفظًا. ولكنها إنشائية معنى «أي وقلْ له».

فالاختلاف في اللفظ لا في المعنى المُعوّل عليه، ولهذا وجب الوصل.

وعطف الجملة الثانية على الأول لوجود الجامع بينهما، ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما، وكل من الجملتين لا موضع له من الإعراب.

الثاني: إذا اختلفت الجملتان في الخبرية والإنشائية وكان الفصل يُوهِم خِلاَف المقصود[(٤)] كما تقول مجيبًا لشخص بالنّفي «لا وشفاه الله[(٥)]».

لمن يسألك هل بَريءَ عليٌّ من المرض؟ «فتركُ الواو يُوهم السّامع الدُّعاء عليه، وهُو خلافُ المقصود، لأن الغرض الدعاء له».

ولهذا وجب أيضًا الوصل وعطف الجملة الثانية على الأولى لدفع الإيهام، وكلٌّ من الجملتين لا محل له من الإعراب.

الثالث: إذا كان للجملة الأولى محلٌّ من الإعراب، وقصدِ تشريك الجملة الثانية لها في الإعراب حيث لا مانع نحو: عليٌّ يقول ويفعل.

فجملة يقول في محل رفع خبر المبتدأ، وكذلك جملة: ويفعل، معطوفة على جملة يقول وتشاركها بأنها في محل رفع خبر ثان للمبتدأ.

---

(١) سورة هود: الآية ٥٤.

(٢) والداعي لذكر الجملة الثانية إنشائية ولم تذكر كالأولى خبرية لأجل التحاشي عن مساواة شهادتهم بشهادته تعالى ـ تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

(٣) اعلم أن صور الجملتين ثمانية ـ لأنهما (إما خبريتان) لفظًا ومعنى أو معنى لا لفظًا ـ أو الأولى جملة خبرية معنى لا لفظًا ـ أو بالعكس.

(وإما إنشائيتان) لفظًا ومعنى ـ أو معنى لا لفظًا ـ أو الأولى جملة خبرية صورة والثانية إنشائية ـ أو بالعكس كما مثلنا.

(٤) أما إذا لم يحصل إيهام خلاف المقصود فيجب الفصل نحو سافر فلان سلمه الله.

(٥) فجملة شفاه الله خبرية لفظًا إنشائية معنى والعبرة بالمعنى ـ واعلم أن «لا» في هذا الموضع قائمة مقام جملة خبرية إذ التقدير «لا برء حاصل له» وهكذا يقدر المحذوف بحسب كل مثال يليق به.

وحكم هذه الجملة حكم المفرد المُقتضِي مُشاركة الثّاني للأوّل في إعرابه والأحسن أن تَتَّفِقَ الجملتان في الاسمية والفعلية، والفعليتان في الماضوية والمضارعية.

أي أن تُعْطف الإسمية على مثلها، وكلّ من الماضوية والمضارعيّة على مثلها ـ وكذا الإسميتان في نوع المسند من حيثُ الإفراد والجمليّة والظّرفية: ولا يَحسن العدولُ عن ذلك إلّا لأغراض:

أ ـ كحكاية الحال الماضية، واستحضار الصّورة الغريبة في الذهن نحو: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ، فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (١).

ب ـ وكإفادة التجدُّد في إحداهما، والثُّبوتِ في الأخرى ـ نحو: ﴿أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾ (٢) فقد لُوحظَ في الأولى إحداثُ تعاطِي الحقّ ـ وفي الثانية الاستمرار على اللّعبِ، والثّبات على حالة الصّبا ـ ونحو: الصّديق يُكاتبني وأنا مقيمٌ على وُدّهِ (٣).

المبحث الثاني
في مواضع الفصل

مِن حقّ الجُمَل إذا ترادفت ووقع بعضُها إثر بعض أن تُربطَ بالواو لِتكونَ على نَسق واحد ـ ولكن قد يَعرِضُ لها ما يُوجب تركَ الواو فيها ويُسمى هذا فصلًا ـ ويقع في خمسة مواضع.

الأول: أن يكون بين الجملتين اتحادٌ تامٌ وامتزاجٌ معنويٌّ حتّى كأنهما أُفرغَا في قالَب واحد، ويُسمّى ذلك «كمالَ الاتصال».

الثاني: أن يكون بين الجملتين تباينٌ تَامٌّ بدون إيهامَ خلاف المراد ويُسمّى ذلك «كمالَ الانقطاع».

الثالث: أن يكون بين الجملتين رابطة قويّة، ويُسمّى «شِبهَ كمال الاتصال».

الرابع: أن يكون بين الجملة الأولى والثالثة جملةٌ أخرى متوسطة حائلة بينهما.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٨٧، سورة الشعراء: الآية ١٦٧.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٥٥.

(٣) وذلك لأنّ الدّلالة على التجدّد تكون بالجملة الفعليّة، وعلى الثّبوت بالجملة الإسمية ـ ومثل هذا يحصل عند إرادة المضي في إحداهما والمضارعية في الأخرى.

فلو عطفت الثالثةُ على «الأولى المناسبةِ لها» لتوهُمّ أنها معطوفة على «المتوسّطة» فيترك العطف، ويسمّى «شِبهَ كمال الانقطاع».

الخامس: أن يكون بين الجملتين تناسبٌ وارتباط لكن يمنع من عطفهما مانع وهو عدم قصد اشتراكهما في الحكم، ويُسمّى «التّوسُّطَ بين الكمالين».

إيضاح وتحديد

لكل موضع من مواضع الفصل الخمسة السّابقة ـ وهي:

الموضع الأول: «كمال الاتصال» وهو اتّحَادُ الجملتينِ اتّحادًا تامًا وامتزاجًا معنويًا بحيث تُنزّل الثّانية من الأولى مَنزلةَ نفسها.

أ ـ بأن تُجعَل بدلًا منها نحو ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾﴾[1].

ب ـ أو بأن تُجعل بدلًا لها ـ كقوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾[2].

ج ـ أو بأن تُجعل مُؤكّدة لها ـ كقوله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾[3] فالمانع من العطف في هذا الموضع اتحاد الجملتين اتحادًا تامًا يمنع عطف الشيء على نفسه، ويُوجب العمل.

الموضع الثاني: «كمال الانقطاع» وهو اختلاف الجملتين اختلافًا تامًا:

أ ـ بأن يختلفا خبرًا وإنشاء، لفظًا ومعنى، أو معنى فقط نحو: حضر الأمير حفظه الله: ونحو تكلّمْ إنّي مُصغٍ إليك ـ وكقول الشاعر:

[البسيط]

وقــال رائِــدُهــم أرســوا نُــزاولُــهــا فحتفُ كلّ امرىء يجري بمقدار[4]

---

(١) هذا في بدل البعض ـ وأما في بدل الكل فنحو ـ ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا﴾ [المؤمنون: ٨١ ـ ٨٢] ـ وأما بدل الاشتمال فنحو قوله: [المتقارب]

أقــول لــه ارحــل لا تُــقــيــمــنَّ عــنــدنــا وإلّا فكن في السّر والجهر مُسلما

فجملة لا تقيمن بدل من ارحل بدل اشتمال لأن بينهما مناسبة بغير الكلية والجزئية، سورة الشعراء: الآية ١٣٣.

(٢) سورة طه: الآية ١٢٠.

(٣) سورة الطارق: الآية ١٧.

(٤) أي أوقفوا السفينة كي نباشر الحرب ولا تخافوا من الموت فإن لكل أجل كتابًا ـ أي فالمانع من العطف في هذا الموضع أمر ذاتي لا يمكن دفعه أصلًا وهو كون إحداهما جملة خبرية والأخرى إنشائية ولا جامع بينهما.

ب ـ أو بألّا تكون بينهما مناسبة في المعنى ولا ارتباط ـ كقولك عليٌّ كاتبٌ. الحمام طائر، فإنه لا مناسبة بين كتابة عليّ. وطيران الحمام.

فالمانع من العطف في هذا الموضع «أمر ذاتي» لا يمكن دفعه أصلًا وهو التّباين بين الجملتين، ولهذا وجب الفصل وترك العطف، لأنّ العطف يكون للرّبط، ولا ربط بين جُملتين في شدة التّباعد وكمال الانقطاع.

الموضع الثالث: «شِبه كمال الاتصال» وهو كون الجملة الثانية قويّة الارتباط بالأولى لوقوعها جوابًا عن سُؤال يُفهم من الجملة الأولى ـ فتُفصَلُ عنها كما يفصل الجواب عن السّؤال ـ نحو: وما أَبرّىء نفسي إنّ النّفسَ لأَمّارة بالسُّوء(١) ونحو:

[الكامل]

زعـم الـعَـوازُل أنّـنِـي فـي غَـمـرة ... صَـدقُـوا ولـكـنْ غـمـرتِـي لا تَـنـجَـلِـي

«كأنه سُئِلَ: ـ أصدَقوا في زعمهم أم كذبوا؟ فأجاب: صدقوا»(٢).

---

(١) الجملة الثانية شديدة الارتباط بالجملة الأولى لأنها جواب عن سؤال نشأ من الأولى «لِمَ لا تبرىء؟؟» فقال «إنّ النفس لأمّارة بالسوء» فهذه الرابطة القويَّة بين الجملتين مانعه من العطف فأشبهت حالة اتحاد الجملتين ـ وبذلك ظهر الفرق بين كمال الاتصال، وشبه كمال الاتصال.

(٢) وبيان ذلك بعبارة أخرى أنه إذا اجتمعت جملتان: فذلك على خمسة أحوال:

أولًا ـ أن تكون الثانية بمعنى الأولى، أو جزءًا منها، فيجب ترك العطف لأن الشيء لا يُعطف على نفسه، وكذا الجُزء لا يُعطف على كلّه. فيقال حينئذٍ إنّ بين الجملتين كمال الاتصال ـ ومواضعه:

«أ» أن تكون الثانية توكيدًا للأولى ـ مثل قوله تعالى: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١].

«ب» أن تكون الثانية بدلًا من الأولى ـ مثل أطعتُ الله. أديتُ الصلاة.

«جـ» أن تكون الثانية بيانًا للأولى ـ مثل بثَّني شكواه. قال إني لا أجد قوت يومي.

ثانيًا ـ أن تكون الثانية مباينة للأولى تمام المباينة، فيجب ترك العطف لأن العطف يكون للربط، ولا ربط بين المتباينين، فيقال: بين الجملتين كمال الانقطاع. ومواضع ذلك:

«أ» أن تختلفا خبرًا وإنشاء مثل ـ مات فلان رحمه الله.

إلا إذا أوهم ترك العطف خلاف المقصود فيجب العطف نحو لا وشفاك الله.

«ب» أن تتحدا خبرًا وإنشاء ولكن لا يوجد بينهما رابط، مثل القمر طالع ـ أكلت كثيرًا.

ثالثًا ـ أن تكون الجملتان متناسبتين وبينهما رابطة، ويُسمَّى ذلك التوسط بين الكمالين ـ وذلك على نوعين.

«أ» ألّا يمنع من العطف مانع فيعطف ـ مثل اجتهدوا وتأدبوا.

«ب» أن يمنع مِن العطف مانع ـ وهو عدم قصد التشريك في الحكم فيمتنع العطف مثل قوله=

فالمانع من العطف في هذا الموضع وجود الرابطة القويّة بين الجملتين فأشبهت حالة اتحاد الجملتين ـ ولهذا وجب أيضًا الفصل.

الموضع الرابع: «شِبه كمال الانقطاع» وهو أن تسبق جملةً بجملتين يصحُ عطفها على الأولى لوجود المناسبة، ولكن في عطفها على الثانية فسادٌ في المعنى، فيُترك العطف بالمرّة دفعًا لتوهُمِ أنه معطوف على الثانية ـ نحو:

[الكامل]

وَتَـظـنُّ سَـلـمَـى أَنّـنـي أبـغِـي بـهـا ... بـدلًا أُراهـا فـي الـضـلال تَـهـيـمُ

فجملة «أُراها» يصح عطفها على جملة «تظنّ» لكن يمنع من هذا توهُّم العطف على جملة «أبغي بها» فتكون الجملة الثالثة من مظنونات سلمى، مع أنه غير المقصود ـ ولهذا امتنع العطف ووجب أيضًا الفصل.

والمانع من العطف في هذا الموضع «أمر خارجي احتمالي» يمكن دفعه «بمعونة قرينة» ومن هذا وممّا سبق يُفهم الفرق بين كلّ من «كمال الانقطاع ـ وشبه كمال الانقطاع».

الموضع الخامس: «التّوسّط بين الكماليْن مع قيام المانع» وهو كون الجملتين مُتناسبتين وبينهما رابطة قويّة ـ لكن يمنع من العطف مانع، وهو عدم قصد التّشريك في

= تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝١٤ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤ - ١٥].

رابعًا ـ أن تكون الثانية قوية الرابطة بالأولى، لأنها جواب عن سؤال يفهم من الأولى، فهذه الرابطة القوية تمنع العطف، لأنها أشبهت حالة اتحاد الجملتين (ويسمى ذلك شبه كمال الاتصال ـ مثل رأيته مبتسمًا، أظنه نجح).

خامسًا ـ أن تكون الأخيرة مناسبة للأولى، ولا مانع من عطفها عليها، ولكن يعرض حائل بينهما وهو جملة أخرى متوسطة، فلو عطفت الثالثة على الأولى المناسبة لها لتوهم أنها معطوفة على المتوسطة، فامتنع العطف بتاتًا وأصبحت الجملتان كأنهما منقطعتان بهذا الحائل ـ ويُسمى ذلك شبه كمال الانقطاع، نحو: قول الشاعر: [الكامل]

وتـظـنّ سـلـمـى أنّـنـي أبـغِـي بـهـا ... بـدلًا أراهـا فـي الـضّـلال تَـهـيـمُ

واعلم أنّ التركيب الذي تجاذبت فيه أسباب الوصل وتعاضدت دواعيه قد يفصل إمّا لمانع من تشريك الجملة الثانية مع الأولى ويُسمى قطعًا كما سبق، وإمّا لجعله جواب سُؤال مقدّر لإغناء السّامع عنه، أو لكراهة سماعه له لو سأل، أو لكراهة انقطاع كلامه بكلام السائل، أو للاختصار، ويُسمّى الفصل لذلك استئنافًا ـ كقوله: [الخفيف]

في الـمـهـد يـنـطـق عـن سـعـادة جـدّه ... أثـر الـنّـجـابـة سـاطـع الـبـرهـان

«على تقدير أنه جواب كيف ينطق وهو رضيع لم يبلغ أوان النّطق؟».

الحكم ـ كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾(١) فجملة «اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ» لا يصح عطفها على جملة «إنّا معكم» لاقتضائه أنه من مقول المنافقين والحال أنه من مقوله تعالى «دعاء عليهم» ولا على جملة «قالوا» لِئلّا يُتوهّم مشاركته له في التّقييد بالظّرف ـ وأنّ استهزاء الله بهم مُقيّد بحال خُلوّهم إلى شياطينهم «والواقع أنّ استهزاء الله بالمنافقين غيرُ مقيّد بحال من الأحوال ولهذا وجب أيضًا الفصل».

تنبيهان

الأول: لمّا كانت الحال تجيء جملة، وقد تقترن بالواو، وقد لا تقترن فأشبهت الوصل والفصل، ولهذا يجب وصل الجملة الحالية بما قبلها بالواو إذا خلت من ضمير صاحبتها ـ نحو: جاء فؤاد والشمس طالعة(٢).

---

(١) سورة البقرة: الآيتان ١٤، ١٥.

(٢) بيان ذلك أن الحال إمّا مؤكدة فلا واو للاتحاد بين الجملتين لأنها مقررة لمضمونها نحو سعد أبوك كريمًا.

وإما منتقلة لحصول معنى حال النسبة (أي نسبة العامل إلى صاحب الحال) فلزم فيها أمران. الحصول والمقارنة. فالحال المفردة صفة في المعنى، فلا يحتاج لواو للاتحاد.

وأما الجملة ـ فالمضارع المثبت لا يؤتى له بواو للارتباط معنى. لوجود الحصول والمقارنة معًا، فلا حاجة للربط بها ـ نحو ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ۝﴾ [يوسف: ١٦] ـ ونحو، قدم أمير تتسابق الفرسان أمامه، ولا يجوز وجاؤوا أباهم عشاء ويبكون، ولا قدم الأمير وتتسابق وهذه إحدى المسائل السبع المذكورة في النحو التي تمتنع فيها الواو الثانية ـ الحال الواقعة بعد عاطف نحو فجاءها بأسنا بياتًا أو هم قائلون. الثالثة ـ المؤكدة لمضمون الجملة نحو ـ هو الحق لا شك فيه، ذلك الكتاب لا ريب فيه. الرابعة ـ الماضي التالي إلّا ـ نحو ما تكلم زيد إلّا قال خيرًا ـ وقيل يجوز اقترانه بالواو كما ورد في قوله: [البسيط]

نِعم امرأ هرم لم تعر نائبة ... إلا وكان لمرتاع بها وزرا

الخامسة ـ الماضي المتلو بأو: نحو ـ لأضربنّه ذهب أو مكث ـ ومنه: [البسيط]

كن للخليل نصيرًا جار أو عدلا ... ولا تشحّ عليه جاد أو بخلا

السادسة ـ المضارع المنفي بلا ـ نحو ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٨٤]، ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾، [النمل: ٢٠] وقوله: [الكامل]

لو أن قومًا لارتفاع قبيلة ... دخلوا السماء دخلتها لا أحجب

السابعة ـ المضارع المنفي بما ـ كقوله: [الطويل]

عهدتك ما تصبو وفيك شبيبة ... فمالك بعد الشيب صبًا متيما

وأبعد الجمل في الصلاح للحالية الجملة الإسمية لدلالتها على الثبوت ـ على الحصول=

ويجب فصلها في ثلاثة مواضع:

١ ـ إذا كان فعلها ماضيًا تَاليًا «إلا» أو وقع ذلك الماضي قبل «أو» التي للتّسوية ـ نحو ما تكلّم فؤاد إلاّ قال خيرًا ـ وكقول الشاعر:

[البسيط]

كُن للخيل نصيرًا جار أو عدلا ولا تشحَّ عليه جادَ أوْ بخلا

٢ ـ إذا كان فعلها مضارعًا مُثبتًا أو منفيًا «بما ـ أو ـ لا» نحو:

﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ۝١٦﴾[1] ونحو: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾[2] ونحو:

[الطويل]

عَهِدْتُكَ ما تَصبُو وفيكَ شَبيبةٌ فمالكَ بعد الشَّيبَ صَبًّا مُتَيَّما

٣ ـ إذا كانت اسمية واقعة بعد حرف عطف ـ أو كانت اسمية مؤكدة لمضمون ما

= والمقارنة، فيجب فيها الواو ـ نحو ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] وقد يكتفي فيها الضمير ندورًا ـ نحو كلمته فوه إلى فيّ ـ أي مشافهة ـ ثم الماضي مثبتًا لعدم المقارنة فيحسن معها الواو لأن الماضي يدل على الحصول المتقدم، لا الحصول حال النسبة ـ وتجب «قد» تحقيقًا أو تقديرًا لتقرّبه من الحال أي لتجعل (قد) الفعل الماضي الدال على حصول متقدم ـ لا حصول حال النسبة قريبًا من حال النسبة لا من حال التكلم ـ إذ اللازم في الحال مقارنتها لزمان النسبة لا لزمان التكلم ـ وإنما اكتفى بهذا التقريب في صحة الحال وإن كان اللازم الاقتران ـ إما لأنه ينزل قرب الحال إلى زمان النسبة منزلة المقارنة مجازًا ـ وإما لأنه يعتبر قربها في الفعل هيئة للفعل ـ فإذا قلت جاءني زيد وقد ركب ـ فكأنك نزلت قرب ركوبه من مجيئه منزلة مقارنته له ـ أو جعلت كون مجيئه بحيث يقرب منه ركوبه هيئة لمجيئه وحالًا له ـ وقالوا ـ وتمتنع (قد) مع الماضي الممتنع ربطه بالواو. وهو التالي إلّا.

والمتلو بأو ـ لكن في شرح الرضي ـ إنهما قد يجتمعان بعد إلا ـ نحو ما لقيته إلا وقد أكرمني ويلي الماضي المثبت الماضي المنفي لأنه هيئة للفعل بالتأويل. لأن قولك جاء زيد ليس راكبًا ـ في قوة جاء زيد ماشيًا فيتحقق الحصول ويستمر غالبًا فيقارن كذلك فيحسن ترك الواو نظرًا إلى تحقق الحصول والمقارنة ـ ويجوز ذكرها أيضًا نظرًا إلى كونه ما كان هيئة للفعل إلا بعد تأويل ـ ونظرًا إلى كون استمراره أغلبيًا لا دائميًا والأحسن في الظرف إذا وقع حالًا ترك الواو نظرًا للتقدير بمفرد، تقول نظرت الهلال بين الحساب. ومثله الجار والمجرور نحو فخرج على قومه في زينته ـ ونحو أبصرت البدر في السماء ـ وإن جوزوا الواو بتقدير فعل ماضٍ ـ وما يخشى فيه التباس الحال بالصفة أتى فيه بالواو وجوبًا، ليتميز الحال فيقال جاء رجل ويسعى ـ إذ لو قيل يسعى ـ لالتبس الحال بالصفة في مثله.

(١) سورة يوسف: الآية ١٦.

(٢) سورة المائدة: الآية ٨٤.

قبلها - كقوله تعالى: ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾(١). وكقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝﴾(٢).

الثاني: علم ممّا تقدّم أن من مواضع الوصل اتفاق الجملتين في الخبرية والإنشائية، ولا بدّ مع اتفاقهما من جهة بها يتجاذبان، وأمر جامع به يتآخذان، وذلك الجامع إمّا عقلي(٣) أو وَهمي(٤) أو خَيالي(٥).

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٤.

(٢) لما كان قوله ذلك الكتاب، فيه مظنة مجازفة بسبب إيراد المسند إليه اسم إشارة - والمسند معرفًا بأل - أكده بقوله (لا ريب فيه) تأكيدًا معنويًا.

ولما كانت الدعوى المذكورة مع ادعاء عدم المجازفة مظنة استبعاد - أكده بقوله «هدى للمتقين» تأكيدًا لفظيًا حتى كأنه نفس الهداية، سورة البقرة: الآية ٢.

(٣) فالجامع العقلي - أمر بسببه يقتضي العقل اجتماع الجملتين في القوة المفكرة كالاتحاد في المسند أو المسند إليه - أو في قيد من قيودهما - نحو زيد يصلي ويصوم ويصلي زيد وعمرو. . وزيد الكاتب شاهر. وعمرو الكاتب منجم. وزيد كاتب ماهر، وعمرو طبيب ماهر - وكالتماثل والاشتراك فيهما - أو في قيد من قيودهما أيضًا بحيث يكون التماثل له نوع اختصاص بهما أو بالقيد - لا مطلق تماثل - فنحو زيد شاعر وعمرو كاتب لا يحسن إلّا إذا كان بينهما مناسبة لها نوع اختصاص بهما - كصداقة أو أخوة أو شركة أو نحو ذلك - وكالتضايف بينهما. بحيث لا يتعقل أحدهما إلا بالقياس إلى الآخر كالأبوة مع النبوة - والعلة مع المعلول - والعلو والسفل - والأقل والأكثر - إلى غير ذلك.

(٤) والجامع الوهمي - أمر بسببه يقتضي الوهم اجتماع الجملتين في المفكرة كشبه التماثل الذي بين نحو لوني البياض والصفرة - فإن الوهم يبرزهما في معرض المثلين من جهة أنه يسبق إليه أنهما نوع واحد زائد في أحدهما عارض - بخلاف العقل فإنه يدرك أنهما نوعان متباينان داخلان تحت جنس واحد هو اللون - وكالتضاد بالذات - وهو التقابل بين أمرين وجوديين بينهما غاية الخلاف - يتعاقبان على محل واحد - كالسواد والبياض - أو التضاد بالعرض كالأسود والأبيض - لأنهما ليسا ضدين لذاتهما لعدم تعاقبهما على محل واحد - بل بواسطة ما يشتملان عليه من سواد وبياض - وكشبه التضاد كالسماء والأرض - فإن بينهما غاية الخلاف ارتفاعًا وانخفاضًا لكن لا يتعاقبان على محل واحد كالتضاد بالذات، ولا على ما يشمله كالتضاد بالعرض.

(٥) والجامع الخيالي - أمر بسببه يقتضي الخيال اجتماع الجملتين في المفكرة بأن يكون بينهما تقارن في الخيال سابق على العطف لتلازمهما في صناعة خاصة، أو عرف عام - كالقدوم والمنشار والمنقاب في خيال النجار.

والقلم والدواة والقرطاس في خيال الكاتب - وكالسيف والرمح والدرع في خيال المحارب - وهلم جرا وللقرآن الكريم اليد البيضاء في هذا الباب - كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠﴾ [الغاشية: ١٧ - ٢٠] - فالمناسبة بين الإبل والسماء - وبينهما وبين الجبال والأرض غير موجودة =

أسئلة على الوصل والفصل يطلب أجوبتها

ما هو الوصل؟ ما هو الفصل؟ كم موضعًا للوصل؟ كم موضعًا للفصل؟ ما هو الجامع العقلي؟ ما هو الجامع الوهمي؟ ما هو الجامع الخيالي؟ متى يجب وصل الجملة الحالية بما قبلها؟ في كم موضع يجب فصل الجملة الحالية.

تطبيق عام على الوصل والفصل

[البسيط]

جرّبت دهري وأهليه فما تركت ... لي التجارب في ودّ امرىء غرضا

فصلت الثانية لشبه كمال الاتصال فإنها جواب سؤال.

﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾(١) فصلت الثانية لشبه كمال الاتصال فإنها جواب سؤال ناشيء مما قبلها.

فليضحكوا قليلًا وليبكوا كثيرًا ـ عطف الجملة الثانية على الأولى لاتفاقهما في الإنشاء مع المناسبة التامة بين المفردات فإن المسند إليه فيهما متحد. والمسند وقيدهما متقابلان.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾(٢) عطف الجملة الثانية على الأولى لاتفاقهما خبرًا لفظًا ومعنى مع المناسبة التامة بين مفرداتها ـ فإن المسندين المقدرين فيهما متحدان، والمسندان إليهما متقابلان، وقيدهما الأول متحد. والثاني متقابل.

اشكر الله على السّراء ينجيك من الضّراء ـ لم تعطف الثانية على الأولى لكمال الانقطاع. فإن الأولى إنشائية لفظًا ومعنى والثانية عكسها.

اصبر على كيد الحسود لا تضجر من مكائده ـ لم تعطف الثانية على الأولى لكمال الاتصال فإنها مؤكدة لها.

أنت حميد الخصال ـ تصنع المعروف وتغيث الملهوف ـ فصلت الثانية من الأولى

= بحسب الظاهر. ولكنه أسلوب حكيم في غاية البلاغة ـ لأنه لما كان الخطاب مع العرب، وليس في تخيلاتهم إلا الإبل لأنها رأس المنافع عندهم ـ والأرض لرعيها والسماء لسقيها ـ وهي التي توصلهم إلى الجبال التي هي حصنهم عند ما تفجأهم حادثة أورد الكلام على طبق ما في مخيلاتهم.

(١) سورة النور: الآية ٣٦.

(٢) سورة الانفطار: الآية ١٤.

لكمال الاتصال فإنها بيان لها. ووصلت الثالثة بالثانية للتوسط بين الكمالين مع وجود مانع من الوصل.

تمرين (١)

بيِّن سر الفصل والوصل فيما يلي:

[السريع]

١ - أُخطُ مع الدهر إذًا ما خطا ... واجْرِ مع الدَّهر كما يجري

[الكامل]

٢ - حكم المنية في البرية جاري ... ما هذه الدُّنيا بدارِ قَرَار

[الكامل]

٣ - لا تدعه إن كنت تُنصف نائبًا ... هو في الحقيقة نائمٌ لا نائب

[المتقارب]

٤ - قال لي كيف أنت قلتُ عليلٌ ... سهرٌ دائمٌ وحزنٌ طَويلُ

[الكامل]

٥ - قالت بُليتَ فما نَراك كعهدنَا ... لَيْتَ الْعُهُودَ تجدَّدَتْ بعد البِلى

٦ - ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾[(١)].

[مخلع البسيط]

وإنما المرءُ بأصغريهِ ... كلّ امرىءٍ رهنٌ بما لديه

[الكامل]

لاَ تَطْلُبَنَّ بِآلة لَك حاجةً ... قلمُ البليغ بغير حَظٍّ مغْزَلُ

(١) سورة النمل: الآية ٨٨.

---

١ - وصل بين الجملتين لاتفاقهما إنشاء مع وجود المناسبة وعدم المانع.

٢ - فصل الشطر الثاني عن الأول لأنه توكيد معنوي له - إذ يفهم من جريان حكم الموت على الخلق أن الدنيا ليست دار بقاء فأكد ذلك بالشطر الثاني فبينهما كمال الاتصال.

٣ - فصل الشطر الثاني عن الأول لاختلافهما خبرًا وإنشاء إذ الثاني خبر والأول إنشاء - فبينهما كمال الانقطاع.

٤ - فصل بين قال وقلت لأن الثاني جواب سؤال - إذ جرت العادة أنه إذا قيل للرجل كيف أنت. أن يجيب. أنا عليل وكذا بين جملتي سهر دائم وحزن طويل فكأنه قيل: فما سبب علتك؟؟ فأجاب سهر دائم الخ ففي كل منهما شبه كمال الاتصال.

٥ - بين الشطر الثاني والأول كمال الانقطاع لأن أولهما خبر والثاني إنشاء.

٦ - بين جملتي ترى وتحسب كمال الاتصال لأن الثانية بدل اشتمال من الأولى.

[البسيط]

٧ ـ يَرَى البخيلُ سَبيلَ المال واحدةً   إنّ الكريم يرى في ماله سُبلا

[الطويل]

٨ ـ نفسي له نفسي الفداءُ لنفسه   لكنّ بعض المالكين عفيف

٩ ـ ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾(١).

١٠ ـ ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾(٢).

١١ ـ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾(٣).

١٢ ـ قَالُوا سَلامًا، قَالَ سَلامٌ.

[الكامل]

١٣ ـ يهوَى الثناء مبرّز ومقصّرُ   حبُّ الثناء طبيعةُ الإنسانِ

١٤ ـ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾(٤).

---

(١) سورة يوسف: الآية ٣١.

(٢) سورة الرعد: الآية ٢، سورة يونس: الآية ٥.

(٣) سورة النجم: الآيات ٣ – ٥.

(٤) سورة البقرة: الآيتان: ٨، ٩.

---

٧ ـ بين الشطر الثاني والأول شبه كمال الاتصال لأن الثانية جواب عن سؤال مقدر نشأ من الأولى كأنه قيل: فما حال الكريم في ماله؟ فقال إن الكريم الخ.

٨ ـ بين نفسي له والفداء كمال الاتصال لأن الثانية توكيد لفظي للأولى.

٩ ـ إن هذا إلا ملك ـ توكيد معنوي لقوله ما هذا بشرًا، إذ مجرى العادة والعرف أنه إذا قيل في معرض المدح: ما هذا بشرًا، وما هذا بآدمي، أن يكون الغرض أنه ملك، فيكنى به عن ذلك. فبينهما كمال الاتصال.

١٠ ـ بين يدبر ويفصل كمال الاتصال لأن الثانية بدل بعض من كل.

١١ ـ بين قوله وما ينطق عن الهوى وقوله إن هو إلا وحي يوحى. كمال الاتصال لأن الثانية توكيد معنوي، لأن تقرير كونه وحيًا نفي لأن يكون عن هوى.

١٢ ـ بين قالوا وقال شبه كمال الاتصال، لأن الثانية جواب عن سؤال مقدر، كأنه قيل فماذا قال لهم؟ حينئذٍ أجيب بأنه قال سلام ـ وهكذا الحال في حكاية القصص في كل ما جاء في القرآن، والحديث وكلام العرب.

١٣ ـ فصل بين الشطر الثاني والأول، لأن بينهما كمال الاتصال ـ إذ الشطر الثاني مؤكد للأول.

١٤ ـ فصل جملة يخادعون عما قبلها، لأن بينهما كمال الاتصال، لأن هذه المخادعة ليست شيئًا غير قولهم آمنا ـ دون أن يكونوا مؤمنين، فهي إذًا توكيد معنوي للأولى.

١٥ ـ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾[١].

[الوافر]

١٦ ـ ألاَ مَن يشتري سهرًا بنوم سعيدٌ مَنْ يَبيتُ قَريرَ عَيْن

[الوافر]

١٧ ـ فآبوا بالرماح مكسّرات وأُبنا بالسّيوف قد انحنينا

[البسيط]

١٨ ـ فما الحداثة عنْ حلم بمانعة قَدْ يُوجد الحلمُ في الشّبان والشّيبِ

[الطويل]

١٩ ـ يقولون إني أحْمِل الضّيم عندهم أعوذ بربي أن يضام نظيري

٢٠ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾[٢].

[الطويل]

٢١ ـ فيا موتُ زُر إنَّ الحياة ذميمةٌ ويا نَفْسُ إن دهرك هازل

٢٢ ـ ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾[٣].

٢٣ ـ ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾[٤].

---

(١) سورة لقمان: الآية ٧.

(٢) سورة يس: الآية ١٠.

(٣) سورة البقرة: الآية ٤٩.

(٤) سورة النمل: الآية ٨٨.

---

١٥ ـ فصلت جملتا كأن لم يسمعها ـ وكأن في أذنيه وقرًا، عما قبلهما لأنهما كالتوكيد له، إذ المقصد من التشبيهين واحد، وهو أن ينفي الفائدة في تلاوة ما تلي عليه من الآيات ـ فهما من كمال الاتصال.

١٦ ـ فصل الشطر الثاني عن الأول لاختلافهما خبرًا وإنشاء ـ فبينهما كمال الانقطاع.

١٧ ـ بين جملتي آبوا وأبنا توسط بين الكمالين لاتفاقهما في الخبرية مع وجود المناسبة.

١٨ ـ بين الشطر الثاني والأول شبه كمال الاتصال، إذ الثاني جواب سؤال مقدر.

١٩ ـ هذا البيت من حيث عدم عطف أعوذ على ما قبله. على حد قوله: وتظن سلمى الخ.

٢٠ ـ لم تعطف على ما قبلها مع أن بينهما مناسبة في المعنى بالتضاد لأنها مبيِّنة لحال الكفار، وما قبلها مبين لحال المؤمنين، وإن بيان حال المؤمنين غير مقصود لذاته، بل ذكر استتباعًا لبيان حال الكفار، وليس بين بيان حال المؤمنين وحال الكفار مناسبة تقتضي الوصل.

٢١ ـ لم يعطف قوله إن الحياة على ما قبله لأنه جواب لسؤال مقدر كأنه قيل لماذا تطلب زيارة الموت؟ فأجاب إن الحياة ذميمة.

٢٢ ـ لم يعطف قوله يذبحون على يسومون لكونه بيانًا له.

٢٣ ـ فجملة تحسبها جامدة بدل اشتمال.

٢٤ ـ ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾[١].

٢٥ ـ ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٨ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ﴾[٢].

(١) سورة الرعد: الآية ٢.

(٢) سورة الفرقان: الآيتان ٦٨، ٦٩.

٢٤ ـ فجملة يفصل الآيات بدل بعض.

٢٥ ـ فجملة يلق أثامًا بدل كل ـ وقد أنكر بدل الكل علماء البيان خلافًا للنحاة.

الباب التاسع

في الإيجاز والإطناب والمُساواة

كلُّ ما يجُول في الصَّدر من المعاني، ويخطرُ ببالك معنى منها، لا يَعدُو التّعبير عنه طريقًا من طُرقٍ ثلاث:

أولاً: إذا جاء التّعبير على قدر المعنى بحيث يكون اللّفظ مُساويًا لأصل ذلك المعنى ـ فهذا هو «المُساواة» وهي الدّستورُ الذي يُقاس عليه.

ثانيًا: إذا زاد التعبيرُ على قدر المعنى فذاك هو «الإطناب».

ثالثًا: إذا نُقص التعبير عن قدر المعنى فذلك هو «الإيجاز»[١].

لهذا يختار البليغ للتّعبير عمَّا في نفسه طريقًا من هذه الطُّرق الثَّلاث فهو تارةً يُوجِزُ، وتارةً يُسهبُ، وتارة يأتي بالعبارة بيْنَ بَيْنَ.

وذلك على حسب ما يقتضيه حال المخاطب، ويدعو إليه موطنُ الخطاب.

وفي هذا الباب ثلاثة مباحث:

المبحث الأول
في الإيجاز وأقسامه

الإيجاز ـ هو جَمعُ المعاني المُتكاثِرَة تحت اللّفظ القليل الوافي بالغرض مع الإبانة والإفصاح.

يعني أنّ الإيجاز هو تأدية المعنى بأقلّ من مُتعارف الأوساط[٢] مع وفائها بالغرض

---

(١) قال الإمام علي ما رأيت بليغًا قط إلا وله في القول إيجاز، وفي المعاني إطالة ـ وقالت بنت الحطيئة لابنها ـ ما بال قصارك أكثر من طوالك قال لأنها بالآذان أولج، وبالأفواه أعلق ـ وقيل لشاعر ـ لم لا تطيل شعرك؟.

فقال حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق.

(٢) بأن يكون اللفظ أقل من المعهود عادة، مع وفائه بالمراد، فإن لم يف كان الإيجاز إخلالًا وحذفًا رديئًا ـ كقول عروة بن الورد: [الطويل] =

كقوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[١].

بهذه الآية القصيرة جمعت مكارم الأخلاق بأسرها - وكقوله تعالى ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[٢] وكقوله عليه السلام «إنما الأعمال بالنّيات».

فإذا لم تَفِ العبارة بالغرض سمِّي «إخلالًا وحذفًا رديئًا» كقول اليشْكُري:

[مجزوء الكامل]

والعيش خيرٌ في ظِلا ... ل النُّوك ممّن عاش كَدًّا

«مراده أن العيش النّاعم الرّغد في حال الحُمق والجهل خيرٌ من العيش الشّاقّ في حال العقل» لكن عبارته لا تفيد ذلك فيُضرب به عُرْض الحائط.

وينقسم الإِيجاز إلى قسمين. إيجاز قِصَرٍ -[٣] وإيجاز حذْف.

= عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم ... ومقتلهم عند الوغى كان أعذرا

يريد إذ يقتلون نفوسهم في السلم - لكن صوغ كلامه لا يدل عليه. ومثله قول بعضهم نثرًا (فإن المعروف إذا زجا كان أفضل منه إذا وفر وأبطأ) ولأجل تمام ما يريد كان عليه أن يقول - إذا قلّ وزجا.

واعلم أن متعارف الأوساط هم الذين لم يرتقوا إلى درجة البلغاء ولم ينحطوا إلى درجة البسطاء، فهو الدستور الذي يُقاس عليه كل من الإيجاز والإطناب.

(١) سورة الأعراف: الآية ١٩٩.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٥٤.

(٣) وإيجاز القِصَر. هو ما زيد فيه المعاني على الألفاظ. وللقرآن الكريم فيه المنزلة التي لا تسامى - والغاية التي لا تدرك.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩] فهذه الآية قد جمعت مكارم الأخلاق. وانطوى تحتها كل دقيق وجليل. إذ في العفو الصفح عمن أساء، وفي الأمر بالمعروف صلة الأرحام. ومنع اللسان عن الكذب وغضّ الطرف عن كل المحارم - وقوله عز اسمه ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ [البقرة: ١٦٤] استوعبت تلك الآية الكريمة أنواع المتاجر. وصنوف المرافق التي لا يبلغها العدّ - وقوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] هاتان كلمتان أحاطتا بجميع الأشياء على غاية استقصاء - وقوله عليه السلام «المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء. وعوّدوا كل جسم ما اعتاد» فقد تضمّن ذلك من المعاني الطبيّة شيئًا كثيرًا.

وقول عليٍّ كرَّم الله وجهه «من استقبل وجوه الآراء عرف وجوه الخطأ».

وقول بعض الأعراب (اللهم هب لي حقك وأرض عني خلقك) فسمعه علي عليه السلام فقال: هذا هو البلاغة ومنه قول السموءل: [الطويل]

وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها ... فليس إلى حسن الثناء سبيل

فقد اشتمل على حميد الصفات من سماحة وشجاعة وتواضع وحلم وصبر واحتمال مكاره - إذ =

فإيجاز القِصَر يكون بتَضمِين العبارات القصيرة معاني كثيرة من غير حذف كقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾[١] فإنّ معناه كثير، ولفظهُ يسير، إذْ المراد أن الإنسان إذا علم أنه متى قَتل قُتِلَ امتنع عن القتل، وفي ذلك حياته وحياة غيره، لأنَّ «القتل أنفَى للقتل[٢]» وبذلك تطول الأعمار، وتكثر الذريّة، ويُقبل كلُّ واحد على ما يعود عليه بالنّفع، ويتم النِّظام، ويكثر العُمران.

وهذا القسم مطمح نظر البلغاء، وبه تتفاوت أقدارهم، حتّى أنّ بعضهم سئل عن البلاغة فقال: هي «إيجاز القِصَر» وقال أكثم بن صَيْفي خطيب العرب «البلاغة الإِيجاز».

وإيجاز الحذف يكون بحذف شيء من العبارة لا يخلّ بالفهم، مع قرينة تُعيّن المحذوف ـ وذلك المحذوف إما أن يكون.

١ ـ حرفًا كقوله تعالى: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾[٣] ـ أصله ولم أكُنْ[٤].

٢ ـ أو اسمًا مضافًا نحو ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾[٥] أي في سبيل الله.

٣ ـ أو إسمًا مضافًا إليه ـ نحو ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾[٦] أي بعشر ليال.

= كل هذه مما تضيم النفس لما يحصل في تحملها من المشقة والعناء.
والسبب فيما له من الحسن والروعة دلالة قليل الألفاظ على كثير المعاني إلى ما فيه من الدلالة على التمكن في الفصاحة والبراعة. ولذا قال محمد الأمين «عليكم بالإيجاز فإنّ له إفهامًا. وللإطالة استبهامًا» وقال آخر «القليل الكافي خير من كثير غير شاف».

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٩.

(٢) لقد أثر ونُقل عن العرب قولهم «ألْقتلُ أنفَى للقتل» وأين هذا المثل من هذه الآية الشريفة التي تمتاز بوجوه ـ منها أنها كلمتان، وما نُقِل عنهم أربع ـ ومنها أنه لا تكرار فيها. وفيما قالوه تكرار ـ ومنها أنه ليس كل قتل يكون نافيًا للقتل، وإنما يكون كذلك إذا كان على جهة القصاص ـ ومنها حسن التأليف وشدة التلاؤم المدركان بالحسّ في الآية الكريمة التي بلغت حدّ الإعجاز، فيما قالوه في مثلهم البسيط الذي لا يزيد عن متعارف الأوساط.

(٣) سورة مريم: الآية ٢٠.

(٤) وكحذف لا في قول عاصم المنقري: [الوافر]

رأيت الخمر جامدة وفيها ... خصال تفسد الرجل الحليما
فلا والله أشربها حياتي ... ولا أسقي بها أبدًا نديما

يريد لا أشربها.
ويشترط في إيجاز الحذف أن يقوم دليل على المحذوف وإلّا كان الحذف رديئًا الكلام وغير مقبول.

(٥) سورة الحج: الآية ٧٨.

(٦) سورة الأعراف: الآية ١٤٢.

٤ ـ أو إسمًا موصوفًا ـ نحو ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾[(١)] أي عملًا صالحًا.

٥ ـ أو إسمًا صفة ـ نحو ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾[(٢)] أي مضافًا إلى رجسهم.

٦ ـ أو شرطًا ـ نحو ﴿فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[(٣)] أي فإن تتّبعوني.

٧ ـ أو جواب شرط ـ نحو ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾[(٤)]. أي لرأيت أمرًا فظيعًا.

٨ ـ أو مسندًا ـ نحو ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[(٥)] أي خلقهنّ الله.

٩ ـ أو مسندًا إليه ـ كما في قول حاتم:

[الطويل]

أماويُّ ما يغني الثّراء عن الفتى ... إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصّدر

أي إذا حشرجت النفس يومًا.

١٠ ـ أو متعلّقًا ـ نحو ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾[(٦)] أي عمّا يفعلون.

١١ ـ أو جملة ـ نحو ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ﴾[(٧)]. أي فاختلفوا فبعث.

١٢ ـ أو جملًا ـ كقوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾[(٨)].

أي فأرسلوني إلى يوسف لأستعبره الرؤيا، فأرسلوه فأتاه وقال له يا يوسف.

واعلم أنّ دواعي الإيجاز كثيرة ـ منها الاختصار، وتسهيل الحفظ وتقريب الفهم، وضيق المقام، وإخفاء الأمر على غير السامع، والضّجر والسّآمة، وتحصيل المعنى الكثير اللّفظ اليسير الخ.

---

(١) سورة مريم: الآية ٦٠.

(٢) سورة التوبة: الآية ١٢٥.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٣١.

(٤) سورة الأنعام: الآية ٢٧.

(٥) سورة لقمان: الآية ٢٥.

(٦) سورة الأنبياء: الآية ٢٣.

(٧) سورة البقرة: الآية ٢١٣.

(٨) فأرسلون حكاية عن أحد الفتيين الذي أرسله العزيز إلى يوسف ليستعبره ما رآه. واعلم أنه لا بد من دليل يدل على المحذوف وهو ـ إما العقل وحده: نحو ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] ـ وإما العقل مع غيره: نحو ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣] ـ أي تناولها ـ وإما العادة: نحو فذلكنّ الذي لمتنني فيه ـ أي في مراودته. وإما الشروع فيه: نحو بسم الله الرحمٰن الرحيم ـ أي أؤلّف مثلًا. وإما مقارنة الكلام للفعل: كما تقول لمن تزوج «بالرفاء والبنين» أي أعرست متلبسًا بالإتفاق والبنين.

تنبيه: حذف الجمل أكثر ما يرد في كلام الله عز وجل، إذ هو الغاية في الفصاحة، والنهاية في مراتب البلاغة، سورة يوسف: الآيتان ٤٥، ٤٦.

ويستحسن «الإيجاز» في الاستعطاف، وشكوى الحال، والاعتذارات.

والتعزية، والعتاب، والوعد والوعيد ـ والتَّوْبيخ، ورسائل استخراج الخراج وجِباية الأموال ورسائل الملوك في أوقات الحرب إلى الوُلاة والأوامر والنّواهي الملكية، والشكر على النِّعم.

المبحث الثاني
في الإِطناب وأقسامه

الإِطناب زيادة اللّفظ على المعنى لفائدة، أو هو تأدية المعنى بعبارة زائدة عن مُتعارف الأوساط لفائدة تقويته وتوكيده ـ نحو ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾(١) أي كبرتُ.

فإذا لم تكن في الزِّيادة فائدة يُسمَّى «تطوير» إن كانت الزِّيادة غير مُتعيِّنة ويُسمَّى «حشوًا» إن كانت الزِّيادة مُتعينة.

فالتّطويل ـ كقول عديّ العبادي في جُذيمةَ الأبرَش:

[الوافر]

وقــدَّتْ الأديــمَ لــراهِــشَــيْــه ... وألــفَــى قــولــهــا كــذبًــا وَمــيْــنــا(٢)

فالميْنُ والكذب بمعنى واحد. ولم يتعيّن الزائد منهما، لأن العطف بالواو لا يفيد ترتيبًا ولا تعقيبًا ولا مَعِيَّة.

[الطويل]

وأعـلـمُ عـلـم الـيـوم والأمس «قـبـلـه» ... ولكنّني عن علم ما في غد عَمي(٣)

---

(١) سورة مريم: الآية ٤.

(٢) وقدّت أي قطعت. والضمير فيه يعود على الزّباء. وهي امرأة ورثت المُلك عن أبيها ـ والأديم الجلد، ولراهشيه أي إلى أن وصل القطع للراهشين وهما عرقان في باطن الذراع يتدفق الدم منهما عند القطع ـ والضمير في ألفي يعود على المقطوع راهشاه وهو جُذيمة الأبرش. والمراد الإخبار بأن جذيمة غدرت به الزباء وقطعت راهشيه وسال منه الدم حتى مات، وأنه وجد ما وعدته من تزّوجه بها كذبٌ ـ وكقول الشاعر: [الطويل]

ألا حـبـذًا هِـنـدٌ وأرضٌ بـهـا هِـنـدٌ ... وهـنـد أتـى مـن دونِـهـا الـنَّـأيُ والـبُـعـدُ

فالنأي والبعد بمعنى واحد، ولا يتعين أحدهما للزيادة.

(٣) الشاهد في قوله ـ قبله، لأنه معلوم من قوله أمس: وكقول الآخر: [مجزوء الوافر]

ذكـــرت أخـــي فـــعـــاودنـــي ... صُـــداعُ الـــرأس والـــوَصـــبُ

فإن الصّداع لا يكون إلا في الرأس، فذكر الرأس لا فائدة فيه.

وكلٌّ من الحشو والتّطويل معيب في البيان. وكلاهما بمعْزِل عن مراتب البلاغة.

واعلم أنَّ دواعيَ الإطناب كثيرة. منها تثبيت المعنى؛ وتوضيح المراد، والتّوكيد، ورفع الإبهام، وإثارة الحمية ـ وغير ذلك.

وأقسام الإطناب كثيرة[١].

١ ـ منها ذكر الخاص بعد العام ـ كقوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾[٢] وفائدته التنبيه على فضل الخاص حتى كأنه لفضله ورفعته جزء آخر مغاير لما قبله.

٢ ـ ومنها ذكر العام بعد الخاص ـ كقوله تعالى[٣] ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[٤].

وفائدته شمول بقية الإفراد ـ والاهتمام بالخاص لذكره ثانيًا في عنوان عام. بعد ذكره أولًا في عنوان خاص.

٣ ـ ومنها الإيضاح بعد الإبهام لتقرير المعنى في ذهن السّامع بذكره مرّتين، مرّة على سبيل الإبهام والإجمال، ومرّة على سبيل التفصيل والإيضاح، كقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾[٥].

فقوله: أنَّ دابر هؤلاء تفسير وتوضيح لذلك الأمر، وفائدته تفخيم شأن المُبيّن وتمكينه في النفس زيادة تمكّن.

٤ ـ ومنها التّوشيع ـ وهو أن يُؤتى في آخر الكلام بمُثَنًّى مفسّر بمفردين ليُرى المعنى في صورتين يخرج فيهما من الخفاء المُستوحش إلى الظُّهور المأنوس ـ نحو ـ العلم عِلمان، علم الأبدان، وعلم الأديان.

٥ ـ ومنها التكرار ـ وهو ذكر الشيء مرّتين أو أكثر ـ لأغراض:

الأول: التأكيد كقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾[٦] كقوله تعالى ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾[٧].

---

(١) ومنها الحروف الزائدة. وتكثير الجمل ـ نحو ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٣٨.

(٣) من دعاء سيدنا نوح لنفسه ولوالديه وللمؤمنين.

(٤) سورة نوح: الآية ٢٨.

(٥) سورة الحجر: الآية ٦٦.

(٦) أي سوف تعلمون ما أنتم عليه من الخطأ إذا شاهدتم هول المحشر، سورة التكاثر: الآيتان ٣، ٤.

(٧) سورة الشرح: الآيتان ٥ – ٦.

الثاني: طول الكلام لئلاّ يجيء مبتورًا ليس له طَلاوة ـ كقوله:

[الطويل]

وإنّ امـرأً دامـت مـواثـيـقُ عـهـده عـلـى مـثـل هـذا إنـه لـكـريـمُ[1]

الثالث: قصد الاستيعاب نحو ـ قرأت الكتاب بابًا بابًا ـ وفهمته كلمة كلمة.

الرابع: زيادة التّرغيب في العفو ـ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾[2].

الخامس: استمالة المخاطب لقبول الخطاب كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ﴾[3].

السادس: التّنويه بشأن المخاطب نحو ـ إنَّ الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إبراهيم.

السابع: التّرديد وهو تكرار اللفظ متعلّقًا بغير ما تعلّق به أوّلاً نحو: السَّخي قريبٌ من الله، قريبٌ من الناس، قريبٌ من الجنة.

والبخيل بعيدٌ من الله بعيدٌ من الناس بعيدٌ من الجنة.

الثامن: التّلذُّذ بذكره، نحو قول مَروان بن أبي حَفصة:

[الطويل]

سقى الله نـجـدًا والـسّـلامَ عـلى نـجـد ويـا حـبّـذا عـلـى الـقُـرب والـبُـعـد

التاسع: الإرشاد إلى الطريق المُثلى كقوله تعالى: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾[4].

٦ ـ ومنها الاعتراض ـ وهو أن يؤتى في أثناء الكلام، أو بين كلامين متّصلين في المعنى بجملة معترضة أو أكثر لا محلَّ لها من الإعراب[5].

وذلك لأغراض يرمي إليها البليغ ـ غير دفع الإبهام.

أ ـ كالدُّعاء نحو: إنِّي «حفظك الله» مريض.

وكقول عوف بن محلم الشَّيباني:

---

(١) الشاهد في تكرير إنّ في أول البيت، وتكريرها في آخره.

(٢) سورة التغابن: الآية ١٤.

(٣) سورة غافر: الآية ٣٩.

(٤) سورة القيامة: الآيتان ٣٤، ٣٥.

(٥) لم يشترط بعضهم وقوعه بين جزئي جملة ولا بين كلامين، بل جوز وقوعه آخر الكلام مطلقًا سواء وليه ارتباط بما قبله أو لا ـ كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] ـ =

[السريع]

إنّ الثّمانين وبلّغتها ... قد أحوجَتْ سمعي إلى تَرجمان[(١)]

ب ـ والتّنبيه على فضيلة العلم ـ كقول الآخر:

[السريع]

واعْلَمْ فعلمُ المرءِ ينفعُه ... أنْ سوف يأتي كل ما قُدِرا

ج ـ والتّنزيه كقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ۝٥٧﴾[(٢)].

د ـ وزيادة التّأكيد ـ كقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ۝١٤﴾[(٣)].

هـ والاستعطاف ـ كقول الشاعر:

[الكامل]

وخفوقِ قلبٍ لو رأيتَ لهيبه ... يا جنّتي لرأيتَ فيه جهنّما

و ـ والتّهويل نحو: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦﴾[(٤)].

٧ ـ ومنها الإيغال ـ وهو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتمُّ المعنى بدونها كالمبالغة في قول الخنساء:

[البسيط]

وإنَّ صخرًا لتأتمُّ الهُداة به ... كأنه عَلَمٌ في رأسه نار

فقولها «كأنه علم» واف بالمقصود، لكنها أعقبته بقولها «في رأسه نار» لزيادة المبالغة، ونحو: ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[(٥)].

٨ ـ ومنها التّذييلُ ـ وهو تعقيب جملة بجملة أخرى مُستقلّة تشتمل على معناه تأكيدًا لها[(٦)] نحو ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۝٨١﴾[(٧)] ونحو ﴿ذَٰلِكَ

= فجملة ونعم الوكيل معترضة، وليست معطوفة على ما قبلها حتى يلزم عطف الإنشاء على الخبر.

(١) بلغتها بفتح التاء أي بلغك الله إياها ـ وترجمان كزعفران ويجوز ضم التاء مع الجيم. واعلم أن الدعاء من الشاعر موجه إلى المخاطب بطول عمره ـ وأن يعيش مثله ثمانين سنة ـ واعلم أنه قد يقع الاعتراض في الاعتراض كقوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨﴾ [الواقعة: ٧٥ ـ ٧٨].

(٢) سورة النحل: الآية ٥٧.

(٣) سورة لقمان: الآية ١٤.

(٤) سورة الواقعة: الآية ٧٦.

(٥) سورة النور: الآية ٣٨.

(٦) التأكيد ضربان التأكيد المنطوق كما في هذه الآية ـ التأكيد المفهوم كقوله: [الطويل]

ولستَ بمُستَبقٍ أخا لا تلُمه ... على شعث أيّ الرجال المهذّب

دلّ بمفهومه على نفي الكمال من الرجال، فأكده بقوله (أيّ الرجال المهذب).

(٧) سورة الإسراء: الآية ٨١.

جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ نُجَزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾[١].

والتذييلُ «قسمان».

أ ـ جار مَجْرَى الأمثال لاستقلال معناه واستغنائه عما قبله كقول طَرفةَ:

[السريع]

كلّ خليل قد كنت خاللته لا ترك الله له واضحه
كلّلم أروغُ من ثعلب ما أشبهَ الليلةَ بالبَارحه

ب ـ وغير جار مجرى الأمثال ـ لدعم استغنائه عمّا قبله، ولعدم استقلاله بإفادة المعنى المراد كقول النابغة:

[البسيط]

لم يُبق جودُك لي شيئًا أؤمله تركتني أصحبُ الدنيا بلا أمل

٩ ـ ومنها الاحتراس ـ ويقال له التكميل ـ وهو أن يُؤتى بعد كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الإيهام.

يعني أن الاحتراس يُوجَدُ حينما يأتي المتكلم بمعنى يُمكن أن يدخل عليه فيه لومٌ، فيفطن لذلك ويأتي بما يخلصه سواء وقع في وسط الكلام نحو:

[الكامل]

فَسَقَى ديارَك غيرَ مُفسدِها صوبُ الرّبيع ودَيمةَ تَهِمي

فقوله غير مفسدها للاحتراس ـ أو وقع في آخره.

نحو: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾[٢] أي مع حبّ الطعام واشتهائهم له وذلك أبلغ في الكرم.

وكقول أعرابية لرجل «أذَلَّ الله كلَّ عدوٍّ لك إلّا نفسك».

١٠ ـ ومنها التَّتميم ـ وهو زيادة كلمة أو أكثر توجد في المعنى حُسنا بحيث لو حذفت صار الكلام مُبتذلاً ـ كقول ابن المعتز يصف فرسًا:

[الطويل]

صببنا عليها ظالمين سياطنا فطارت بها أيدٍ سراعٌ وأرجلُ

إذ لو حذف ظالمين لكان الكلام مبتذلًا، لا رِقّة فيه ولا طلاوة وتوهم أنها بليدة تستحقّ الضّرب.

ويستحسن الإطناب في الصلح بين العشائر، والمدح والثناء، والذم والهجاء، والوعظ والإرشاد والخطابة في أمر من الأمور العامة، والتهنئة ومنشورات الحكومة

(١) سورة سبأ: الآية ١٧.
(٢) سورة الإنسان: الآية ٨.

إلى الأمة. وكتب الوُلاة إلى الملوك لإخبارهم بما يحدث لديهم من مهام الأمور.

واعلم أن الأطناب أرجح عند بعضهم من الإيجاز، وحُجّته في ذلك أنّ المنطق إنما هو البيان، والبيان لا يكون إلا بالإشباع. والشّفاء لا يقع إلّا بالإقناع. وأفضل الكلام أبينه. وأبينه أشدّ إحاطة بالمعاني. ولا يحاط بالمعاني إحاطة تامة إلّا بالاستقصاء.

والمختار أن الحاجة إلى كل ماسَّةٌ. ولكلّ موضعٌ لا يسدّ أحدهما في الآخر فيه. وللذوق السليم القول الفصل في هذه الشؤون.

المبحث الثالث

في المُساواة

المُساواة ـ هي تأدية المعنى المراد بعبارة مساوية له[1] ـ بأن تكون المعاني بقدر الألفاظ. والألفاظ بقدر المعاني. لا يزيد بعضها على بعض وهي الأصل المقيس عليه، والدّستور الذي يُعتمد عليه.

كقوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾[2].

فإنّ اللّفظ فيه على قدر المعنى ـ لا ينقص عنه ولا يزيد عليه.

كقول طَرَفَة بن العبد:

[الطويل]

ستُبدي لك الأيام ما كنت جاهلًا ويأتيك بالأخبار من لم تُزَوِّد

أسئلة على الإيجاز والإطناب والمساواة يطلب أجوبتها

ما هي المساواة؟ ـ ما هو الإيجاز؟ ما هو الإِطناب؟ كم قسمًا الإيجاز؟ ما هو

(١) المساواة هي ما ساوى لفظه معناه بحيث لا يزيد أحدهما على الآخر ـ وهي نوعان الأول ـ مساواة مع الاختصار وهي أن يتحرّى البليغ في تأدية المعنى أوجز ما يكون من الألفاظ القليلة الأحرف. الكثيرة المعاني ـ كقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمٰن: ٦٠] وكقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣].
والثاني ـ مساواة بدون اختصار «ويسمى المتعارف» وهو تأدية المقصود من غير طلب للاختصار. كقوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ [الرحمٰن: ٧٢] والوجهان في المركز الأسمى من البلاغة ـ غير أن الأول أدخل فيها وأدل عليها.
والمساواة فن من القول عزيز المنال. تشرئبّ إليه أعناق البلغاء، لكن لا ترتقي إلى ذراه إلا الأفذاذ لصعوبة المرتقى وجلالة المقصد، والمساواة يعتبرها بعضهم وسطًا بين الإيجاز والإطناب وبعضهم يدمجها ولا يعدها قسمًا ثالثًا للإيجاز والإطناب.

(٢) سورة البقرة: الآية ١١٠.

إيجاز القِصَر؟ ما هو إيجاز الحذف؟ بأي شيء يكون إيجاز الحذف؟ كم قسمًا الإطناب؟ ما هو ذكر الخاص بعد العام ما هو ذكر العام بعد الخاص؟ ما هو الإيضاح بعد الإبهام؟ ما هو التكرار ما هو الاعتراض؟ ما هو الإيغال؟ ما هو التوشيع؟ ما هو التذييل ما هو التكميل؟ ما هو التتميم؟ ما هو الاحتراس؟ ما هو الفرق بين التطويل والحشو؟ ما هي دواعي الإيجاز؟ ما هي دواعي الإطناب؟ كم قسمًا التَّذييل؟ أيكون الإطناب بغير هذه الأنواع.

تطبيق عام على الإيجاز والإطناب والمساواة

درستُ الصرف ـ فيه مساواة لأن اللفظ على قدر المعنى ـ ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾[1]. فيه إطناب بالتتميم فإن على حبه فضلة لزيادة التحسين في المعنى ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله ـ فيه مساواة.

المرء بأدبه ـ فيه إيجاز قصر لتضمن العبارة القصيرة معاني كثيرة.

تالله تفتأ تذكر يوسف ـ فيه إيجاز حذف وهو لا.

﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ﴾[2] ـ فيه إيجاز حذف جملة أي فضرب فانفلق.

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ـ فيه إطناب بالاحتراس.

[الطويل]

إذا أنت لم تشرب مرارًا على القذى ظمئت وأيّ الناس تصفو مشاربه

فيه الإطناب بالتذييل. والجملة الثانية جارية مجرى المثل.

جوزي المذنب بذنبه وهل يجازى إلا المذنب. فيه إطناب بالتذييل. وليس جاريًا مجرى المثل.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾[3] ـ فيه إطناب بالاحتراس البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة ـ فيه إطناب بالترديد ولكنّ البر من اتقى ـ فيه إيجاز حذف مضاف ـ أي ذا البر.

[الكامل]

واهتمّ للسفر القريب فإنه أنأى من السفر البعيد وأشنع

فيه إطناب بالإيغال. فإن أشنع مزيدة للترغيب في الاهتمام.

---

(١) سورة الإنسان: الآية ٨.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٦٣.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٩٤.

خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا. فيه إيجاز حذف ـ أي خلطوا عملًا صالحًا بسيء وعملًا سيئًا بصالح.

والليل إذا يَسْرِ ـ فيه إيجاز بحذف الياء. وسبب حذفها أن الليل لمّا كان غير سار وإنما يسريَ مَن فيه. نقص منه حرف، إشارة إلى ذلك جريًا على عادة العرب في مثل ذلك ليحق الحق ويبطل الباطل ـ فيه إيجاز بحذف جملة ـ أي فعل ذلك.

تمرين

بيِّن الإيجاز والإطناب والمساواة وأقسام كل منها فيما يأتي:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤)﴾[١].

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩)﴾[٢] ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾[٣].

[الوافر]

أنا ابن جلا[٤] وطلاع الثنايا ... متى أضع العمامة تعرفوني

﴿فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾[٥] ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾[٦].

[الطويل]

فقلت يمينُ الله أبرح قاعدًا[٧] ... ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

[البسيط]

شيخ يرى الصَّلوات الخمس نافلة ... ويستحلّ دم الحجّاج في الحرم[٨]

[الطويل]

تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ... أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ[٩]

---

(١) في هذه الآية الإطناب بكثير الجمل. وهذا خلاف الأنواع السابقة. وذلك لأنه لما كان الخطاب مع العموم وفيهم الذكي والغبي صرح بخلق أمها الممكنات الظاهرة ليكون دليلًا على القدرة الباهرة ـ وذلك بدل أن يقال (إن في وقوع كل ممكن تساوى طرفاه لآيات للعقلاء)، سورة البقرة: الآية ١٦٤.

(٢) فيه إيجاز القصر لأنه قد جمع مكارم الأخلاق، سورة الأعراف: الآية ١٩٩.

(٣) أي سفينة سالمة، سورة الكهف: الآية ٧٩. (٤) أي أنا ابن رجل جلا.

(٥) الشرط محذوف أي إن أرادوا وليًا فالله هو الولي، سورة الشورى: الآية ٩.

(٦) أي فاقتد واصبر، سورة آل عمران: الآية ١٨٤، سورة الحج: الآية ٤٢.

(٧) أي لا أبرح.

(٨) في الحرم ـ إيغال للزيادة في المبالغة. (٩) فيه التذييل.

﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ[١] فَأُولَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾[٢].

[البسيط]

لله لـذّة عـيـش بـالـحـبـيـب مـضـت ... ولـم تـدم لـي وغـيـر الله لـم يـدم[٣]

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾[٤] ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[٥] ـ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾[٦].

[الطويل]

حَـلِـيـمٌ إِذَا مَـا الْـحِـلْـمُ زَيْـنٌ لأَهْـلِـهِ ... مَعَ الحِلم في عَيْنِ العَدُوِّ مهِيبُ[٧]

[البسيط]

أتـى الـزمـانَ بـنـوه فـي شـبـيـبـتـه ... فـسَّـرهُـمْ وأتـيـنـاهُ عـلـى هـرم[٨]

[الطويل]

وألـفـيـتُـه بـحـرًا كـثـيـرًا فُـضُـولـهُ ... جَواد مَتى يذكر له الخير يَزْدَدِ[٩]

[الطويل]

فإن كـنـتَ لا تـسـتـطـيعُ دَفعَ مَنيَّتي ... فـذَرْنـي أُبَـادِرْهَـا بِـمَـا مـلـكـت يـدي

[الكامل]

مــا أحــســنَ الأيــامَ إلّا أنــهــا ... يـا صَـاحِـبَـيّ إِذَا مـضـت لـم تـرجـعْ

[الطويل]

ولـسـتَ بِـمَـسـتـبـقٍ أخًـا لا تـلـمُّـه ... عـلـى شَـعَـث أيُّ الـرِّجَـالِ الـمُـهـذّبُ

[الوافر]

تـأمّـل مـن خِـلاَل الـسَّـجـف وانـظـر ... بـعـيـنـك مـا شـربـتُ ومَـنْ سَـقَـانِـي

تـجـد شـمـس الـضُّـحـى تَـدنُـو بـشـمـسٍ ... إلـيّ مـن الـرَّحـيـق الـخُـسـرَوَانِـي

---

(١) احترس بقوله وهو مؤمن عن توهمّ الإطلاق.

(٢) سورة الإسراء: الآية ١٩.

(٣) فيه تذييل جار مجرى الأمثال.

(٤) في قوله (من غير سوء) احتراس عن توهم بياض البرص ونحوه، سورة النمل: الآية ١٢.

(٥) سورة الحشر: الآية ٩.

(٦) فيه الاعتراض، سورة الواقعة: الآيات ٧٥ - ٧٦.

(٧) في البيت احتراس.

(٨) في البيت إيجاز ـ أي وأتيناه على هرم (فساءنا).

(٩) في البيت إطناب ـ فإن قوله متى يذكر الخير يزدد تكميل.

خاتمة

الأصول والمُقتضيات المذكورة في هذا الفنّ ليست مَسُوقةً على سبيل الحصر، وإنّما هي نموذج يُنَبِّه الطالب على اعتبار ما يحسن في الذُّوق اعتباره، ويُعينه على استخراج ما في الكلام من وجوه البلاغةِ[١].

والقاعدة أنه متى وُجد الكلام الصّادر عمَّن يُعْتدّ بكلامه مُستعملًا في غير معناه الأصلي المعروف له وضعًا طُلِبَ المُراد بالتأمّل الصّادق مستعينًا بالقرائن و المقال حتى ينجلي له وجه العدول ـ وقد تقدَّم كثير من ذلك العدول (المسمّى بإخراج الكلام على خلاف مُقتضى الظّاهر) في الأبواب السابقة.

وبقي من هذا القبيل أنواع أخرى:

الأول: الالتفات وهو نقل الكلام من حالة التكلم أو الخطاب أو الغَيبة إلى حالة أخرى من ذلك، لِمُقتضيات ومُنَاسباتٍ تظهر بالتأمُّلُ في مواقع الالتفات، وتلوينًا للخطاب حتى لا يملّ السّامع من التزام حالة واحدة «فإنَّ لكل جديد لذَّة» ولد بعض مواقعه لطائف، ملاكُ إدراكها الذوقُ السليم. واعلم أنَّ صور العدول إلى الالتفات ستة:

١ ـ عدولٌ من التّكلم إلى الخطاب ـ كقوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾[٢].

٣ ـ عدولٌ من الخطاب إلى التّكلُّم ـ كقوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ٩٠﴾[٣].

٤ ـ عدول من الخطاب إلى الغيبة ـ كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ٩﴾[٤].

---

(١) علمتَ أنّ البلاغة متوقفة على مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ورأيت في ما تقدم من الأحكام أن مقتضى الحال يجري على مقتضى الظاهر، وهذا الطبع هو الأصل، ولكن قد يُعدل عمّا يقتضيه الظاهر إلى خلافه، ممّا تقتضيه الحال في بعض مقامات الكلام لاعتبارات يراها المتكلم.

(٢) سورة الزمر: الآية ٥٣.
(٣) سورة هود: الآية ٩٠.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٩.

٥ ـ عدولٌ من الغيبة إلى التّكلُّم ـ كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾[1].

٦ ـ عدولٌ من الغيبة إلى الخطاب ـ كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[2].

الثاني: تجاهُل العارف، وهو سَوق المعلوم مساق المجهول، بأن يَجْعَل العارفُ بالشيء نفسه جاهلة به ـ وذلك لأغراض.

١ ـ كالتعجب نحو قوله تعالى: ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾﴾[3].

٢ ـ والمبالغة في المدح ـ نحو ـ وَجْهَكَ بدْرٌ أم شمسٌ.

٣ ـ والمُبالغة في الذَّم ـ كقول الشاعر:

[الوافر]

ومَا أدرِي وَسوفَ إخالُ أدري أقومٌ آلُ حصنٍ أم نساءُ

٤ ـ والتّوبيخ وشِدّة الجزع كقول الشاعر:

[الطويل]

أيا شَجَرَ الخابور مَا لَكَ مُورِقا كأنك لَم تَجزَعْ على ابن طَرِيفِ[4]

٥ ـ وشِدّة الوَلَهِ ـ كقول الشاعر:

[البسيط]

باللَّهِ يا ظبيات القاعِ قُلن لَنا ليلايَ منكنّ أم لَيلى منَ البَشر

٦ ـ والفخر كقوله:

[الخفيف]

أيُّنا تعرف المواقف منه وَثَبَاتٍ على العِدَا وَثَباتا

الثالث: القَلب[5] وهو جعل كلٍّ من الجزأين في الكلام مكان صاحبه، لغرض

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٤٨.
(٢) سورة البقرة: الآية ٨٣.
(٣) سورة الطور: الآية ١٥.
(٤) تجاهلت أخت طريف عن سبب انتفاء الجزع عن الشجر لشدة التحير والتضجّر.
(٥) ويستدل عليه بالتأمل في المعنى فنحو عرضتُ الناقة على الحوض. وأدخلت الخاتم في أصبعي ـ أصله «عرضت الحوض على الناقة» لأن العرض يكون على ما له إدراك» وأصله أدخلت أصبعي في الخاتم «لأن الظرف هو الخاتم» والنكتة إن الظاهر الإتيان بالمعروض إلى المعروض عليه. وتحريك المظروف نحو الظرف ولما كان ما هنا بالعكس قلبوا الكلام رعاية لهذا الإعتبار ـ وإنما يقبل حيث يتضمن اعتبارًا لطيفًا.

كالمبالغة ـ نحو: قول رُؤبَة بن الْعَجاج:

[الرجز]

ومَــهـمَـه مـغـبَـرَّةٍ أرجـاؤه كـأنَّ لـونَ أرضـهِ سَـمـاؤهُ(١)

أي كأنَّ لون سمائه لغبرتها لون أرضه، مُبالغة في وصف لون السماء بالغُبْرَةِ، حتى صار بحيث يشبّه به لون الأرض.

ونحو: أدخلت الخاتم في أصبُعي، وعرضت النّاقة على الحوض.

الرابع: التّعبير عن المضارع بلفظ الماضي ـ وعكسه.

فمن أغراض التّعبير عن المضارع بلفظ الماضي:

أ ـ التّنبيه على تحقيق وقوعه ـ نحو ـ ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾(٢) أي يأتي.

ب ـ وقَرب الوقوع ـ نحو قد قامت الصلاةَ ـ أي قَرُب القِيام لها.

ج ـ والتّفاؤل ـ نحو ـ إنْ شفاك الله تذهبْ معي.

د ـ والتعريض ـ نحو ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾(٣).

فيه تعريض للمشركين بأنهمُ قد حُبِطت أعمالهم.

ومن أغراض التّعبير عن الماضي بلفظ المضارع:

أ ـ حكاية الحالة الماضية باستحضار الصّورة الغريبة في الخيال.

نحو: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾(٤) بدل فأثارت.

ب ـ وإفادة الاستمرار فيما مضى ـ نحو ـ ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾(٥) أي لو استمرّ على إطاعتكم لهلكتم.

الخامس: التّعبير عن المستقبل بلفظ اسم «الفاعل».

نحو ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ۝٦﴾(٦).

أو «المفعول» ـ نحو ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾(٧).

وذلك لأنّ الوصفين المذكورين حقيقةٌ في الحال مجازٌ فيما سواه.

---

(١) والمهمه المفازة البعيدة ـ وأرجاؤه نواحيه.

(٢) سورة النحل: الآية ١.

(٣) سورة الزمر: الآية ٦٥.

(٤) سورة فاطر: الآية ٩.

(٥) سورة الحجرات: الآية ٧.

(٦) سورة الذاريات: الآية ٦.

(٧) سورة هود: الآية ١٠٣.

السادس: التّغليب وهو ترجيح أحد الشيئين على الآخر في إطلاق لفظه عليه ـ وذلك.

١ ـ كتغليب المذكر على المؤنّث في قوله تعالى: ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾[1] وبالعكس ـ نحو ـ الأبوين (للأب والأم).

٢ ـ وكتغليب الأخفّ على غيره ـ نحو الحَسنين في الحَسن والحُسين.

٣ ـ وكتغليب الأكثر على الأقل ـ كقوله تعالى: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾[2].

أدخل شُعيبٌ في العود إلى ملّتهِم، مع أنه لم يكن فيها قطّ، ثم خرَج منها وعاد، تغليبًا للأكثر.

٤ ـ وكتغليب العاقل على غيره كقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[3].

وصلّ الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تم علم المعاني ويليه علم البيان والله المستعان.

---

(١) سورة التحريم: الآية ١٢.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٨٨.

(٣) سورة الفاتحة: الآية ٢، سورة يونس: الآية ١٠، سورة غافر: الآية ٦٥، سورة الصافات: الآية ١٨٢.

علم البيان

١ ـ البيان[1] معناه في اللّغة ـ الكشف والإيضاح.

وفي اصطلاح البلغاء ـ أصولٌ وقواعدُ يُعرف[2] بها إيرادُ المعنى الواحد بِطرُقٍ يَختلف بعضُها عن بعض في وُضوح الدّلالة على نفس ذلك المعنى (ولا بُدّ من اعتبار المطابقة لمقتضى الحال دائمًا).

فالمعنى الواحد ككرم سعد ـ يُدلُّ عليه تارة بطريق التّشبيه بأن يقال «سعد كحاتم» ومرّة بطريق المجاز. بأن يُقال «رأيت بحرًا في دار سعد» وأخرى بطريق الكِناية. بأن يُقال «سعد كثيرُ الرّماد».

ولا يخفى أنّ بعضَ هذه التّراكيب أوضحُ من بعض كما ستعرفه[3].

«ب» وموضوع هذا العلم الألفاظ العربية من حيث المجازُ والكِنايةُ وأمّا التكلّم عن الحقيقة والتّشبيه فليس مقصودًا بالذات في علم البيان.

---

(١) هو اسم لكل شيء كشف لك بيان المعنى وهتك لك الحجب دون الضمير ـ حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله، كائنا ما كان ذلك البيان. ومن أي جنس كان ذلك الدليل ـ لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام. فبأيّ شيء بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع. واعلم أن المعتبر في علم البيان دقة المعاني المعتبرة فيها من الاستعارات والكنايات مع وضوح الألفاظ الدالة عليها. فالبيان هو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير.

(٢) أي يعرف من حصل تلك الأصول كيف يعبر عن المعنى الواحد بعبارات بعضها أوضح من بعض. فعلم البيان علم يُتمكن به من إبْراز المعنى الواحد بصور متفاوتة، وتراكيب مختلفة في درجة الوضوح، فالمحيط بفن البيان. الضليع من كلام العرب منثوره ومنظومه، إذا أراد التّعبير عن أي معنى يجول بضميره، استطاع أن يختار من فنون القول وطرق الكلام. ما هو أقرب لمقصده، وأليق بغرضه، بطريقة تُبينّ ما في نفس المتكلم من المقاصد، وتوصل الأثر الذي يريده به إلى نفس السامع في المقام المناسب له، فينال الكاتب والشاعر والخطيب من نفس مخاطبيه إذا جوّد قوله، وسحرهم ببديع بيانه.

(٣) ولا يغيب عن البال أن الألفاظ المترادفة تتفاوت دلالتها من جهة اللفظ والعبارة، لا من ناحية الوضوح والخفاء فلا تدخل حينئذٍ في مباحث فن البيان.

«جـ» وواضعه أبو عُبيدةَ الذي دَوَّنَ مسائل هذا العلم في كتابه المسمَّى «مجاز القرآن» وما زال ينمو شيئًا فشيئًا حتى وصل إلى الإمام «عبد القاهر» فأحكم أساسه، وشيَّدَ بناءه، ورتَّب قواعده، وتبعه الجاحظ، وابن المُعتز وقُدامة، وأبو هلال العسكري.

«د» وثمرته الوقوف على أسرار كلام العرب «منثورِه ومنظومِه» ومعرفة ما فيه من تَفاوُتٍ في فنون الفصاحة، وتبايُن في درجات البلاغة التي يصل بها إلى مرتبة إعجاز القرآن الكريم الذي حار الجنُّ والإِنسُ في مُحاكاته ـ وعجزوا عن الإِتيان بمثله.

مقدمة

اللَفظ إن عُيِّن بإزاء معنى ليدلَّ عليه سُمِّي موضوعًا، والمعنى موضوعًا له، والتّعيين وضعًا. ثم إنه بعد ذلك إمّا ألّا يُتصرَّف فيه عند الاستعمال أو يُتصرَّف فيه عنده فالأول ـ وهو الذي لا يُتَصّرف فيه عند الاستعمال يُسمَّى (حقيقة)[1] والثاني ـ وهو الذي يُتصرّف فيه عند الاستعمال.

أ ـ فإن كان التّصرف بإسناده إلى غير ما حقّه أن يُسند إليه سُمّي «مجازًا عقليًا ـ أو ـ إسنادًا مجازيًا ـ» نحو بنى الأمير المدينة.

ب ـ وإن كان ينقله من معنى لمعنى لعلاقة وقرينة فإن منعت قرينتُه إرادَةَ المعنى الموضوع له «فمجاز بالاستعارة» إن كانت العلاقة المشابهةَ ـ «ومجازٌ مرسلٌ» إن كانت العلاقة غيرَها.

وإن لم تمنع القرينة ـ فإن كان بالكاف وكأنّ ونحوهما «فتشبيه» وإلّا «فكنّاية».

ولهذا انحصر علم البيان في التّشبيه ـ والمجاز ـ والكناية.

---

(١) وهي خمسة أنواع:
١ ـ الحقيقة العقلية[1] وهي إسناد الشّيء إلى ما هو له عند المتكلم في الظاهر نحو: أنبتَ اللّهُ الشجر.
٢ ـ الحقيقة اللُّغوية وهي الكلمة المُستعملة في الشّيء الذي وضعت له عند أهل اللغة ـ نحو: أسد «للحيوان المفترس».
٣ ـ الحقيقة الشّرعية وهي الكلمة المستعملة في الشيء الذي وُضعت له عند أهل الشرع كالصلاة فإنها موضوعة «للأقوال والأفعال المخصوصة».
٤ ـ الحقيقة الاصطلاحية الخاصة وهي الكلمة المستعملة في ما وُضِعت له في اصطلاح خاص كالفاعل فإنه موضوع في اصطلاح النحاة «للاسم المرفوع بالفعل المذكور قبله أو شبهه».
٥ ـ الحقيقة الاصطلاحية العامة وهي الكلمة المُستعملة في ما وُضِعت له في اصطلاح العلم نحو ـ دابّة: فإنها موضوعة في العُرف العام «لوات الأربع كالفرس والحمار».

---

(١) أقسام الحقيقة العقلية أربعة ـ الأول ما يطابق الواقع والاعتقاد معًا كقول المؤمن أنبت الله الزرع ـ الثاني ما يطابق الاعتقاد فقط كقول الجاهل أنبت المطر الزرع ـ الثالث ما يطابق الواقع دون الاعتقاد، كقول المعتزلي لمن لا يعرف حاله وهو يخفيها ـ خلق الله الأفعال كلها ـ الرابع ما لا يطابق شيئًا منهما كقولك جاء فريد ـ وأنت تعلم أنه لم يجيء «دون المخاطب».

الباب الأول

في التّشبيه[١]

التّشبيه ـ أوّلُ طريقة تدُلُّ عليه الطّبيعة لبيان المعنى ـ وهو في اللغة التّمثيل ـ وعند علماء البيان ـ مُشاركة أمرٍ لأمرٍ في معنًى[٢] بأدوات[٣] معلومة[٤] ـ كقولك ـ العلم كالنّور في الهداية. . . فالعلم مُشَبّه، والنور مشبه به، والهداية وجهُ الشّبه، والكاف أداة التّشبيه، فحينئذٍ أركان التشبيه أربعة، مشبه. ومشبه به «ويُسمّيان طرفَي التّشبيه» ووجه شبه، وأداة تشبيه «ملفوظة أو ملحوظة» ـ وفي هذا الباب مباحث.

---

(١) اعلم أن للتشبيه موقعًا حسنًا في البلاغة ـ وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي وإدنائه البعيد من القريب، يزيد المعاني رفعة ووضوحًا، ويكسبها توكيدًا وفضلًا ويكسوها شرفًا ونبلًا. فهو فن واسع النطاق. فسيح الخطوة، ممتد الحواشي، متشعب الأطراف. متوعر المسلك. غامض المدارك. دقيق المجرى. غزير الجدوى.

(٢) فالتشبيه هو الدلالة على أن شيئًا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بواسطة أداة من أدوات التشبيه، وبتعريف التشبيه بذلك خرجت المشاركة في عين نحو اشترك زيد وبكر في الدار فإنه لا يسمى تشبيهًا.

(٣) خرجت الاستعارة والتشبيه الضمني في بعض صور التجريد «وهو ما لم يكن تجريد الشيء عن نفسه» لأنه حينئذٍ لا تشبيه نحو ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ [فصلت: ٢٨]، فإنه لانتزاع دار الخلد من جهنم وهي عين دار الخلد لا شبيهة بها، بخلاف نحو لقيت بزيد أسدًا ـ فإنه لتجريد أسد من زيد. وأسد مشبه به لزيد لا عينه ففيه تشبيه مضمر في النفس ـ فكل من الاستعارة والتشبيه الضمني المذكور لا يسمى تشبيهًا اصطلاحًا وليس التشبيه مجرد الاشتراك في معنى بل لا بد فيه من ادّعاء مماثلة أحد أمرين لآخر في معنى ومساواته إياه ـ ولذلك نفاه الشاعر: [البسيط]

ما أنت مادحها يا من تشبهها ... والشمس والبدر لا بل أنت هاجيها
من أين للشمس خال فوق وجنتها ... ومبسم كنظام الدرّ في فيها

(٤) وهي الكاف وكأنّ ومثل ونحوها ـ وكذا ماثل وشابه وما اشتق منهما أو يراد فهما في المعنى مما سيأتي.

المبحث الأول

في تقسيم طرفي التّشبيه إلى حِسّي وَعقلي

طرفا التّشبيه «المشبه والمشبه به».

١ ـ إمّا حِسّيان[1] «أي مُدرَكان بإحدى الحواسّ الخمس الظّاهرة» نحو ـ أَنْتَ كالشمس في الضِّياءِ ـ وكما في تشبيه «الخدّ بالورد».

٢ ـ وإمّا عقليان ـ أي مدركان بالعقل نحو: العلم كالحياة ونحو «الضّلاَل عن الحق كالعَمى» ـ ونحو «الجهل كالموت».

٣ ـ وإمّا المشبه حِسِّي والمشبه به عقلي ـ نحو ـ طبيب السّوء كالموت.

٤ ـ وإمّا المشبه عقلي والمشبه به حِسِّي ـ نحو ـ العلم كالنّور.

المبحث الثاني

في تقسيم طرفي التَّشبيه باعتبار الإفراد والتركيب

طرفا التَّشبيه «المشبه والمشبه به».

---

(١) اعلم أن من الحسي ما لا تدركه الحواس الخمسة وهي (البصر والسمع والشم والذوق واللمس) ولكن تدرك مادته فقط ويسمى هذا التشبيه بالخيالي ـ كقوله: [الطويل]

كأن الحباب المستدير برأسها ... كواكب درّ في سماء عقيق

فإن هذه الكواكب والسماء لا يدركها الحس لأنها غير موجودة ـ ولكن يدرك مادتها التي هي الدر والعقيق على انفراد ـ والمراد بالحباب ما يعلو الماء من الفقاقيع والضمير للخمر ـ ومنه أيضًا قول الآخر: [مجزوء الكامل]

وكأنّ مِحمرّ الشقـ ... ـيق إذا تصوّب أو تصعّد

أعلام ياقوت نُشـ ... ـرن على رماح من زبرجد

فإن الأعلام والياقوت والزبرجد والرماح موجودة ـ لكن المشبه الذي مادته هذه ليس موجودًا ولا محسوسًا. والمراد بالعقلي ما لا يدرك هو ولا مادته بإحدى الحواس الظاهرة ـ بل إدراكه عقلًا، فيدخل فيه الوهمي وهو ما لا يدرك هو ولا مادته بإحدى الحواس، لكن لو وجد في الخارج لكان مدركًا بها ـ ويسمى هذا التشبيه بالوهمي ـ كقوله: [الطويل]

أيقتلني والمَشرفيّ مُضاجِعي ... وَمسنُونة زُرق كأنياب أغوال

فإن أنياب الأغوال لم توجد هي ولا مادتها. وإنما اخترعها الوهم، لكن لو وجدت لأدركت بالحواس والمشرفي السيف والمسنونة السهام. والأغوال يزعمون أنها وحوش هائلة المنظر ولا أصل لها. والوجدانيات كالجوع والعطش ونحوهما ملحقة بالعقلي ثم التضاد بين الطرفين قد ينزل منزلة التناسب، ويجعل وجه الشبه على وجه الظرافة أو الاستهزاء كما في تشبيه شخص ألكن بقُس بن ساعدة ـ أو رجل بخيل بحاتم ـ والفرق بين الظرافة والاستهزاء بالقرائن. فإن كان الغرض مجرد الظرافة فظرافة ـ وإلا فاستهزاء.

١ ـ إمّا مفردان «مُطلقان» نحو ـ ضوءه كالشمس.

أو مقيدان[١] نحو ـ السّاعي بغير طائل كالرَّاقم على الماء.

أو «مختلفان» نحو: ثَغره كاللُّؤلؤ المنظوم ـ ونحو: العين الزرقاء كالسّنان.

وإمّا مركبان تركيبًا لم يُمكنْ إفراد أجزائهما ـ كقوله[٢]:

[الطويل]

كَأَنَّ سُهَيلًا وَالنُّجُومُ وَرَاءَهُ صُفُوفُ صَلاَةٍ قَامَ فِيهَا إمَامُهَا

(إذ لو قلت كأن سهيلًا إمام، وكأن النجوم صفوف صلاة. لذهبت فائدة التّشبيه).

٢ ـ أَو مركبان تركيبًا إذا أفردت أجزاؤه زال المقصود من هيئة (المشَّبه به) كما ترى في قول الشاعر الآتي ـ حيث شبَّه النجوم اللاّمعة في كبد السَّماء بدُرٌ منتثر على بساط أَزرق:

[الكامل]

وَكَأنّ أَجْرامَ النُّجوم لوَامِعًا دُرَرٌ نُثِرْنَ على بِسَاطٍ أَزْرَقِ

(إذ لو قلت كأن النُّجُوم دُرَرٌ ـ وكأنّ السماء بساط أزرق، كان التشبيه مقبولًا ـ لكنه قد زال منه المقصود بهيئة المشبه به).

٣ ـ وإما مفرد بمركب ـ كقول الخنساء[٣]:

[البسيط]

أغرُّ أبلجُ تأتمّ الهُدَاةُ بِهِ كأنه علمٌ فِي رأسهِ نارُ

٤ ـ وإما مركب بمفرد ـ نحو ـ الماءُ المالح كالسُمِّ[٤].

---

(١) وتقييده بالإضافة أو الوصف أو المفعول أو الحال أو الظرف أو بغير ذلك ويشترط في القيد أن يكون له تأثير في وجه الشبه. ولهذا جعل قوله تعالى: ـ ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧] من باب تشبيه المفرد بالمفرد بلا قيد. ونحو التكلّم في الصغر كالنقش في الحجر.

(٢) ومنه قول الآخر: [الطويل]

كأن مثار النّقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوَى كواكبه

فإنه شبه هيئة الغبار، وفيه السيوف مضطربة، بهيئة الليل وفيه الكواكب تتساقط في جهات مختلفة ـ وكقول الشاعر: [المتقارب]

كأنّ الدموع على خدّها بقيّة طَلٌ على جُلَّنار

فالمشبه مركب من الدموع والخلد، والمشبه به مركب من الطّل والجلنار.

(٣) كقوله: [الكامل]

وحدائق لبس الشّقيقَ نباتُها كالأرجوان منقّطًا بالعنبر

(٤) وكقوله: [الكامل]

=

المبحث الثالث

في تقسيم طرفي التَّشبيه باعتبار تعدّدهما

ينقسم طرفا التَّشبيه «المشبه والمشبه به» باعتبار تعدّدهما إلى أربعة أقسام ملفوف، ومفروق، وتسوية، وجمع.

١ ـ فالتشبيه الملفوف، هو جمع كل طرف منهما مع مثله، كجمع المشبه مع المشبه. والمشبه به مع المشبه به ـ بحيث يُؤتى بالمشبهات أوّلاً، ثم بالمشبهات بها ثانيًا.

كقوله:

[المجتث]

لـيـل وبـدر وغـصـن شـعـر ووجـه وقـدُّ

وكقوله:

[البسيط]

تـبـسُّـم وقـطـوبٌ فـي نـدًى وَوَغًـى كالغيث والبرق تحت العارض البرَد

وكقوله:

[الوافر]

وضـوء الـشُّـهـبِ فـوْق الـلّـيـل بـادٍ كـأطـرَاف الأسِـنَّـة فِـي الـدُّروع[1]

٢ ـ والتشبيه المفروق ـ هو جمع كل مشبه مع ما شُبّه به ـ كقوله[2]:

[الرجز]

الـنّـشـر مـسْـكٌ وَالـوجـوهُ دَنَـا نـيـرٌ وأطـرَافُ الأكُـفّ عَـنَـم

٣ ـ «وتشبيه التسوية» هو أن يتعدّد المشبه دون المشبه به ـ كقوله:

[المجتث]

صُـدغُ الـحـبـيـب وَحـالـي كـلاهـمـا كـالـلّـيـالـي
وثَـغـره فـي صـفـاء وأدمـعـي كـالـلآلـي

= لا تـعـجـبـوا مـن خـالـه فـي خـدّه كـل الـشـقـيـق بـنـقـطـة سـوداء

فالمشبه مركب من الخال والخلد، والمشبه به مفرد وهو الشقيق.

(١) أي فقد جمع ضوء الشهب والليل المشبهين، مع أطراف الأسنة والدروع المشبه بهما.

(٢) ومنه قوله: [الخفيف]

إنـمـا الـنـفـس كـالـزجـاجـة والـعـلـ ـم سـراج وحـكـمـة الله زيـت
فـإذا أشـرقـت فـإنـك حـيٌ وإذا أظـلـمـت فـإنـك مـيـت

سُمِّي بذلك للتّسوية فيه بين المُشبّهات.

٤ ـ وتشبيه الجمع ـ هو أن يتعدّد المشبه به، دون المشبه ـ كقوله:

[السريع]

كأنما يَبسمُ عن لؤلؤ   منضَّد أو بَرد أو أُقاح[1]

سُمي بتشبيه الجمع ـ للجمع فيه بين مشّبهات بها ثلاث وكقوله:

[السريع]

مرَّت بنا رأد الضّحى   تحكي الغزالة والغزالا

تمرين

أُذكر أحوال طرفي التشبيه فيما يأتي:

علم لا ينفع كدواء لا ينجع. الصديق المنافق والابن الجاهل كلاهما كجمر الغضا. الحق سيف على أهل الباطل، الحِمْيَة من الأنام كالحِمْيَة من الطَّعام:

[مجزوء الرمل]

يا شبيه البدر حُسنا   وضياءً ومنالا
وشبيهَ الغصن لينا   وقوامًا واعتدالا
أنت مثل الورد لونا   ونسيمًا وملالا

---

(١) أي كأن المحبوب يبتسم عن أسنان كاللؤلؤ المنظوم، أو كالبرد أو كالإقاح فشبه الشاعر ثغر المحبوب بثلاثة أشياء اللؤلؤ (وهو الجوهر المعلوم) والبرد (وهو حب الغمام) والإقاح جمع أقحوان بضم الهمزة، وهو زهر نبت طيب الرائحة، حوله ورق أبيض، ووسطه أصفر.

ملخص القول في تقسيم طرفي التشبيه

ينقسم التشبيه باعتبار طرفيه ـ أولًا ـ إلى حسّيين وعقلّيين ومختلفين فالحسيان يشتركان.

- في صفة مبصرة كتشبيه المرآة بالنهار في الإشراق، والشعر بالليل في الظلمة والسواد في قول الشاعر: [الكامل]

فرعاءُ تسحبُ من قيام شعرَها   وتغيب فيه وهو ليل أسحمُ
فكأنها فيه نهارٌ مشرقٌ   وكأنه ليلٌ عليها مُظلم[1]

- أو في صفة مسموعة ـ كتشبيه إنقاض الرحل بصوت الفراريج في قول الشاعر: [البسيط]

كأن أصواتَ مِن إيغالِهنَّ بنا   أواخِرِ المَيْس إنقاض الفراريج[2]

=

---

(١) امرأة فرعاء. كثيرة الشعر. أسحم. أسود من سحم كتعب.

(٢) الميس: الرحل. الإنقاض: قيل صوت الفراريج الضئيل. وقيل صوت الحيوان. والنقض صوت الموتان كالرحل. والفراريج. جمع فروج وهو فرخ الدجاجة. وتقدير البيت. كأن أصوات أواخر الميس من إيغالهن بنا إيقاض الفراريج.

زارنـــا حـــتـــى إذا مـــا سـرّنـــا بـــالـــقـــرب زالا
[الوافر]

فـكـم مـعـنـى بـديـع تـحـت لـفـظٍ هـنـاك تـزاوُجٌ كـلّ ازدوَاج
كـراح فـي زُجـاج أو كـروح سَـرَت فـي جـسـم مـعـتـدل الـمـزاج
[مجزوء البسيط]

الـخـدُّ وردٌ والـعـذار رِيـاض والـطَّـرفُ لـيـلٌ والـبـيـاض نـهـارُ
[الكامل]

الـعـمـرُ والإنـسـان والـدنـيـا هـمـو كـالـظـلّ فـي الإقـبـال والإدبـار
[المنسرح]

الـخـدُّ وَرْدٌ والـصُّـدغ عـالـيـة والـرِّيـق خـمـرٌ والـثَّـغـرُ مِـنْ بَـرَدِ
[المجتث]

لـيـلٌ وبـدرٌ وغـصـنٌ شـعـرٌ ووجْـهٌ وقـدٌّ

=

وكتشبيه الأصوات الحسنة في قراءة القرآن بالمزامير.

- أو في صفة مذوقة. كتشبيه الفواكه الحلوة بالعسل. وكتشبيه الريق بالخمر في قول الشاعر: [المتقارب]

كـأن الـمُـدَامَ وصَـوْب الـغـمـام وريـحَ الـخُـزامَـى وذَوْبَ الـعَـسَـلْ
يـعَـلُّ بـه بَـرْدُ أنـيـابـهـا إذا الـنـجـم وسْـط الـسـمـاء اعـتَـدَلْ[1]

- أو في صفة ملموسة. كتشبيه الجسم بالحرير في قول ذي الرُّمة: [الطويل]

لـهـا بَـشـر مـثـلُ الـحـريـر ومَـنـطـقٌ رَخِـيـمُ الـحـواشـي لا هـرَاءٌ ولا نَـزْرُ[2]

- أو في صفة مشمومة. كتشبيه الريحان بالمسك - والنَّكهة بالعنبر، والعقليان - هما اللذان لم يدركا «هما ولا مادتهما» بإحدى الحواس - كتشبيه السفر بالعذاب، والضلال عن الحق بالعمى، والاهتداء إلى الخير بالإبصار، والمختلفان - إما أن يكون المشبه عقليًا والمشبه به حسيًا - كتشبيه الغضب بالنار من التلظي والاشتعال - وكتشبيه الرأي بالليل في قول الشاعر: [البسيط]

الـرأي كـالـلـيـل مُـسْـوَدٌ جـوانِـبُـهُ والـلـيـل لا يـنـجـلـي إلا بـإصـبـاح

وإما أن يكون المشبه حسيًا والمشبه به عقليًا - كتشبيه الكلام بالخلق الحسن وكتشبيه العطر بخلق كريم في قول الصاحب بن عَبّاد: [الكامل]

أُهـديـتُ عـطـرًا مـثـل طـيـب ثـنـائـه فـكـأنـمـا أهـدى لـه أخـلاقـه[3]

=

(١) المدام: الخمر. الصوب: من صاب المطر يصوب، إذا انصب ونزل. الخزامي. نبت طيب الرائحة. والعلل الشرب الثاني يقال علل بعد نهل.

(٢) رخيم الحواشي. مختصر الأطراف. الهراء (بضم الهاء) المنطق الكثير وقيل المنطق الفاسد الذي لا نظام له.

(٣) الثناء يشبه بالعطر لكنه اعتبر المعقول كأنه محسوس وجعله كالأصل لذلك المحسوس مبالغة، وتخيّلة شيئًا له رائحة وشبه العطر به.

خـــمـــــــــــرٌ ودرٌ وَوَرْدٌ ريـــــقٌ وثـــغـــــرٌ وخـــــدٌّ

[الخفيف]

الــعــمــرُ مـــثـــل الــضّــيــف أوْ كــالــطّــيــف لــيــسَ لــه إقــامــه

[الكامل]

والــعــيــض نــومٌ وَالــمــنــيّــةُ يــقــظــة والــمــرء بــيــنــهــمــا خــيــالٌ ســاري

=

وثانيًا - إلى مفردين مطلقين. أو مقيدين. أو مختلفين - وإلى مركبين أو مختلفين.

فالمفردان المطلقان. كتشبيه المساء بالدِّهان في الحمرة. في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾﴾ [الرحمٰن: ٣٧][١].

وكتشبيه الكشح بالْجَدِيل. والساق بالأنبوب في قول امرىء القيس: [الطويل]

وكـشـح لـطـيـف كـالـجَـدِيـل مـخـصَّـر وسـاق كـأنـبـوب الـسـقِـيّ الـمـذلَّـلِ[٢]

والمقيدان. بوصف. أو إضافة. أو حال. أو ظرف - أو نحو ذلك. كقولهم فيمن لا يحصل من سعيه على فائدة: هو «كالراقم على الماء» فالمشبه هو الساعي على هذه الصفة. والمشبه به هو الراقم بهذا القيد. ووجه الشبه. التسوية بين الفعل والترك في الفائدة - كقوله: [الكامل]

والـشـمـس مـن بـيـن الأرائك قـد حكَـتْ سـيـفًـا صَـقِـيـلاً فـي يـدِ رعـشـاءِ[٣]

والمختلفان. والمشبه به هو المقيد: كما في قول ذي الرّمة: [الطويل]

قِـفِ الـعـيِـس فـي أطـلال مَـيَّـةَ فـاسـألِ رُسـومًـا كـأخـلاق الـرِّدَاء الـمُـسَـلْـسَـلِ[٤]

أو المشبه هو المقيد. كما في قول الشاعر: [الطويل]

كـأنّ فِـجـاجَ الأرض وهـي عـريـضـةٌ على الخائف المطلوب كُفَّةُ حابِلِ[٥]

والمركبان. كقول الشاعر: [الكامل]

الـبـدرُ مـنـتـقـب بـغـيـم أبـيـض هـو فـيـه بـيـن تـفـجُّـر وتـبـلّـج

=

(١) الدهان: الجلد الأحمر.

(٢) الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع (أقصر الأضلاع وآخرها) وهو من لدن السرّة إلى المتن. الجديل الزمام المجدول من أدم.

وقيل حبل من أدم أو شعر في عنق البعير. مخصر. دقيق. السقي. البردي واحده سقيه. المذلل الذي ذلل بالماء حتى طاوع كل من مدّ إليه يده. قال الوزير أبو بكر عاصم بن أيوب في شرحه لديوان امرىء القيس. شبه كشح المرأة بالزمام في اللين والتثني واللطافة. وشبه ساقها ببردي قد نبت تحت نخل. والنخل تظله من الشمس والوجه بالبياض.

(٣) الأراك شجر من الحمض يستاك بقضبانه، واحده أراكة وجمعها أرائك.

(٤) العيس: كرام الإبل وقيل الإبل البيض يخالط بياضها شقرة أو ظلمة خفية. والإطلال جمع طلل. وهو الشاخص من آثار الديار. الرسم ما كان لاصقًا بالأرض من آثار الديار. أخلاق: جمع خلَق (بفتح اللام) وهو الثوب البالي. المسلسل: الرقيق من تسلسل الثوب لبس حتى رقّ.

(٥) الفجاج جمع فج الطريق الواسع الواضح بين جبلين. الكفة: ما يصاد به (الشبكة)، الحابل: الصياد.

[البسيط]

العلم في الصدر مثلُ الشّمس في الفَلَكِ والعقلُ للمرءِ مِثلُ التّاج للمَلِكِ

[البسيط]

عزَماتهُ مثل النُّجوم ثواقبًا لو لم يكن للثّاقبات أفُولُ

[الكامل]

وكأنَّ أجرام النُّجوم لوامعًا دُرَرٌ نَثِرن على بِساط أزرقِ

[المنسرح]

كأنما النارُ في تلهُّبها والفحم من فوقها يُغطّيها
زِنجيّة شبَّكت أناملها من فوق نَارُنجة لِتُخفِيها

= كتنفّس الحسناء في المرآة إذ كَمُلَت محاسنُها ولم تتزوّج

والمختلفان ـ والمشبه مفرد كقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍۖ﴾ [إبراهيم: ١٨] ـ وكقول الشاعر: [البسيط]

أغَرُّ أبَلجُ تأتمُّ الهُداةُ به كأنّهُ علم في رأسه نار

أو المشبه به مفرد. كقول أبي الطيب المتنبي: [المنسرح]

تشرق أعراضهم وأوجههم كأنها في نفوسهم شِيَمُ

شبه إشراق الأعراض والوجوه بإشراق الشيم (الأخلاق الطيبة) فإشراق الوجوه ببياضها، وإشراق الأعراض بشرفها وطيبها: وكقول أبي تمام يصف الربيع: [الكامل]

يا صاحبيَّ تقصيا نظريكما ترَيَا وجوه الأرض كيف تُصوَّر[1]
تريا نهارًا مشمِسًا قد شابَهُ زهر الرُّبا فكأنما هو مُقمر

يريد أن النبات لكثرته وتكاثفه مع شدة خضرته قارب لونه السواد. ونقص من ضوء الشمس حتى كأنه ليل مقمر. فشبه النهار المشمس الذي قد خالطه زهر الربا بالليل المقمر ـ والأول مركب ـ والثاني مفرد مقيد.

وثالثًا ـ إلى ملفوف. وهو ما أتي فيه بالمشبهات أولا على طريق العطف أو غيره، ثم بالمشبهات بها كذلك ـ كقول الشاعر: [المجتث]

ليلٌ وبدرٌ وغصنٌ شعرٌ ووجه وقدٌّ
خمرٌ ودرٌّ وورِدُ ريقٌ وثغرٌ وخَدٌّ

شبه الليل بالشعر، والبدر بالوجه، والغصن بالقد، في البيت الأول. والخمر بالريق والدر بالثغر. والورد بالخد، في البيت الثاني. وقد ذكر المشبهات أولًا ـ والمشبهات بها ثانيًا كما ترى.

١ ـ مفروق. وهو ما أوتي فيه بمشبه ومشبه به ثم بآخر وآخر. كقول أبي نوَاس: [السريع] =

(١) تقصيا: من تقّصيت الشيء بلغت أقصاه أي اجتهدا في النظر. تصور نتصور. شابه: خالطه. الربا. جمع ربوة وهي المكان المرتفع وخص زهر الربا لأنه أنضر وأشد خضرة.

[الكامل]

يا صاحِبيَّ تَقصَّيا نظريكُما ... تَريا وُجوهَ الأرض كيف تُصوّرُ
تريا نهارًا مُشمسًا قد شابه(١) ... زهرُ الرُّبى فكأنما هو مُقمِرُ

[مجزوء الكامل]

وكأنَّ مِحْمرَّ الشَّقيـ ... ـق إذا تَصوَّب أو تصعد
أعلامُ ياقوت نُشِر ... ن على رِماح مِنْ زَبرْجَد(٢)

[الطويل]

كأن مِثارَ النقع فوقَ رُؤوسنا ... وأسيافَنا ليلٌ تَهاوَى كواكُبه(٣)

= تبكي فتذري الدر من نَرجس ... وتمسحُ الوردَ بعنّاب(١)

شبه الدمع بالدر لصفائه والعين بالنرجس لما فيه من اجتماع السواد بالبياض والوجه بالورد.

ورابعًا إلى تشبيه التسوية. وهو ما تعدد فيه المشبه ـ كقول الشاعر: [المجتث]

صدغُ الحبيب وحالي ... كلاهما كالليالي
وثغره في صفاء ... وأدمعي كاللآلي(٢)

شبه في الأول صدغ الحبيب وحاله هو بالليالي في السواد. وفي الثاني شبه ثغر الحبيب ودموعه باللآلي في القدر والإشراق.

٢ ـ تشبيه الجمع. وهو ما تعدد فيه المشبه به كقول البُحتري: [السريع]

بات نديمًا لي حتى الصباح ... أغْيَدُ مجْدُولُ مَكانِ الوِشاحْ
كأنما يَبسمُ عن لؤلؤ ... منضّد أو بَرَد أو أقاحْ(٣)

شبه ثغره بثلاثة أشياء باللؤلؤ والبرَد والإقاح.

(١) أي قد خالط هذا النهار زهر الربا فكأنما هو ليل مقمر.

(٢) فكل من الأعلام والياقوت والزبرجد والرمح محسوس على انفراده. لكن المركب الذي مادته هذه الأمور ليس بمحسوس لأنه غير موجود ـ والحس خاص بالموجودات ـ فالمشبه مفرد وهو الشقيق. والمشبه به مركب وهو الهيئة الحاصلة من نشر أجرام حمر مبسوطة على رؤوس أجرام خضر مستطيلة.

(٣) شبهت هيئة السيوف الحاصلة من علوها ونزولها بسرعة في وسط الغبار بهيئة كواكب تتساقط في ليل مظلم.

---

(١) العناب ـ شجر له حب كحب الزيتون وأحسنه الأحمر الحلو.

(٢) الصدغ (بضم الصاد) ما بين العين والأذن. والشعر المتدلي على هذا الوضع هو المراد هنا والثغر تطلق على الفم، وعلى الأسنان في منابتها والمراد الثاني.

(٣) الأغيد: الناعم البدن، المجدول. المطوي غير المسترخي ـ والمراد لازمه. وهو ضامر البطن والخصرتين الوشاح شِبهُ قلادة ينسج من جلد عريض يرصع بالجواهر تشدّه المرأة في وسطها أو على المنكب الأيسر معقودًا تحت الأبط الأيمن للزينة. المنضد: المنظم. البرد: حب الغمام. الإقاح نبات له زهر أبيض في وسطه كتلة صغيرة صفراء. وأوراق زهره مفلجة صغيرة، واحدته قُحوانة (بضم القاف).

[مجزوء الكامل]

خـــودٌ كـــأنَّ بـــنـــانَـــهـــا   فـي خُـضـرة الـنَّـقـش الـمـزرَّدْ[١]
سَـــمــك مـــن الـــبـــلّـــور فـــي   شـــبـــك تـــكـــوّن مـــن زَبَـــرْجَـــدْ

[الطويل]

كَأنَّ قلوبَ الطير رَطبًا ويابسًا[٢]   لدى وكرها العُنَّابُ والحشفُ البالي

[الطويل]

مَن يصْنع الخيرَ مع من ليس يَعرفُه   كواقد الشَّمع في بيت لِعميان[٣]

المبحث الرابع

في تقسيم التشبيه باعتبار وَجه الشّبه

وَجهُ الشّبه هو الوصف الخاصّ[٤] الذي يُقصَد اشتراك الطّرفين فيه كالكرم ـ في

---

(١) أي أن أصابعها المُعبّر عنها بالبنان قد نقش عليها بالوشم ما هو كالشبك الزبرجدي أي المحيط ببياض أصابعها التي هي كالبلور ـ فالمفردات كل واحد منها يدرك بالحس ـ والمركب غير موجود.

(٢) يريد الشاعر وصف العقاب بكثرة اصطياده الطيور ـ فشبه الطري من قلوب الطير بالعناب ـ واليابس منها بالحشف البالي.

(٣) ففيه التشبيه الملفوف حيث جمع في الشطر الأول صنيع الخير ومعرفته وهما متلازمان ـ ثم أتى في الشطر الثاني بالمشبه بهما أعني وقود الشمع والنظر إلى نوره.

(٤) إما حقيقة كالبأس في قولك (زيد كالأسد) وإمّا تخيلًا كما في قوله: [الكامل]

يــا مــن لــه شــعــر كــحــظّــي أســود   جــســمــي نــحــيــل مــن فــراقــك أصــفــر

فإن وجه الشبه فيه بين الشعر والحظ هو السواد. وهما يشتركان فيه ـ لكنه يوجد في المشبه تحقيقًا. ولا يوجد في المشبه به إلا على سبيل التخييل، لأنه ليس من ذوات الألوان. ثم اعلم أن وجه الشبه ـ إما داخل في حقيقة الطرفين وذلك كما في تشبيه ثوب بآخر في جنسهما أو نوعهما أو فصلهما كقولك هذا القميص مثل ذلك في كونهما كتانًا أو قطنًا ـ وإما خارج عن حقيقتهما وهو ما كان صفة لهما (حقيقة) وهي قد تكون حسية كالحمرة في تشبيه الخد بالورد، وقد تكون عقلية كالشجاعة في تشبيه الرجل بالأسد ـ أو (إضافية) وهي ما ليست هيئة متقررة في الذات بل معنى متعلقًا بها كالجلاء في تشبيه البيّنة بالصبح. ثم إن وجه التشبيه قد يكون واحدًا وقد يكون بمنزلة الواحد (لكونه مركبًا من متعدد) وقد يكون متعددًا ـ وكل من ذلك قد يكون حسيًا وقد يكون عقليًا. أما الواحد ـ فالحسي منه كالحمرة في تشبيه الخد بالورد، والعقلي كالنفع في تشبيه العلم بالحياة ـ وأما المركب فالحسي منه قد يكون مفرد الطرفين، كما في قوله: [الطويل]

وقد لاح في الصبح الثُّريا كما ترى   كـعـنـقـود مُـلّاحِـيـة حـيـن نـوّرا

فإن وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من التئام الحبب البيض الصغيرة المستديرة المرصوص=

نحو: خليل كحاتم وينقسم التشبيه باعتبار (وجه الشبه) إلى:

١ ـ تمثيل ـ وهو ما كان وجه الشّبه فيه صورةً منتزعَةً من متعدّد، كقوله:

[الطويل]

وما المرء إلا كالشّهاب وضوئه يُوافي تمام الشّهر ثم يَغيب

= بعضها فوق بعض على الشكل المعلوم. وكلا الطرفين مفرد، وهما الثريات والعنقود. وقد يكون مركب الطرفين كما في قوله: [الكامل]

والبدر في كبد السماء كدرهم ملقى على ديباجة زرقاء

فإن وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من طلوع صورة بيضاء مشرقة مستديرة في رقعة زرقاء مبسوطة. وكلا الطرفين مركب أولهما من البدر والسماء ـ والثاني من الدرهم والديباجة. وقد يكون مختلف الطرفين كقوله: [الكامل]

وحدائق لبس الشقيق نباتها كالأرجوان منقّطًا بالعنبر

فإن وجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من انبساط رقعة حمراء قد نقطت بالسواد منثورًا عليها. والمشبه مفرد وهو الشقيق ـ والمشبه به مركب من الأرجوان والعنبر. وكقوله: [الخفيف]

لا تعجبوا من خاله في خده كل الشقيق بنقطة سوداء

فإن وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من طلوع نقطة سوداء مستديرة في وسط رقعة حمراء مبسوطة. والمشبه مركب من الخال والخد ـ والمشبه به مفرد وهو الشقيق والعقلي من المركب كما في قوله: [البسيط]

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

فإن وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من الإلتجاء من الضار إلى ما هو أضر منه طمعًا في الانتفاع به ـ ووجه الشبه مركب من هذه المتعددات في الجميع والرمضاء الأرض التي أسخنتها حرارة الشمس الشديدة، والمراد بعمرو هنا هو جساس ابن مُرّة البكري، يقال إنه لما رمى كُليب بن ربيعة التغلبي وقف على رأسه فقال له: يا عمرو أغثني بشربة ماء ـ فأتم قتله.

وأما المتعدد ـ فالحسي منه كما في قوله: [المجتث]

مهفهف وجنتاه كالخمر لونًا وطعما

والعقلي كالنفع والضرر في قوله: [البسيط]

طلق شديد البأس راحته كالبحر فيه النّفع والضّرر

فإن وجه الشبه فيهما متعدد وهو اللون والطعم في الأول ـ والنفع والضرر في الثاني ـ وقد يجيء المتعدد مختلفًا كما في قوله: [الوافر]

هذا أبو الهيجاء في الهيجاء كالسيف في الرونق والمضاء

فإن وجه الشبه فيه هو الرونق وهو حسي ـ والمضاء وهو عقلي. وأبو الهيجاء لقب عبد الله بن حمدان العدوي والهيجاء من أسماء الحرب.

واعلم أن الحسي لا يكون طرفاه إلا حسيين ـ وأما العقلي فلا يلزمه كونهما عقليين ـ لأن الحسي يدرك بالعقل، خلافًا للعقلي فإنه لا يدرك بالحس.

فوجه الشبه سُرعة الفناء ـ انتزعه الشّاعر من أحوال القمر المتعدّدة إذ يبدو هلالًا، فيصير بدرًا، ثم ينقص حتى يُدركه المَحاق (ويسمّى التشبيه تمثيلًا).

٢ ـ وغير تمثيل ـ وهو ما لم يكن وجه الشبه فيه صورةً منتزعةً من متعدّد نحو وجهه كالبدر ـ وكقول الشاعر:

[الكامل]

لا تطلبينَّ بآلة لك رتبة قَلمُ البليغ بغير حظٍّ مِغْزَلُ

فوجه الشبه قِلّة الفائدة وليس منتزعًا من متعدّد.

٣ ـ ومفصلٌ ـ وهو ما ذكر فيه وجه الشبه نحو: طبعُ فريد كالنّسيم رِقّة ـ ويده كالبحر جودًا ـ وكلامه كالدُّر حسنًا ـ وكقول ابن الرّومي:

[مجزوء الرمل]

شبيهُ البدرِ حسنًا وضياء ومنالا وشبيه الغصن لينًا وقَوامًا واعتدالا

٤ ـ ومجمل ـ وهو ما ليس كذلك ـ نحو: النّحو في الكلام كالملح في الطعام وكقوله:

[مجزوء الرمل]

إنّما الدنيا كبيتٍ نسجهُ مِن عنكبوث

٥ ـ وقريبٌ مبتذلٌ ـ وهو ما ينتقل فيه الذّهن من المشبه إلى المشبه به من غير احتياج إلى شدّة نظر وتأمُّل لظهور وجهه بادىءَ بدْءٍ.

وذلك كتشبيه الخد بالورد في الحمرة، أو كتشبيه الوجه بالبدر في الإشراق والاستدارة.

وقد يُتصرّف في القريب بما يخرجه عن ابتذاله إلى الغرابة: كقول الشاعر:

[الكامل]

لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا إلّا بوجه ليس فيه حياء

فإن تشبيه الوجه الحسن بالشمس مبتذل، ولكن حديث الحياء أخرجه إلى الغرابة.

وَقَدْ يخرج من الابتذال إلى الغرابة بالجمع بين عدّة تشبيهات كقول الشاعر:

[السريع]

كأنما يبسُم عن لؤلؤ مُنضّد أو بَرَد أو أقاح

أو باستعمال شرط ـ كقوله:

[البسيط]

عزماته مثل النّجوم ثواقبًا لو لم يكن للثّاقبات أفولُ

٦ ـ وبعيد غريبٌ ـ وهو ما احتاج في الانتقال من المشبه إلى المشبه به إلى فكر ودِقّة

نَظَر لخفاء وجهه في بادىء الرأي ـ كقوله:

[الرجز]

والشّمس كالمِرآة في كفّ الأشَل

فإن الوجه فيه هو الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الإشراق، والحركة السّريعة المتَّصلة مع تموُّج الإشراق. حتى ترى الشعاع كأنه يهمّ بأن ينبسط حتى يفيض من جوانب الدائرة؛ ثم يبدو له فيرجع إلى الانقباض، وحكم وجه الشبه ـ أن يكون في المشبه به أقوى منه في المشبه وإلّا فلا فائدة في التشبيه.

المبحث الخامس

في أدوات التشبيه

أدوات التشبيه ـ هي ألفاظ تدلّ على معنى المُشابهة، كالكاف، وكأنَّ ومثل، وشبِه، وغيرها، ممّا يؤدّي معنى التشبيه «كالمُضاهاة والمحاكاة والمُشابهة، والمُماثلة، ونحو، وكذا ما يُشتقّ من لفظي «ماثل وشابه» أو ما يُرادفهما في المعنى».

وهي قد تحذف نحو: اندفع الجيش اندفاع السَّيل أي كاندفاعه والأصل في ـ الكاف، ومِثل، وشِبه ـ أن يليها المشبه به[1].

والأصل في كأنّ، وشابه، وماثل ـ وما يرَادفها أن يليها المشبه كقوله:

[الطويل]

كأنَّ الثُّريَّا راحَةٌ تشبِرُ الدُجى لتنظرَ طال الليل أم قد تعَرَّضا

وكأنَّ، تفيد التشبيه إذا كان خبرها جامدًا نحو ـ عليٌّ كالأسد.

وتفيد الشّك إذا كان خبرها مشتقًّا نحو ـ كأنك فاهم ـ وكقوله:

[الطويل]

كأنَّكَ مِن كلِّ النفوس مركَّبٌ فأنت إلى كل النفوس حَبيبُ

وقد يُغني عن أداة التشبيه «فعلٌ قُربَ المشابَهة ـ نحو: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾[2] ونحو رأيت الدنيا سرَابًا غرَّارًا.

---

(١) وقد يليها غير المشبه به إذا كان التشبيه مركبًا كقوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾ [الكهف: ٤٥] فإن المراد تشبيه حال الدنيا في حسن نضارتها وبهجة روائها في المبدإ وذهاب حسنها وتلاشي رونقها شيئًا فشيئًا في الغاية بحال النبات الذي يحسن من الماء فتزهو خضرته. ثم ييبس شيئًا فشيئًا ثم يتحطّم فتطيرّه الرياح. فيصير كأن لم يكن شيئًا مذكورًا.

(٢) سورة الأحقاف: الآية ٢٤.

وإن كان الفعل للشك أفاد بُعدَها ـ نحو: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثُورًا ﴿١٩﴾﴾[(١)]
ونحو: حسبت الفيل جبلًا ـ وكقوله:

[الكامل]

قَوْمٌ إِذَا لبسوا الدُّرُوع حسبتها سُحبًا مزرَّدةً على أقمار

(وينقسم التشبيه) باعتبار أداته إلى:

(أ) التشبيه المؤكد ـ وهو ما حذفت أداته كقول الشاعر:

[الخفيف]

أنت نجم في رفعة وضياءٍ تجتليكَ العيونُ شرقًا وغربا

(ب) التشبيه المرسل ـ[(٢)] وهو ما ذكرت فيه الأداة كقول الشاعر:

[مجزوء الرمل]

إنما الدنيا كبيت نسجه من عنكبوت

ومنَ المؤكد ما أضيف فيه المشبه به إلى المشبه كقول الشاعر:

[الكامل]

وَالريح تَعْبَثُ بالغصون وقد جرَى ذَهبُ الأصيلِ[(٣)] على لُجينِ الماء

أي أصيلٌ كالذَّهب على ماء كاللُّجين.

(ج) التشبيه البليغ ـ وهو ما حذفت فيه أداة التشبيه ووجه الشّبه[(٤)] كما في قوله:

[الكامل]

فاقضوا مآربكم عِجالًا إنما أعماركم سَفرٌ منَ الأسفار

المبحث السادس
في فوائد التشبيه

فوائد التشبيه تعود «في أكثر المواضع» إلى المشبه ـ وهي إمّا:

١ ـ بيان حاله ـ وذلك حينما يكون المشبه غير معروف الصفة قبل التشبيه فيفيده التشبيه الوصف ـ كقول الشاعر:

---

(١) سورة الإنسان: الآية ١٩.

(٢) وسمي مرسلًا لإرساله عن التأكيد.

(٣) الأصيل الوقت بعد العصر إلى المغرب ـ واللُّجين الفضة.

(٤) ومن التشبيه البليغ المصدر المضاف المبين للنوع نحو، راغ روغان الثعلب، ومنه أيضًا إضافة المشبه به للمشبه نحو لبس فلان ثوب العافية ـ كما ذكرناه.

[الوافر]

إذا قامت لحاجتها تَثَنَّتْ ... كأنّ عظامها من خيزران

(شبه عظامها بالخيزران بيانًا لما فيها من اللّين).

٢ ـ أو بيان إمكان حاله ـ وذلك حين يُسند إليه أمرٌ مُستغرب لا تزول غرابته إلاّ بذكر شبيه له ـ كقوله:

[الكامل]

ويلاهُ إن نظرتْ وإن هي أعرضتْ ... وقعُ السِّهام ونَزعهنّ أليمُ

(شبه نظرها بوقع السهام، وإعراضَها بنزعها: بيانًا لإمكان إيلامها بهما جميعًا).

٣ ـ أو بيان مقدار حاله قوة وضعفًا ـ وذلك إذا كان المشبّه معروف الصِّفة قبل التّشبيه معرفة إجمالية، وكان التشبيه يُبيِّنِ مقدار هذه الصفة ـ كقوله:

[البسيط]

كأنَّ مِشيتها من بيت جارتها ... مرُّ السَّحاب لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ

وكتشبيه الماء بالثلج في شدة البرودة ـ وكقوله:

[الكامل]

فيها اثنتان وأربعون حلُوبَةً ... سُودًا كخافية الغُراب الأَسحَم

(شبّه النِّياق السُّود بخافية الغراب بيانًا لمقدار سوادها).

٤ ـ أو تقرير حاله في نفس السامع بإبرازهما فيما هي فيه أظهر. كما إذا كان ما أُسند إلى المشبه يحتاج إلى التثبيت والإيضاح بالمثال ـ كقوله:

[الكامل]

إن القلوبَ إذَا تنافر وُدُّها ... مثل الزجاجة كسرها لا يُجبرُ

(شبّه تنافر القلوب بكسر الزجاجة تثبيتًا لتعذُّر عودة القلوب إلى ما كانت عليه من الآنس والمودّة).

٥ ـ أو بيان إمكان وجوده (وإنه ممكن الحصول) كقوله:

[الوافر]

فإن تَفُقِ الأَنام وأنت منهم ... فإنّ المسك بعض دم الغزال[١]

---

(١) أي إنه لا استغراب في فوقانك للأنام مع أنك واحد منهم ـ لأن لك نظيرًا وهو المسك فإنه بعض دم الغزال وقد فاق على سائر الدماء ـ ففيه تشبيه حال الممدوح بحال المسك تشبيهًا ضمنيًا ـ والتشبيه الضمني هو تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة بل يلمحان في التركيب لإفادة أن الحكم الذي أسند إلى المشبه ممكن ـ نحو المؤمن مرآة المؤمن.

٦ ـ أو مدحه وتحسينه ـ كقول الشاعر:

[الطويل]

كأنك شمسٌ والملوك كواكبٌ إذا طلعتْ لم يَبدُ منهنَّ كوكبُ

٧ ـ أو تَشويهه وتقبيحه ـ كقول الآخر:

[الكامل]

وإذا أشارَ مُحدِّثًا فكأنه قردٌ يقهقهُ أو عجوزٌ تلطم

٨ ـ أو استطرافه «أي عدّه طَريفًا حديثًا» إمّا لإبرازه في صورة الممتنع عادة كما في تشبيه فحم فيه جمر متّقد؛ ببحر من المسك موجه بالذهب.

وإمّا لندور حضور المشبه به في النفس عند حضور المُشبه، كقوله:

[الكامل]

أنظر إليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر[١]

تشبيه على غير طرقه الأصلية

١ ـ قد يورد التّشبيه ضِمنًا من غير أن يُصرَّح به ويُجعل في صورة برهان على الحكم الذي أسند إلى المشّبه ـ كقول المتنبي:

[الخفيف]

مَن يَهُنْ يسهل الهوان عليه ما لجُرح بميِّت إيلامُ

(أي إن الذي اعتاد الهوان يسهل عليه تحمله ولا يتألم له. وليس هذا الإدعاء باطلًا. لأن الميت إذا جُرح لا يتألم).

وفي ذلك تلميح بالتشبيه في غير صراحة وليس على صورة من صور التشبيه المعروفة.

٢ ـ قد يُعكس التشبيه، فيُجعل المشبه مشبهًا به وبالعكس[٢] فتعود فائدته إلى المشبه

---

(١) الحمولة ما يحمل فيه ويوضع ـ والمقصد من التشبيه وجود شيء أسود داخل أبيض.

(٢) التشبيه المقلوب ويسمى المنعكس هو ما رجع فيه وجه الشبه إلى المشبه به وذلك حين يراد تشبيه الزائد بالناقص ويلحق الأصل بالفرع للمبالغة، وهذا النوع جار على خلاف العادة في التشبيه، ووارد على سبيل الندور.

وإنما يحسن في عكس المعنى المتعارف كقول البحتري: [البسيط]

في طلعة البدر شيء من محاسنها وللقضيب نصيب من تَثَنِّيها

والمتعارف تشبيه الوجوه الحسنة بالبدور. والقامات بالقضب في الاستقامة والتثني لكنه عكس ذلك مبالغة ـ هذا إذا أريد إلحاق كامل بناقص في وجه الشبه. فإن تساويا حسن العدول عن التشبيه إلى المشابهة تباعدًا من ترجيح أحد المتساويين على الآخر.

به لادِّعاء أن المشبه أتمّ وأظهر من المشبه به في وجه الشبه.

ويسمى ذلك بالتشبيه المقلوب[١] أو المعكوس ـ نحو: كأن ضوء النَّهار جبينه ـ ونحو: كانّ نشر الرّوضِ حُسنُ سيرته ـ ونحو: كأنّ الماء في الصفاء طباعه ـ وكقوله محمد بن وُهَيب الحِميَرِي:

[أحذ الكامل]

وبَـدا الـصَّـبـاحُ كـأنَّ غُـرَّتـه ... وَجـهُ الـخـلـيـفـة حـيـن يُـمـتَـدحُ

(شبه غرَّة الصَّباح بوجه الخليفة إيهامًا أنه أتمّ منها في وجه الشبه وهذا التشبيه مظهر من مظاهر الافتنان والإبداع) وكقوله تعالى حكاية عن الكفار ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[٢] في مقام أن الرِّبا مثل البيع عكسوا ذلك لإيهام أن الرِّبا عندهم أحلُّ من البيع، لأن الغرض الرِّبح وهو أثبَتُ وجودًا في الرِّبا منه في البيع، فيكون أحق بالْحِلِّ عندهم.

المبحث السابع

في تقسيم التشبيه باعتبار الغرض إلى مقبول وإلى مردود

ينقسم التشبيه باعتبار الغرض إلى حسن مقبول، وإلى قبيح مردود.

١ ـ فالحسن المقبول ـ هو ما وفى بالأغراض السابقة، بأن يكون المشبه به أعرفَ من المشبه في وجه الشبه إذا كان الغرض بيان حال المشبه أو بيان المقدار. أو أن يكون أتم شيء في وجه الشبه إذا قصد إلحاق الناقص بالكامل. أو أن يكون في بيان الإمكان مسلّم الحكم ومعروفًا عند المخاطب إذا كان الغرض بيان إمكان الوجود، وهذا هو الأكثر في التشبيهات إذ هي جارية على الرَّشاقة سارية على الدِّقة والمبالغة.

٢ ـ والقبيح المردود ـ هو ما لم يفِ بالغرض المطلوب منه لعدم وجود وجه بين المشبه والمشبه به: أو مع وجوده لكنه بعيد.

أسئلة يطلب أجوبتها

ما هو علم البيان واصطلاحًا. ما هو التشبيه؟. ـ ما أركان التشبيه؟. طرفًا التشبيه

---

(١) يقرب من هذا النوع ما ذكره الحلبي في كتاب حسن التوسل وسماه «تشبيه التفضيل» وهو أن يشبه شيء بشيء لفظًا أو تقديرًا. ثم يعدل عن التشبيه لادعاء أن المشبه أفضل من المشبه به ـ كقوله: [الوافر]

حـسـبـت جـمـالـهـا بـدرًا مـنـيـرًا ... وأيـن الـبـدر مـن ذاك الـجـمـال

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٧٥.

حِسّيان أم عقليان؟. ما المراد بالحسّي؟. ما هو التشبيه الخيالي؟ ما المراد بالعقلي؟ - ما هو التشبيه الوهمي؟ - ما هو وجه الشبه؟ - ما هي أدوات التشبيه؟ - الأصل في أدوات التشبيه أن يليها المشبه أو المشبه به؟ - متى تفيد كأن التشبيه؟ ما هو التشبيه البليغ؟. ما هو التشبيه الضّمني؟ ما هو التشبيه المرسل. كما قسمًا التشبيه باعتبار طرفيه؟ كم قسمًا التشبيه باعتبار تعدد طرفيه؟ ما هو التشبيه الملفوف؟ ما هو التشبيه المفروق؟ ما هو تشبيه التسوية؟ ما هو تشبيه الجمع؟ كم قسمًا التشبيه باعتبار وجه

تنبيهات

الأول: بعض أساليب التشبيه أقوى من بعض في المبالغة ووضوح الدلالة ولها مراتب ثلاثة:

أ - أعلاها وأبلغها ما حذف فيها الوجه والأداة نحو علي أسد - وذلك أنك ادعيت الاتحاد بينهما بحذف الأداة - والتشابه في كل شيء بحذف الوجه.

ولذا سمي هذا تشبيهًا بليغًا[1].

ب - المتوسطة ما تحذف فيها الأداة وحدها، كما تقول (على أسد شجاعة) أو يحذف وجه الشبه - فتقول علي كالأسد. وبيان ذلك أنك بذكرك الوجه حصرت التشابه فلم تدع للخيال مجالًا في الظن بأن التشابه في كثير من الصفات - كما أنك بذكر الأداة نصصت على وجود التفاوت بين المشبه والمشبه به ولم تترك بابًا للمبالغة.

ج - أقلها ما ذكر فيها الوجه والأداة وحينئذٍ فقدت المزيتين السابقتين.

الثاني: قد يكون الغرض من التشبيه حسنًا جميلاً، وذلك هو النمط الذي تسمو إليه نفوس البلغاء وقد أتوا فيه بكل حسن بديع كقول ابن نباتة في وصف فرس أغرّ محجّل: [الكامل]

وكأنّما لطم الصباح جبينه ... فاقتصّ منه فخاض في أحشائه

وقد لا يوفّق المتكلم إلى وجه الشبه، أو يصل إليه مع بعد - وما أخلق مثل هذا بالاستكراه وأحقه بالذم لما فيه من القبح والشناعة - بحيث ينفر منه الطبع السليم.

الثالث: عُلمَ مما سبق أن:

١ - التشبيه المرسل - ما ذكرت فيه الأداة.

٢ - التشبيه المؤكد - ما حذفت منه الأداة.

٣ - التشبيه المجمل - ما حذف منه وجه الشبه.

٤ - التشبيه المفصل - ما ذكر فيه وجه الشبه.

٥ - التشبيه البليغ - ما حذفت منه الأداة ووجه الشبه.

---

(١) البليغ من أنواع التشبيه هو البعيد الغريب. فكلما كان وجه الشبه قليل الظهور يحتاج في إدراكه إلى إعمال الفكر كان ذلك أفعل في النفس وأدعى إلى تأثرها واهتزازها. وتتفاوت قوة المبالغة الحاصلة من التشبيه باختلاف الصور التي يوضع فيها. فأضعف تلك الصور في المبالغة ما ذكرت فيه أركان التشبيه جميعها. وأقواها فيها ما حذف فيه وجه الشبه وأداته مع ذكر المشبه نحو - علي كالأسد. ويتوسط بين هذين الطرفين ما حذفت فيه الأداة وحدها. أو وجه الشبه وحده.

الشبه؟ ما هو تشبيه التمثيل؟. ما هو غير التمثيل؟ ما هو التشبيه المفصل؟ ما هو التشبيه المجمل؟ كم قسمًا التشبيه باعتبار الغرض منه.

تطبيق عام على أنواع التشبيه

اشتريت ثوبًا أحمر كالودر ـ في هذه الجملة تشبيه مرسل مفصل ـ المشبه ثوبًا. والمشبه به الورد. وهما حسيان مفردان. والأداة الكاف. ووجه الشبه الحمرة في كل ـ والغرض منه بيان حال المشبه:

[البسيط]

ما الدهر إلا الربيع المستنير إذا   أتى الربيع أتاك النّور والنُّور
فالأرض ياقوتة والجو لؤلؤة   والنبت فيروزج والماء بلور

«الأرض ياقوتة» تشبيه بليغ مجمل المشبه الأرض. والمشبة به ياقوتة ـ وهما حسيان مفردان ووجه الشبه محذوف وهو الخضرة في كل. والأداة محذوفة.

والغرض منه تحسينه «والجو لؤلؤة، والنبت فيروزج والماء بلور» كذلك وفي البيت كله تشبيه مفروق ـ لأنه أتى بمشبه ومشبه به وآخر وآخر:

[الكامل]

العمر والإنسان والدنيا همو   كالظل في الإقبال والإدبار

فيه تشبيه تسوية مرسل مفصل المشبه العمر والإنسان والدنيا، والمشبه به الظل والمشبه بعضه حسي وبعضه عقلي. والمشبه به حسي. والكاف الأداة. ووجه الشبه

---

٦ ـ التشبيه الضمني ـ تشبيه لا يُوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التّشبيه المعروفة، بل يلمحان في التركيب.

وهذا النوع يؤتى به ليفيد أن الحكم الذي أسند إلى المشبه ممكن(١).

---

(١) كقوله: [الكامل]

لا تُنكري عَطل الكريم من الغنى   فالسيل حرب للمكان العالي

أي لا تنكري خلو الرجل الكريم من الغنى. فإن ذلك ليس عجبًا لأن قمم الجبال وهي أعلى الأماكن لا يستقر فيها ماء السيل «فهاهنا يلمح الذكي تشبيهًا» ولكنه لم يضع ذلك صريحًا بل أتى بجملة مستقلة وضمنها هذا المعنى في صورة برهان فيكون هذا التشبيه على غير طرقه الأصلية بحيث يورد التشبيه ضمنًا من غير أن يصرح به ويجعل في صورة برهان على الحكم الذي أسند إلى المشبه، كما سبق في شرحه.

وقد يراد إيهام أن المشبه والمشبه به متساويان في وجه الشبه فيترك التشبيه دعاء بالتّساوي دون الترجيح.

الإقبال والإدبار. والغرض من تقرير حاله في نفس السامع:

[البسيط]

كــم نــعــمــة مــرت بــنــا وكــأنــهــا فــرس يــهــرول أو نــســيــم ســاري

فيه تشبيه جمع مرسل مجمل. المشبه نعمة. والمشبه به فرس يهرول. أو نسيم ساري، وهما حسيان. وكأن الأداة. ووجه الشبه السرعة في كل. والغرض منه بيان مقدار حاله:

[المجتث]

لــيــل وبــدر وغــصــن شــعــر ووجــه وقــد

فيه تشبيه بليغ مجمل ملفوف. المشبه شعر وهو حسي. والمشبه به ليل وهو عقلي والأداة محذوفة، ووجه الشبه السواد في كل ـ والغرض منه بيان مقدار حاله.

وفي الثاني ـ المشبه وجه. والمشبه به بدر. وهما حسيان. ووجه الشبه الحسن في كل والأداة محذوفة ـ والغرض تحسينه. وفي الثالث المشبه قدّ. والمشبه به غصن. وهما حسيان. ووجه الشبه الاعتدال في كل، والأداة محذوفة، والغرض بيان مقداره، هذا وإن شئت فقل هذا تشبيه مقلوب بجعل المشبه به مشبهًا، والمشبه مشبهًا به لغرض المبالغة بأن تجعل الليل مشبهًا والشَّعر مشبهًا به:

[الطويل]

وقد لاح في الصبح الثريا كما ترى كــعــنــقــود مــلّاحــيــة حــيــن نــورا

فيه تشبيه تمثيل مرسل مجمل، المشبه هيئة الثريا الحاصلة من اجتماع أجرام مشرقة مستديرة منيرة ـ والمشبه به هيئة عنقود العنب المنور، والجامع الهيئة الحاصلة من اجتماع أجرام منيرة مستديرة في كل ـ والأداة الكاف، والغرض منه بيان حاله.

تمرين

بين أنواع التشبيه فيما يأتي:

[الكامل]

الــورد فــي أعــلاَ الــغــصــون كــأنــه مَــلِــكٌ تَــحُــفُّ بــه سَــرَاة جــنــوده

[الوافر]

إذَا ارتــجــل الــخــطــابَ بــدَا خــلــيــجٌ بــفِــيــه يــمــدّه بــحــرُ الــكــلام
كــلام بــل مــدام بــل نــظــام مــن الــيــاقــوت بــل حَــبُّ الــغــمــام

[الكامل]

يــا صــاحــبــيَّ تــيــقــظَّــا مــن رقــدة نُزري على عقل اللبيب الأكيس
هــذي الــمــجــرَّة والــنُّــجــوم كــأنــهــا نــهــر تــدفّــق فــي حــديــقــة نــرجــس

[مجزوء الرمل]

وكــأنَّ الــصُّـبــح لــمـــا لاح مــن تــحــت الــثُّــرَيَّــا
مــلـــك أقــبــل فــي الــتَّــا ج يــفـــدى ويــحـــيـــا

[الخفيف]

إنما النفس كالزُّجاجة والعلـ ـم سَراج وحكمة الله زيت
فإذا أشرقت فإنك حيٌّ وإذا أظلمت فإنك ميت

[الطويل]

وغير تقيٍّ يأمر النَّاس بالتُّقى طبيبٌ يداوي النَّاس وهو مريض

[الطويل]

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشّفت له من عَدُوّ في ثياب صدِيق

[الخفيف]

جمرة الخدّ أحرقت عنبر الخا لِ فمِن ذلك العذارُ دخانُ

[الكامل]

كالبدر من حيث التفتّ رأيته يهدي إلى عينيك نورًا كافيا

[الطويل]

وأشرقَ عن بِشر هو النّور في الضحا وصافى بأخلاق هِيَ الطّلُّ في الصّبح

بلاغة التشبيه

وبعض ما أُثِرَ منه عن العرب والْمُحْدَثِينَ تَنْشأُ بلاغة التشبيه من أنه ينتقل بك من الشيء نفسه إلى شيء طريف يُشبهه، أو صورةٍ بارعة تمثلّه، وكلّما كان هذا الانتقال بعيدًا قليل الخطور بالبال، أو ممتزجًا بقليل أو كثير من الخيال، كان التشبيه أروعَ للنفس وأدعى إلى إعجابها واهتزازها.

فإذا قلتَ فلانٌ يشبه فلانًا في الطول، أو أنَّ الأرض تُشبه الكُرة في الشكل لم يكن في هذه التشبيهات أثر للبلاغة، لظهور المشابهة وعدم احتياج العثور عليها إلى براعة وجُهْد أدبيّ، ولخلوها من الخيال.

وهذا الضرب من التشبيه يقصد به البيان والإيضاح وتقريب الشيء إلى الأفهام، وأكثرُ ما يُستعمل في العلوم والفنون.

ولكنك تأخذك رَوْعة التشبيه حينما تسمع قول المعري يَصفُ نجمًا:

[الخفيف]

يُسْرِعُ اللمْحَ في احْمرَارٍ كما تُسـ ـرِعُ في اللَّمحِ مُقْلَةَ الْغَضْبَانِ

فإنَّ تشبيه لمحاتِ النجم وتألُقِه مع احمرار ضوئه بسرعة لمحة الغضبان من التشبيهات النادرة التي لا تنقاد إلَّا لأديب، ومن ذلك قول الشاعر:

[الخفيف]

وكَـأن الـنُّـجُـومَ بَـيْـنَ دُجَـاهَـا سُـنَـنٌ لاَحَ بَـيْـنَـهُـنَّ ابْـتِـدَاعُ

فإِنَّ جمال هذا التشبيه جاء من شعورك ببراعة الشاعر وحذقه في عقد المشابهة بين حالتين ـ ما كان يخطر بالبال تشابههما، وهما حالة النجوم في رُقعَة الليل، بحال السنن الدِّينية الصحيحة متفرقة بين البدع الباطلة.

ولهذا التشبيه رَوْعَة أخرى جاءت من أنَّ الشاعر تخيّل أن السنن مضيئة لمَّاعة، وأنَّ البدع مظلمة قاتمة.

ومن أبدع التشبيهات قول المتنبي:

[الطويل]

بُـلِـيـتُ بِـلَـى الاطْـلاَلِ إنْ لَـمْ أَقِـفْ وُقُوف شَحِيح ضَاع في التُّرب خَاتَمُه

يدعو على نفسه بالبِلى والفَنَا، إذا هو لم يقف بالأطلال، ليذكر عهد من كانوا بها، ثم أراد أن يصوّر لك هيئة وقوفه فقال كما يقف شَحِيح فَقَد خاتَمه في التراب، من كان يُوَفَّق إلى تصوير حال الذاهل المتحيِّر المحزون، المطرق برأسه، المنتقل من مكان إلى مكان في اضطراب ودهشة بحال شحيح فقد في التراب خاتمًا ثمينًا.

هذه بلاغة التشبيه من حيث مبلغُ طرافته وبُعد مرماه ومقدار ما فيه من خيال، أما بلاغته من حيث الصورةُ الكلامية التي يوضع فيها فمتفاوتة أيضًا ـ فأقلّ التشبيهات مرتبة في البلاغة ما ذكرت أركانه جميعها لأن بلاغة التشبيه مبنية على ادعاء أن المشبّه عينُ المشبه به، ووجود الأداة ووجه الشبه معًا يحولان دون هذا الادعاء. فإذا حذِفت الأداة وحدَها، أو وجه الشبه وحدَه ارتفعت درجة التَّشبيه في البلاغة قليلًا لأن حذف أحد هذين يقوّي ادعاء اتحاد المشبه والمشبه به بعض التقوية، أمّا أبلغ أنواع التشبيه «فالتشبيه البليغ» لأنه مبنيٌّ على ادعاء أن المشبه والمشبه به شيء واحد.

هذا ـ وقد جرَى العرب والْمُحدَثُون على تشبيه الجواد بالبحر والمطر والشجاع بالأسد، والوجه الحَسَن بالشمس والقمر، والشَّهْم الماضي في الأمور بالسيف، والعالي المنزلة بالنجم، والحليم الرزين بالجبل، والأَمانِيّ الكاذبة بالأحلام، والوجه الصَّبيح بالدينار، والشَّعر الفاحم بالليل والماء الصافي باللّجَيْنِ، والليل بموج البحر، والجيش بالبحر الزاخر، والْخَيْلِ بالرِّيح والبَرْق، والنُّجُوم بالدُّرر والأزهار، والأسنان بالبَرَد واللؤلؤ، والسُّفُنِ بالجبال، والجداولِ بالحيّات الملتوية، والشّيْبِ بالنهار، ولَمعِ السيوف وغرَّة الفرس بالهلال، ويشّبهون الجبانَ بالنَّعامة والذُّبابة، واللّئيمَ بالثّعلب والطائِشَ بالفَرَاش، والذليل بالوَتِدِ، والقاسِيَ بالحديد والصخر، والبليدَ بِالحمار، والبَخِيلَ بالأرض الْمُجْدَبَةِ.

وقد اشتهر رجال من العرب بِخِلاَل مَحْمُودة، فصاروا فيها أعلامًا فجرى التّشبيه بهم؛ فيشبّه الوفيُّ بالسمَوْءَل[١]؛ والكريمُ بحاتم، والعادلُ بعُمَر[٢]، والحليمُ بالأَحْنَف[٣]؛ والفَصيحُ بسَحْبَان؛ والخطيبُ بقسّ[٤]، والشجاع بعَمْرو بن مَعْدِ يكَرِبَ، والحكيمُ بِلُقْمَان[٥]؛ والذكيُّ بإياس، واشتهر آخرونُ بصفات ذميمة، فجرى التشبيه بهم أيضًا؛ فيشبهُ الْعِيُّ بباقِل[٦]، والأحمق بِهَبَنّقَةَ[٧]، والنادمُ بالكُسَعِيّ[٨]، والبخيل بمادر[٩]، والهجاءُ بالْحُطَيْئَةِ[١٠]، والقاسي بالحجاج[١١].

---

(١) هو السموءل بن عادياء اليهودي يضرب به المثل في الوفاء، وهو من شعراء الجاهلية، توفي سنة ٦٢ ق. هـ.

(٢) هو أمير المؤمنين وخليفة المسلمين وأحد السابقين إلى الإسلام الأولين، اشتهر بعدله وتواضعه وزهده، وقد نصر الله به الإسلام وأعزه.

(٣) هو الأحنف بن قيس من سادات التابعين، كان شهمًا حليمًا عزيزًا في قومة إذا غَضبَ غضب له مائة ألف سيف لا يسألون لماذا غضب، توفي سنة ٦٧ هـ.

(٤) هو قس بن ساعدة الأيادي خطيب العرب قاطبة، ويضرب به المثل في البلاغة والحكمة.

(٥) حكيم مشهور آتاه الله الحكمة أي الإصابة في القول والعمل.

(٦) رجل اشتهر بالعِيّ، اشترى غزالًا مرة بأحد عشر درهمًا فسئل عن ثمنه فمدّ أصابع كفيه يريد عشرة وأخرج لسانه ليكملها أحد عشر ففر الغزال، فضرب به المثل في العيّ.

(٧) هو لقب أبي الودعات يزيد بن ثروان القيسي، يضرب به المثل في الحمق.

(٨) هو غامد بن الحرث، خرج مرة للصيد فأصاب خمسة حُمر بخمسة أسهم، وكان يظن كل مرة أنه مخطىء فغضب وكسر قوسه، ولما أصبح رأى الحمر مصروعة والأسهم مخضبة بالدم فندم على كسر قوسه، وعضّ على إبهامه فقطعها.

(٩) لقب رجل من بني هلال اسمه مخارق، وكان مشهورًا بالبخل واللؤم.

(١٠) شاعر مُخضرَم كان هجّاء مُرًّا، ولم يكد يسلم من لسانه أحد، هجا أمه وأباه نفسه وله ديوان شعر، وتوفي سنة ٣٠ هـ.

(١١) هو الحجاج بن يوسف الثقفي، كان عاملًا على العراق وخراسان لعبد الملك ابن مروان ثم للوليد من بعده، وهو أحد جبابرة العرب، وله في القتل والعقوبات غرائب لم يسمع بمثلها، توفي بمدينة واسط سنة ٩٧ هـ عن البلاغة الواضحة.

الباب الثاني

في المجاز(١)

المجاز مشتق من جاز الشيء يجوزه إذا تعدّاه ـ سَمّوا به اللّفظ الذي يُعدَلُ به عمّا يوجبه أصلُ الوضع ـ أنهم جازوا به موضعه الأصلي.

والمجاز من أحسن الوسائل البيانية التي تهدي إليها الطبيعة لإيضاح المعنى، إذ به يخرج المعنى متصفًا بصفة حسيّة تكاد تعرضه على عيان السامع ـ لهذا شغفت العرب باستعمال المجاز لميلها إلى الاتساع في الكلام، وإلى الدلالة على كثرة معاني الألفاظ. ولما فيها من الدقة في التعبير فيحصل للنفس به سرور وأريحيّة، ولأمر مّا كثر في كلامهم حتى أتوا فيه بكل معنى رائق، وزينوا به خطبهم وأشعارهم ـ وفي هذا الباب مباحث.

المبحث الأول
في المجاز وأنواعه

المجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي والعلاقة(٢) بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي قد تكون المُشابهة وقد تكون غيرها. فإذا كانت المشابهة فهو استعارة، وإلّا فهو مجاز مرسل

(١) أقول إن المخلوقات كلها تفتقر إلى أسماء يستدل بها عليها ليعرف كل منها باسمه من أجل التفاهم بين الناس. وهذا يقع ضرورة لا بد منها. فالاسم الموضوع إزاء المسمى هو حقيقة له ـ فإذا نقل إلى غيره صار مجازًا.

وأنواع المجاز كثيرة أهمها المجاز العقلي وقد تقدم الكلام عليه في صحيفة ٣٦ والمجاز المرسل وهو المقصود بالذّات في هذا الباب.

(٢) العلاقة هي المناسبة بين المعنى المنقول عنه والمنقول إليه سميت بذلك لأن بها يتعلق ويرتبط المعنى الثاني بالأول فينتقل الذهن من الأول للثاني ـ وباشتراط ملاحظة العلاقة يخرج الغلط كقولك خذ هذا الكتاب مشيرًا إلى فرس مثلًا ـ إذ لا علاقة هنا ملحوظة.

والقرينة[١] قد تكون لفظية. وقد تكون حالية ـ كما سيأتي.

وينقسم إلى أربعة أقسام ـ مجاز مفرد مُرسل[٢]، ومجاز مفرد بالاستعارة ومجاز مركب مُرسل ـ ومجاز مركّب بالاستعارة.

المبحث الثاني
في المجاز المفرد المُرسل

المجاز المرسل هو الكلمة المستعملة قصدًا في غير معناها الأصلي لملاحظة علاقة غير المشابهة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي. وله علاقات كثيرة أَهمُّها.

١ ـ السَّببية ـ هي كون الشيء المنقول عنه سببًا ومُؤثرًا في غيره نحو رَعَت الماشية الغيث: أي النَّبات، لأن الغيث أي المطر سَببٌ فيه[٣] وقرينته لفظية وهي رعت لأن العلاقة تُعتبر من جهة المعنى المنقول عنه.

٢ ـ والمسببية ـ هي أن يكون المنقول عنه مُسبَّبًا وأثرًا لشيء آخر نحو ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم

---

(١) القرينة هي الأمر الذي يجعله المتكلم دليلًا على أنه أراد باللفظ غير ما وضع له ـ وبتقييد القرينة بمانعة الخ خرجت الكناية فإن قرينتها لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي ـ والقرينة إما لفظية أو حالية.
فاللفظية هي التي يلفظ بها في التركيب ـ والحالية هي التي تفهم من حال المتكلم أو من الواقع.
وأما القرينة التي تعين المراد من المجاز فليست شرطًا.

(٢) سمي مرسلًا لإطلاقه عن التقييد بعلاقة واحدة مخصوصة، بل له علاقات كثيرة، واسم العلاقة يستفاد من وصف الكلمة التي تذكر في الجملة ـ وليس المقصد من العلاقة إلى بيان الارتباط والمناسبة، فالفطن يرى ما يناسب كل مقام. وقيل سمّي مرسلًا لأنه أرسل عن دعوى الاتحاد المعتبرة في الاستعارة.

(٣) كقول الشاعر: [المنسرح]

له أيادٍ عليّ سابغة ... أعدّ منها ولا أعدّدها

[الكامل]

قامت تظلّلني من الشمس ... نفس أحبّ إليّ من نفسي

قامت تظلّلني ومن عجب ... شمس تظلّلني من الشمس

فائدة: القصد من العلاقة إنما هو تحقق الارتباط ـ والذكي يعرف مقال كل مقام ثم إن العلاقة: قيل تعتبر من جهة المعنى المنقول عنه الذي هو الحقيقي ـ وقيل تعتبر من جهة المعنى المنقول إليه لأنه المراد ـ وقيل تعتبر من جهتهما رعاية لحقيهما.

واعلم أن اللفظ الواحد قد يكون صالحًا بالنسبة إلى معنى واحد لأن يكون مجازًا مرسلًا، واستعارة باعتبارين.

﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ﴾[١] أي مطرًا يُسبِّبُ الرزّق.

٣ ـ والكُلية ـ هي كون الشيء مُتضمنًا للمقصود ولغيره.

نحو ﴿يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم﴾[٢] أي أناملهم، والقرينة حالية، وهي استحالة إدخال الأصبع في الأذن.

ونحو: شربت ماء النيل ـ والمراد بعضه، بقرينة شربت.

٤ ـ والجزئية ـ هي كون المذكور ضمن شيء آخر ـ نحو: نشر الحاكم عيونه في المدينة، أي الجواسيس، فالعيون مجازٌ مرسل، علاقته الجزئية لأن كل عين جزءٌ من جاسوسها ـ والقرينة الاستمالة. وكقوله تعالى: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾[٣].

٥ ـ واللازميَّة ـ هي كون الشيء يجب وجوده عند وجود آخر نحو: طلع الضَّوء أي الشمس. فالضوء مجاز مرسل. علاقته اللازمية لأنه يوجد عند وجود الشمس والمعتبر هنا اللزوم الخاص وهو عدم الانفكاك.

٦ ـ والملزومية ـ هي كون الشيء يجب عند وجوده وجود شيء آخر نحو ـ ملأت الشَّمس المكان. أي الضّوء، فالشمس مجاز مرسل علاقته الملزومية، لأنها متى وُجدت وُجد الضوء، والقرينة «ملأت».

٧ ـ والآلية ـ هي كون الشيء واسطة لإيصال أثر شيء إلى آخر ـ نحو ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤﴾[٤] أي ذكرًا حسنًا ـ فلسان بمعنى ذكر حسن. مجاز مرسل، علاقته الآلية لأن اللّسان آلة في الذكر الحسن.

٨ ـ والإطلاق ـ هو كون الشيء مُجردًا من القيود ـ نحو قوله تعالى: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ﴾[٥] أي عِتۡقُ رَقَبَةٍ مُؤۡمِنَةٍ. فالرقبة مجاز مرسل، علاقته الإطلاق. فإن المراد منها المؤمنة. وإطلاق الرَّقبة على جميع الجسم مجاز مرسل. علاقته الجزئية.

٩ ـ والتّقييد ـ هو كون الشيء مُقَيّدًا بقيد أو أكثر. نحو: ما أغلظ جحفلةَ زَيد. أي شفته. فجحفلة زَيد مجاز مرسل، علاقته التّقييد، لأنها مقيدة بشفة الفرس.

١٠ ـ والعموم ـ هو كون الشيء شاملاً لكثير ـ نحو قوله تعالى: ﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ

(١) سورة غافر: الآية ١٣.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٩.
(٣) سورة النساء: الآية ٩٢، سورة المجادلة: الآية ٣.
(٤) سورة الشعراء: الآية ٨٤.
(٥) سورة النساء: الآية ٩٢، سورة المجادلة: الآية ٣.

﴿ٱلنَّاسَ﴾[١]. أي «النبي» ﷺ. فالناس مجاز مرسل علاقته العموم ـ ومثله قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾[٢] فإن المراد من الناس واحد. وهو «نعيم بن مسعود الأشجعي».

١١ ـ والخصوص ـ هو كون اللفظ خاصًا بشيء واحد كإطلاق اسم الشخص على القبيلة ـ نحو ربيعة ـ وقريش.

١٢ ـ واعتبار ما كان ـ هو النظر إلى الماضي. نحو: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾[٣] أي الّذين كانوا يتامى. ثم بلغوا. فاليتامى مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان ومثل هذا قول من شرب القهوة (خُذ الملئآن).

١٣ ـ واعتبار ما يَكون ـ هو النظر إلى المستقبل. نحو طحنت خبزًا أي حبًا يؤول أمره إلى أن يكون خبزًا ـ فخبزًا مجاز مرسل علاقته اعتبار ما يؤول إليه ـ ومثله ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾[٤] أي عصيرًا يؤول أمره إلى خمر لأنه حال عصره لا يكون خمرًا، فالعلاقة هنا اعتبار ما يؤول إليه.

ونحو: «ولا يلدُوا إلّا فاجرًا كفّارًا» والمولود حين يولد لا يكون فاجرًا ولا كفارًا، ولكنه قد يكون كذلك بعد الطفولة، فأطلق المولود الفاجر وأُرِيد به الرجل الفاجر، والعلاقة اعتبار ما يكون.

١٤ ـ والحاليّة ـ هي كون الشيء حالاً في غيره. نحو ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[٥] المُراد من الرَّحمة الجنة التي تحل فيها الرّحمة. فرحمة مجاز مرسل، علاقته الحالية، ومثله فلان جالس في سرور.

١٥ ـ والمحلّية ـ هي كون الشيء يحُلُّ فيه غيره ـ كقوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧﴾[٦] أي أهل ناديه ـ وكقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم﴾[٧] والقول بالألسنة.

١٦ ـ والبَدلية ـ هي كون الشيء بدلاً عن شيء آخر ـ كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[٨] والمراد الأداء.

١٧ ـ والمُبدلية ـ هي كون الشيء مُبدلاً منه شيء آخر، نحو أكلت دَم زيد، أي دِيَتَهُ. فالدَّم مجاز مرسل. علاقته المبدلية، لأن الدَّم مُبدل عنه الدِّيَةَ.

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٤.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٧٣.
(٣) سورة النساء: الآية ٢.
(٤) سورة يوسف: الآية ٣٦.
(٥) سورة آل عمران: الآية ١٠٧.
(٦) سورة العلق: الآية ١٧.
(٧) سورة المائدة: الآية ٤١.
(٨) سورة النساء: الآية ١٠٣.

١٨ ـ والمُجاوَرة ـ هي كون الشّيء مُجاورًا لشيء آخر، نحو كلّمت الجدار والعامود، أي الجالس بجوارهما، فالجدار والعامود مجازان مرسلان علاقتهما المجاورة.

١٩ ـ والتعلّق الاشتقاقي ـ هو إقامة صيغة مقام أخرى ـ وذلك:

أ ـ كإطلاق المصدر على المفعول في قوله تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾(١) ـ أي مصنوعه.

ب ـ وكإطلاق الفاعل على المصدر في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾﴾(٢) أي تكذيب.

جـ ـ وكإطلاق الفاعل على المفعول في قوله تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾(٣) ـ أي لا معصوم.

د ـ وكإطلاق المفعول على الفاعل في قوله تعالى: ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾(٤) أي ساترًا.

والقرينة على مجازية ما تقدّم هي ذكر ما يمنع إرادة المعنى الأصلي.

نَمُوذَجٌ

[الطويل]

١ ـ أَبَا الْمِسْكِ أَرْجو مِنْكَ نَصْرًا عَلى الْعِدَا ... وَآمُلُ عِزًّا يَخْضِبُ الْبِيضَ بالدّمِ(٥)

وَيَوْمًا يَغِيظ الْحَاسِدِينَ وَحَالَةً ... أُقِيمُ الشَّقَا فِيهَا مُقَامَ التَّنَعُّمِ(٦)

٢ ـ قال الله تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾(٧).

٣ ـ ذهبنا إلى حديقة غنّاء.

٤ ـ بَنى اسماعيلُ كثيرًا من المدارس بمصر

[الطويل]

٥ ـ تَكادُ عَطَايَاهُ يُجَنُّ جُنونُهَا ... إذَا لَمْ يُعَوِّذْهَا بِرُقْيَةِ طَالِبِ(٨)

---

(١) سورة النمل: الآية ٨٨.

(٢) سورة الواقعة: الآية ١.

(٣) سورة هود: الآية ٤٣.

(٤) سورة الإسراء: الآية ٤٥.

(٥) أبو المسك كنية كافور الإخشيدي، والبيض السيوف، يقول أرجو منك أن تنصرني على أعدائي، وأن توليني عزًا أتمكن به منهم، وأخضب سيوفي بدمائهم.

(٦) يقول وأرجو أن أبلغ بك يومًا يغتاظ فيه حسادي لما يرون من إعظامك لقدري وكذلك أرجو أن أبلغ بك حالة تساعدني على الانتقام منهم، فأتنعّم بشقائي في حربهم.

(٧) سورة هود: الآية ٤٣.

(٨) يعوذها يحصنها، والرُّقية العوذة، جمعها رقى.

الإجابة

أ ـ عِزًّا يخْضب البِيض بالدم:

إسناد خَضْب السيوف بالدم إلى ضمير العز غير حقيقي، لأن العز لا يخضب السيوف، ولكنّهُ سبب القوة، وجمع الأبطال الذين يخضبون السيوف بالدم، ففي العبارة مجاز عقلي علاقته السببية.

ب ـ ويومًا يغيظُ الحاسدين:

إسناد غيظ الحاسدين إلى ضمير اليوم غير حقيقي، غير أن اليوم هو الزمان الذي يحصل فيه الغيظ، ففي الكلام مجاز عقلي علاقته الزمانية.

٢ ـ لا عاصم اليوم من أمر الله: المعنى لا معصوم[(١)] اليوم من أمر الله إلا من رحمه الله، فاسم الفاعل أسند إلى المفعول، وهذا مجاز عقلي علاقته المفعولية.

٣ ـ ذهبنا إلى حديقة غَنَّاء:

غنَّاء مشتقة من الغَنّ، والحديقة لا تُغَنّ، وإنما الذي يغَنُّ عصافيرها أو ذُبابها ففي الكلام مجاز عقلي علاقته المكانية.

٤ ـ بنى إسماعيل كثيرًا من المدارس:

إسماعيل أمير مصر ـ لم يبن بنفسه ولكنه أمر، ففي الإسناد مجاز عقلي علاقته السببيّة.

٥ ـ تكاد عطاياه يُجن جنونها: إسناد الفعل إلى المصدر مجاز عقلي علاقته المصدرية.

بلاغة المجاز المرسل والمجاز العقلي

إذا تأملتَ أنواع المجاز المرسلَ والعقليّ رأيتَ أنها في الغالب تؤدّي المعنى المقصودَ بإِيجاز، فإذا قلتَ (هَزَم القائدُ الْجَيْش) أو (قَرَّرَ المجلس كذا) كان ذلك أوجزَ من أن تقول (هزمَ جنود القائد الجيْشَ) أو (قرَّر أهل المجلس كذا) ولا شك أن الإِيجاز ضَرْبٌ من ضروب البلاغة.

وهناك مظهرٌ آخرُ للبلاغة في هذين المجازين، هو المهارة في تَخَيرُّ العلاقة بين

---

(١) يجوز أن تكون «عاصم» مستعملة في حقيقتها، ويكون المعنى لا شيء يعصم الناسَ من قضاء الله إلا من رحمه الله منهم. فإنه تعالى هو الذي يعصمه.

المعنى الأصليّ والمعنى المجازيّ، بحيث يكون المجاز مُصَوِّرًا للمعنى المقصود خيرَ تصوير ـ كما في إطلاق العين على الجاسُوس. والأذن على سريع التأثر بالوشاية. والخُفّ والحافر على الجِمال والخيل في المجاز المرسل وكما في إسناد الشيء إلى سببه أو مكانه أو زمانه في المجاز العقليّ. فإن البلاغة توجبُ أن يُخْتَار السبب القويُّ، والمكان والزمان المختصّان.

وإذا دَقّقت النظر رأيتَ أنَّ أغلب ضروب المجاز المرسل والعقلي لا تخلو من مبالغة بديعة، ذات أثرٍ في جعل المجاز رائعًا خلّابًا، فإن إطلاق الكل على الجزء مبالغة، ومثله إطلاق الجزء وإرادةُ الكل، كما إذا قلت «فلان فَمٌ» تريد أنه شَرِهٌ يَلْتَقِمُ كلَّ شيء، أو «فلان أنْف» عندما تريد أن تَصفُه بعِظَمِ الأنف، فتبالغَ فتجعلَه كلّه أنْفًا؟

ومما يُؤثر عن بعض الأُدباء في وصف رجل أُنافِي[1] قوله: «لَسْتُ أَدْري أَهُوَ فِي أَنْفِهِ أَمْ أَنْفهُ فِيهِ».

المبحث الثالث

في المجاز المفرد بالاستعارة

الاستعارة في اللغة من قولهم، استعار المال إذا طلبه عارية.

وفي اصطلاح البيانيين ـ هي استعمال اللّفظ في غير ما وضع له لعلاقة المُشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي. والاستعارة ليست إلا تشبيهًا مختصرًا؛ لكنها أبلغ منه[2] كقولك ـ رأيت أسدًا في المدرسة. فأصل هذه الاستعارة «رَأيت رجلًا شجاعًا كالأسد في المدرَسة» فحذفتَ المشبه «رجلًا» والأداة الكاف ـ ووجه التشبيه «الشجاعَة» وألحقتَه بقرينة «المدرسَة» لتدلّ على أنك تريد بالأسد شُجاعًا.

---

(١) الأنافيّ عظيم الأنف، ـ عن البلاغة الواضحة.

(٢) فأصل الاستعارة تشبيه حُذِف أحد طرفيه ووجه شبهه وأداته ـ ولكنها أبلغ منه لأن التشبيه مهما تناهى في المبالغة فلا بد فيه من ذكر المشبه والمشبه به وهذا اعتراف بتباينهما. وإن العلاقة ليست إلا التشابه والتداني فلا تصل إلى الاتحاد بخلاف الاستعارة ففيها دعوى الاتحاد والامتزاج، وإن المشبه والمشبه به صارا معنى واحدًا يصدق عليهما لفظ واحد ـ فالاستعارة مجاز علاقته المشابهة.

واعلم أنّ حسن الاستعارة «غير التخييلية» لا يكون إلا برعاية جهات التشبيه وذلك بأن يكون وافيًا بإفادة الغرض منه لأنها مبنية عليه فهي تابعة له حسنًا وقبحًا.

وأركان ١ مستعار منه ـ وهو المشبه به
الاستعارة ٢ ومستعار له ـ وهو المشبه ويقال لهما الطّرفان
ثلاثة ٣ ومستعار ـ وهو اللفظ المنقول

ولا بُد فيها من عدم ذكر وجه الشبه ولا أداة التشبيه، بل ولا بُدّ أيضًا من تناسي التّشبيه الذي من أجله وقعت الاستعارة فقط مع ادّعاء أن المشبه عين المشبه به، أو ادّعاء أنّ المشبه فرد من أفراد المشبه به الكلّي «بأن يكون اسم جنس أو عَلَم جنس» ولا تتأتّى الاستعارة في «العلم الشخصي[١]» لعدم إمكان دخول شيء في الحقيقة الشخصيّة ـ لأنّ نفس تصوّر الجزئي يمنع من تصوّر الشّركة فيه، إلا إذا أفاد العلَم الشخصي وصفًا به يصحّ اعتباره كلّيًا فتجوز استعارته كتضمن «حاتم» للجود «وقُس» للفصاحَة، فيقال: رأيت حاتمًا وقُسًّا بدعوى كليّة حاتم وقس ودخول المشبه في جنس الجواد، والفصيح.

وللاستعارة أجمل وقع في الكتابة لأنها تُجدى الكلام قوة، وتكسوه حسنًا ورونقًا. وفيها تثار الأهواء والإحساسات.

المبحث الرابع
في تقسيم الاستعارة باعتبار ما يذكر من الطرفين

إذا ذكر في الكلام لفظ المشبه به فقط فاستعارة تصريحية أو مصّرحة[٢] نحو:

[البسيط]

فأمطرت لُؤلؤًا من نَرْجِس وسَقت ورداً وعضَّتْ على العُنّاب بالبَرَد

فقد استعار اللّؤلؤ. والنَرْجسَ. وَالوَرد، والعُنَّاب. والبَرَد. للدموع والعيون. والخدود. والأنامل. والأسنان.

وإذا ذكر في الكلام لفظ المشبه فقط. وحذف فيه المشبه به. وأشير إليه بذكر

(١) يعني أن الاستعارة تقتضي إدخال المشبه في جنس المشبه به. ولذلك لا تكون علمًا لأن الجنس يقتضي العموم، والعلم ينافي ذلك بما فيه من التشخص إلا إذا كان العلم يتضمن وصفيّة قد اشتهر بها «كسَحبان» المشهور بالفصاحة فيجوز فيه ذلك لأنه يستفيد الجنسية من الصفة نحو سمعتُ اليوم سَحبان. أي خطيبًا فصيحًا ـ وهلم جرا.

(٢) معنى تصريحية أي مصرح فيها باللفظ الدال على المشبه به المراد به المشبه ومعنى مكنية أي مخفي فيها لفظ المشبه به استغناء بذكر شيء من لوازمه ـ فلم يذكر فيها من أركان التشبيه سوى المشبه.

لازمه المُسَمَّى «تخييلًا» فاستعارة مكْنية[١] أو بالكناية، كقوله:

---

(١) أي وهذا مذهب السلف، وصاحب الكشاف وأما مذهب السكاكي فظاهر كلامه يشعر بأن الاستعارة بالكناية لفظ المشبه ـ أي كلفظ المنية في نحو «أظفار المنية نشبت بفلان» المستعمل في المشبه به بادعاء أنه عينه.

وبيان ذلك أنه بعد تشبيه معنى المنية وهو الموت بمعنى السبع ـ تدّعي أن المشبه عين المشبه به. وحينئذٍ يصير للمشبه به فردان ـ أحدهما حقيقي والآخر دعائي فالمنية مراد بها السبع بادعاء السبعية لها، وإنكار أن تكون شيئًا آخر غير السبع بقرينة إضافة الأظفار التي هي من خواص المشبه به وهو السبع ـ وأنكر السكاكي التبعية بمعنى أنها مرجوحة عنده ـ واختار ردها إلى قرينة المكنية ـ ورد قرينتها إلى نفس المكنية ـ ففي نطقت الحال مثلًا. يقدر القوم أن نطقت استعارة تبعية والحال قرينة لها ـ وهو يقول إن الحال استعارة بالكناية ونطقت قرينتها وفي كلامه نظر من وجهين.

(الأول) إن لفظ المشبه لم يستعمل إلا في معناه الحقيقي فلا يكون استعارة.

(الثاني) أنه قد صرح بأن نطقت مستعارة للأمر الوهمي أي المتوهم إثباته للحال تشبيها بالنطق الحقيقي فيكون استعارة والاستعارة في الفعل لا تكون إلا تبعية فيلزمه القول بالتبعية ـ وأجيب عنه بأجوبة تطلب من المطولات ـ وأما مذهب الخطيب فإنه يقول إن الاستعارة بالكناية التشبيه المضمر أركانه سوى المشبه المدلول عليه بإثبات لازم المشبه به للمشبه. ويلزم على مذهبه أنه لا وجه لتسميتها استعارة ـ لأن الاستعارة هي اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة ـ أو استعمال اللفظ المذكور ـ التشبيه غير ذلك بل هو فعل من أفعال النفس.

(تنبيه) المشبه في مواد الاستعارة بالكناية لا يجب أن يكون مذكورًا بلفظ المشبه به ـ فيجوز ذكره بغير لفظه كأن يشبه شيء كالنحافة واصفرار اللون بأمرين كاللباس والطعم المر البشع ويستعمل لفظ أحد الأمرين فيه، ويثبت له شيء من لوازم الآخر كما في قوله تعالى: ﴿فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ [النحل: ١١٢] فإنه شبه ما غشي الإنسان عند الجوع والخوف من النحافة واصفرار اللون باللباس لاشتماله على اللابس واشتمال أثر الضرر على من به ذلك، فاستعير له اسمه ـ وشبه ما غشي الإنسان عند الجوع «أي ما يدرك من أثر الضرر والألم باعتبار أنه مدرك من حيث الكراهية» بما يدرك من الطعم المر البشع، حتى أوقع عليه الإذاقة ـ فتكون الآية مشتملة على الاستعارة المصرحة نظرًا إلى الأول ـ والمكنية نظرًا إلى الثاني، وتكون الإذاقة تخييلًا بالنسبة للمكنية، وتجريدًا بالنسبة إلى المصرحة لأنها تلائم المشبه وهو النحافة والاصفرار لأنها مستعارة للإصابة ـ وكثرت فيها حتى جرت مجرى الحقيقة ـ ويقال شبه ما غشي الإنسان عند الجوع والخوف من أثر الضرر باللباس. بجامع الاشتمال في كل واستعير اسم المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية.

وطريق إجراء الاستعارة الثانية أن يقال: شبه ما غشي الإنسان عند الجوع والخوف من أثر الضرر بالطعم المر البشع بجامع الكراهة في كل، واستعير لفظ المشبه به للمشبه ثم حذف وأثبت له شيء من لوازمه وهو الإذاقة على سبيل الاستعارة المكنية وإثبات الإذاقة تخييل ـ وطريق إجراء الثالثة أن يقال شبهت الإذاقة المتخيلة بالإذاقة المتحققة واستعيرت المتحققة للمتخيلة على سبيل الاستعارة التخييلية على مذهب السكاكي.

[الكامل]

وَإذَا الـمـنـيّـة أنْـشَـبَـتْ أَظْـفَـارَهَـا ... أَلْـفَـيْتَ كـلَّ تَـمِـيـمَـةٍ لا تَـنْـفَـعُ

فقد شبَّه المنيَّة بالسّبع بجامع الاغتيال في كلٍّ، واستعار السَّبع للمنيّة وحذفه ورمزَ إليه بشيء من لوازمه وهو الأظفار على طريق الاستعارة المكنية الأصليَّة، وقرينتها لفظة «أظفار» ثم أخذ الوهمُ في تصوير المنية بصورة السبع، فاخترع لها مثل صورة الأظفار، ثم أطلق على الصورة التي هي مثل صورة الأظفار لفظ الأظفار.

فتكون لفظة أظفار استعارة تخييلية، لأن المستعار له لفظ أظفار صورة وهمية تشبه صورة الأظفار الحقيقية وقرينتها إضافتها إلى المنية.

ونظرًا إلى أن الاستعارة التخييلية قرينة المكنية فهي لازمة لها لا تفارقها، لأنه لا استعارة بدون قرينة.

وإذًا تكون أنواع الاستعارة ثلاثة ـ تصريحية ومكنية وتخييلية.

المبحث الخامس
في الاستعارة باعتبار الطَّرفين

إن كان المستعار له مُحققًا حِساً «بأن يكون اللفظ قد نُقل إلى أمر معلوم يُمكن أن يُشار إليه إشارة حِسِّية» كقولك رأيت بحرًا يُعطي.

أو كان المستعار له مُحققًا عقلًا «بأن يمكن أن ينصّ عليه ويشار إليه إشارة عقليّة» كقوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾[1] أي الدِّين الحقّ (فالاستعارة تحقيقية).

وإن لم يكن المستعار له محققًا لا حِساً ولا عقلًا «فالاستعارة تخييلِّيةٌ»[2] وذلك

(١) سورة الفاتحة: الآية ٦.

(٢) اعلم أن المذاهب في التخييلية أربعة:

(الأول) مذهب السلف والخطيب وهو أن جميع أفراد قرينة المكنية مستعملة في حقيقتها، والتجوز إنما هو في الإثبات لغير ما هو له المسمى استعارة تخييلية، فهما متلازمان، وهي من المجاز العقلي.

(الثاني) مذهب السكاكي وهو أن قرينة المكنية تارة تكون تخييلية أي مستعارة لأمر وهمي كأظفار المنية. وتارة تكون تحقيقية أي مستعارة لأمر محقق «كابلعي ماءك» وتارة تكون حقيقة «كأنبت الربيع البقل» فلا تلازم بين التخييلية والمكنية بل يوجد كل منهما بدون الآخر ـ وقد استدل السكاكي على انفراد التخييلية عن المكنية بقوله: [الكامل]

لا تـسـقـنـي مـاء الـمـلام فـإنـنـي ... صـبٌ قـد اسـتـعـذبـت مـاء بـكـائـي =

كالأظفار في قولك ـ أنشبت المنيّة أظفارها بفلان. فإنه لما شبّهت المنية بالسَّبع أخذت القوة المفكّرة تتخيل للمنيّة صورة شبيهَةٍ بالأظفار فشُبهّت الصورة المتخيلة بالصورة المحقَّقة، واستُعير لفظ الأظفار من الصورة المحقّقة إلى الصورة المتخيلة على طريق الاستعارة التّخييلية (وسميت تخييلّية لأن إثبات الأظفار للمشبه خُيل اتحاده مع المشبه به) وحينئذٍ التّخييليّة لا تفارق المكنيّة لأنها قرينتُها، ولا استعارة بدون قرينة كما سبق هذا إذا كان لازم المشبه به في الكنية واحدًا، أما إذا كانت اللّوازم متعدّدة فيكون أقواها لزومًا قرينةً لها، وما عداه ترشيح وتقوية لها، كما سيأتي.

المبحث السادس

في الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار

١ ـ إذا كان اللفظ المستعار «إسمًا جامدًا لذات» كالبدر إذا استعير للجميل «أو اسمًا

= فإنه قد توهم أن للملامة شيئًا شبيهًا بالماء واستعارة اسمه له استعارة تخييلية غير تابعة للمكنية. ورده العلامة الخطيب بأنه لا دليل له فيه لجواز أن يكون فيه استعارة بالكناية فيكون قد شبه الملام بشيء مكروه له ماء. وطوى لفظ المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الماء على طريق التخييل.

وأن يكون من باب إضافة المشبه به إلى المشبه والأصل لا تسقني الملام الشبيه بالماء وأيضًا لا يخفى ما في مذهب السكاكي من التعسف أي الخروج عن الطريق الجادة لما فيه من كثرة الاعتبارات ـ وذلك أن المستعير يحتاج إلى اعتبار أمر وهمي، واعتبار علاقة بينه وبين الأمر الحقيقي. واعتبار قرينة دالة على أن المراد من اللفظ الأمر الوهمي. فهذه اعتبارات ثلاثة لا يدل عليها دليل، ولا تمس إليها حاجة.

(الثالث مذهب صاحب الكشاف) وهو أنها تكون تارة تحقيقية أي مصرحة وتارة تكون تخييلية أي مجازًا في الإثبات.

(الرابع ـ مذهب صاحب السمرقندية) وهو مثل مذهب صاحب الكشاف غير أن الفرق بينهما أن مدار الأقسام عند صاحب الكشاف على الشيوع وعدمه وعند صاحب السمرقندية على الإمكان وعدمه.

(تنبيه) الفرق بين ما يجعل قرينة للمكنية ويجعل نفسه تخييلاً على مذهب السكاكي ـ أو استعارة تحقيقية على مذهب صاحب الكشاف في بعض المواد ـ وعلى مختار صاحب السمرقندية كذلك ـ أو إثباته تخييلاً على مذهب السلف وصاحب الكشاف في بعض المواد ـ وعلى مختار صاحب السمرقندية كذلك ـ وبين ما يجعل زائدًا عليها قوة الاختصاص أي الارتباط بالمشبه به ـ فأيهما أقوى ارتباطًا به فهو القرينة وما سواه ترشيح ـ وذلك كالنشب في قولك. مخالب المنية نشبت بفلان، فإن المخالب أقوى اختصاصًا وتعلقًا بالسبع من النشب لأنها ملازمة له دائمًا بخلاف النشب.

جامدًا لمعنى» كالقتل إذا استعير للضرب الشديد سميت الاستعارة «أصلية» كقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[١] وكقوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾[٢] وسُميتْ أصليّة لعدم بنائها على تشبيه تابع لتشبيه آخر مُعتبرٍ أوَّلًا.

٢ ـ وإذا كان اللّفظ المُستعار فعلاً[٣] أو اسم فعل، أو اسمًا مشتقًا أو حرفًا، أو اسمًا

---

(١) يقال في إجراء الاستعارة في الآية الأولى ـ شبهت الضلالة بالظلمة بجامع عدم اهتداء في كل واستعير اللفظ الدال على المشبه به وهو الظلمة للمشبه وهو الضلالة على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية، سورة إبراهيم: الآية ١.

(٢) ويقال في إجراء الاستعارة في الآية الثانية ـ شبه الذل بطائر واستعير لفظ المشبه به وهو الطائر للمشبه وهو الذل ـ على طريق الاستعارة المكنية الأصلية ثم حذف الطائر، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الجناح، سورة الإسراء: الآية ٢٤.

(٣) مثال الاستعارة التصريحية في الفعل. نطقت الحال بكذا ـ وتقريرها أن يقال شبهت الدلالة الواضحة بالنطق بجامع إيضاح المعنى في كل، واستعير النطق للدلالة الواضحة، واشتق من النطق بمعنى الدلالة الواضحة نطقت بمعنى دلت على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ـ ونحو: يحيي الأرض بعد موتها. يقدر تشبيه تزيينها بالنبات ذي الخضرة والنضرة ـ بالإحياء بجامع الحسن أو النفع في كل ـ ويستعار الإحياء للتزيين، ويشتق من الإحياء بمعنى التزيين يحيي بمعنى يزين، استعارة تبعية لجريانها في الفعل تبعًا لجريانها في المصدر ـ هذا إذا كانت الاستعارة في الفعل باعتبار مدلول صيغته، أي مادته وهو الحدث. وأما إذا كانت باعتبار مدلول هيئته وهو الزمن كما في قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١] فتقريرها أن يقال شبه الإتيان في المستقبل بالإتيان في الماضي بجامع تحقق الوقوع في كل، واستعير الإتيان في الماضي للإتيان في المستقبل واشتق منه أتى بمعنى يأتي على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ـ ونحو ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٤] أي ينادي ـ شبه النداء في المستقبل بالنداء في الماضي بجامع تحقق الوقوع في كل، ثم استعير لفظ النداء في الماضي للنداء في المستقبل، ثم اشتق منه نادى بمعنى ينادي ـ ونحو قوله تعالى: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾ [يس: ٥٢] أن قدّر المرقد للرقاد مستعارًا للموت. فالاستعارة أصلية ـ وإن قدّر لمكان الرقاد مستعارًا للقبر، فالاستعارة تبعية لأنها في اسم المكان، فلا يستعار المرقد للقبر إلا بعد استعارة الرقاد للموت ـ ومثال الاستعارة في اسم الفاعل، زيد قاتلٌ عمرًا، إذا كان عمرو مضروبًا ضربًا شديدًا ـ ومثالها في اسم المفعول ـ عمرو مقتول لزيد ـ إذا كان زيد ضاربًا لعمرو ضربًا شديدًا وإجراء الاستعارة فيهما أن يقال شبه الضرب الشديد بالقتل بجامع شدة الإيذاء في كل، واستعير اسم المشبه به للمشبه. واشتق من القتل بمعنى الضرب الشديد قاتل أو مقتول بمعنى ضارب أو مضروب على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ـ ومثالها في الصفة المشبهة ـ هذا حسن الوجه مشيرًا إلى قبيحه ـ وإجراء الاستعارة فيه أن يقال ـ شبه القبح بالحسن. بجامع تأثر النفس في كل. واستعير الحسن للقبح تقديرًا، واشتق من الحسن بمعنى القبح حسن بمعنى قبيح على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية التهكمية ومثال الاستعارة في أفعل التفضيل ـ هذا أقتل =

مُبهمًا، فالاستعارة «تصريحية تبعية».

= لعبيده من زيد ـ أي أشد ضربًا لهم منه ـ ومثال اسم الزمان والمكان ـ هذا مقتل زيد ـ مشيرًا إلى مكان ضربه أو زمانه ـ ومثاله اسم الآلة ـ هذا مفتاح الملك: مشيرًا إلى وزيره وإجراؤها أن يقال ـ شبهت الوزارة بالفتح للأبواب المغلقة بجامع التوسل إلى المقصود في كل، واستعير الفتح للوزارة، واشتق منه مفتاح بمعنى وزير ـ ومثال اسم الفعل المشتق ـ نزال بمعنى انزل. تريد به أبعد. فتقول شبه معنى البعد بمعنى النزول بجامع مطلق المفارقة في كل واستعير لفظ النزول لمعنى البعد واشتق منه نزال بمعنى أبعد ـ ومثال اسم الفعل غير المشتق «صه» بمعنى اسكت عن الكلام. تريد به اترك فعل كذا ـ فتقول شبه ترك الفعل بمعنى السكوت، واستعير لفظ السكوت لمعنى ترك الفعل، واشتق منه اسكت بمعنى أترك الفعل ـ وعبّر بدل اسكت بصه ـ ومثال المصغر «رُجَيْلٌ» لمتعاطي ما لا يليق ـ ومثال المنسوب «قُرشي» للمتخلق بأخلاق قريش وليس منهم. ومثال الاستعارة في الحرف قوله تعالى: ﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨] وإجراؤها أن يقال شبهت المحبة والتّبني بالعداوة والحزن اللّذين هما العلة الغائية للالتقاط بجامع مطلق الترتب واستعيرت اللام من المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية التبعية. واعلم أن الّلام لم تستعمل في معناها الأصلي وهو العلة لأن علة التقاطهم له أن يكون لهم إبنا، وإنّما استعملت مجازًا لعاقبة الالتقاط، وهي كونه لهم عدوًا، فاستعُيرت العلّة للعاقبة بجامع أن كلا منهما مترتب على الالتقاط، ثم استعيرت الّلام تبعًا لاستعارتها، فالمستعار منه العلة. والمستعار له العاقبة. والترتب على الالتقاط هو الجامع. والقرينة على المجاز استحالة التقاط الطفل ليكون عدوًا ـ وقوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ [طه: ٧١] وإجراؤها أن يقال شبه مطلق استعلاء بمطلق ظرفية بجامع التمكن في كل فسرى التشبيه من الكليين للجزئيات التي هي معاني الحروف فاستعير لفظ «في» الموضوع لكل جزئي من جزئيات الظرفية لمعنى «على» على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ـ ومثال المكنية التبعية في الاسم المشتق يعجبني إراقة الضاربة دم الباغي، وإجراء الاستعارة أن يقال شبه الضرب الشديد بالقتل بجامع الإيذاء في كل، واستعير القتل للضرب الشديد، واشتق من القتل قاتل بمعنى ضارب ضربًا شديدًا، ثم حذف وأثبت له شيء من لوازمه وهو الإراقة على سبيل الاستعارة المكنية التبعية ـ ومثالها في الاسم المبهم قولك لجليسك المشغول عنك. أنت مطلوب منك أن تسير إلينا الآن ـ شبه مطلَق مخاطب بمطلَقِ غائب فسرى التشبيه للجزئيات واستعير الثاني للأول، ثم استعير بناء على ذلك.

ضمير الغائب للمخاطب، وحذف وذكر المخاطب ورمز إلى المحذوف بذكر لازمه وهو طلب السير منه إليك، وإثباته له تخييل.

واعلم أن استعارة الأسماء المبهمة أعني الضمائر وأسماء الإشارة والموصولات تبعية لأنها ليست باسم جنس لا تحقيقًا ولا تأويلًا ـ ولأنها لا تستقل بالمفهومية لأن معانيها لا تتم ولا تصلح لأن يحكم عليها بشيء ما لم تصحب تلك الألفاظ في الدلالة عليها ضميمة تتم بها ـ كالإشارة الحسية والصلة والمرجع ـ فلا بد أن تعتبر التشبيه أولًا في كليات تلك المعاني الجزئية، ثم سيريانه فيها لتبني عليه الاستعارة ـ مثلًا في استعارة لفظ «هذا» لأمر معقول يشبه المعقول المطلق في قبول التمييز فيسري التشبيه إلى الجزئيات فيستعار لفظ هذا من المحسوس=

٣ ـ وإذا كان اللفظ المستعار اسمًا مشتقًا، أو اسمًا مبهمًا «دون باقي أنواع التبعيّة المتقدمة» فالاستعارة «تبعيَّة مكنِيّة».

وسُمِّيت تبعيّةً لأن جريانَها في المشتقات والحروف تابعٌ لجريانها أوّلًا في الجوامد، وفي كلِّيات معاني الحروف ـ يعني أنّها سُمِّيت تبعَّيةً لتبعيَّتها لاستعارة أخرى لأنها في المشتقات تابعةٌ للمصادر ـ وفي معاني الحروف تابعةٌ لمتعلَّق معانيها ـ إذ معاني الحروف جزئية لا تُتَصوّر الاستعارة إلا بوَاسطة كُلّيٍّ مُستقلّ بالمفهوميّة ليتأتّى كونها مُشَّبها ومشَّبهًا بها، أو محكومًا عليها أو بها، نحو: ركب فلان كتِفَيْ غريمه[١] أي لازمه ملازمة شديدة وكقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾[٢] أي تمكنوا من الحصول على الهداية التّامّة[٣] ونحو أَذَقْتهُ لِباسَ الْمَوْتِ[٤] أي ألبسته إياه.

تنبيهات: ـ الأول، كل تبعية قرينتها مكنيّة.

الثاني: ـ إذا أُجريت الاستعارة في واحدة منهما امتنع إجراؤها الأخرى.

الثالث ـ تقسيم الاستعارة إلى أصلية وتبعية عام في كل من الاستعارة التصريحية والمكنية.

المبحث السابع
في تقسيم الاستعارة المصرحة باعتبار الطرفين إلى عنادية ووفاقية

فالعنادية ـ هي التي لا يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد لتنافيهما والوفاقية ـ

=

الجزئي للمعقول الجزئي الذي سرى إليه التشبيه فهي تبعية ـ والاستعارة في الضمير والموصول كالتعبير عن المذكر بضمير المؤنث أو بموصولها عنه لشبهه بها. أو عكسه. فتشبه المذكر المطلق بالمؤنث المطلق فيسري التشبيه فتستعير الضمير أو الموصول للجزء الخاص.

(١) يقال في إجرائها شبه اللزوم الشديد بالركوب بجامع السلطة والقهر ـ واستعير لفظ المشبه به وهو الركوب للمشبه وهو اللزوم، ثم اشتق من الركوب بمعنى اللزوم ركب بمعنى لزم على طريق الاستعارة التصريحية التبعية.

(٢) سورة البقرة: الآية ٥.

(٣) يقال في إجرائها شبه مطلق ارتباط بين مهدي وهدى ـ بمطلق ارتباط بين مستعلي ومستعلى عليه بجامع التمكن في كل. فسرى التشبيه من الكليين للجزئيات ثم استعيرت «على» من جزئي من جزئيات المشبه به لجزئي من جزئيات المشبه على طريق الاستعارة التصريحية التبعية.

(٤) يقال في إجرائها شبهت الإذاقة بالإلباس، واستعير الإلباس للإذاقة واشتق منه ألبس بمعنى أذاق على طريق الاستعارة المكنية التبعية ـ ثم حذف لفظ المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو اللباس.

هي التي يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد لعدم التنافي مثالهما قوله تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾(١) أي ضالاً فهديناه ففي هذه الآية استعارتان.

الأولى في قوله «ميتا» شبه الضلال بالموت بجامع ترتب نفي الانتفاع في كل واستعير الموت للضلال، واشتق من الموت بمعنى الضلال ميتا بمعنى ضالاً ـ وهي عنادية لأنه لا يمكن اجتماع الموت والضلاَل في شيء واحد.

والثانية ـ استعارة الإحياء للهداية وهي وفاقية، لا مكان اجتماع الإحياء والهداية في الله تعالى.

ثم العنادية قد تكون تمليحية. أي المقصود منها التملْيح والظّرافة وقد تكون تهكّمية أي المقصود منها التهكم والاستهزاء، بأن يُستعمل اللّفظ في ضدّ معناه، نحو رأيت أسدًا، تريد جبانًا، قاصدًا التّمليح والظّرافة أو التهكم والسّخرية: وهم اللّتان نزّل فيهما التضاد منزلة التناسب نحو ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(٢) استعيرت البشارة التي هي الخبر السار للإنذار الذي هو ضده بإدخال الإنذار في جنس البشارة على سبيل التّهكم والاستهزاء.

المبحث الثامن
في تقسيم الاستعارة باعتبار الجامع

الاستعارة المصرحة باعتبار الجامع نوعان(٣):

(١) سورة الأنعام: الآية ١٢٢. (٢) سورة آل عمران: الآية ٢١.

(٣) «ينقسم الجامع» إلى داخل وخارج فالأول ـ ما كان داخلًا في مفهوم الطرفين نحو قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٨] فاستعير التقطيع الموضوع لإزالة الاتصال بين الأجسام الملتصق بعضها ببعض. لتفريق الجماعة وإبعاد بعضها عن بعض. والجامع إزالة الاجتماع. وهي داخلة في مفهومها. وهي في القطع أشد. والثاني: وهو ما كان خارجًا عن مفهوم الطرفين نحو: رأيت أسدًا ـ أي رجلًا شجاعًا، فالجامع وهي الشجاعة أمر عارض للأسد لا داخل في مفهومه.

وينقسم أيضًا باعتبار الطرفين والجامع إلى ستة أقسام لأن الطرفين إما حسيان أو عقليان (أو المستعار منه حسي والمستعار له عقلي أو بالعكس) والجامع في الأول من الصور الأربع تارة يكون حسيًا وتارة يكون عقليًا وأخرى مختلفًا، وفي الثلاث الأخيرة لا يكون إلا عقليًا ـ مثال ما إذا كان الطرفان حسيين والجامع كذلك قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ [طه: ٨٨] فإن المستعار منه وهو ولد البقرة، والمستعار له وهو المصوغ من حُلي القبط بعد سبكها بناء السّامري وإلقاء التراب المأخوذ من أثر فرس جبريل عليه والجامع الشكل، فإنه كان على=

١ ـ عاميّة ـ وهي القرينة المُبتذلة التي لاكَتْها الألسُن فلا تحتاج إلى بحث ويكون

=

شكل ولد البقر مما يدرك بحاسة البصر «وبحث بعضهم بأن إبدال جسدًا من عجلًا يمنع الاستعارة».

ومثال ما إذا كان الطرفان حسيين والجامع عقلي ـ قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ [يس: ٣٧] فإن المستعار منه أعني السلخ وهو كشط الجلد عن الشاة ونحوها والمستعار له وهو كشف الضوء عن مكان الليل وهو موضع إلقاء ظله: حسيان.

والجامع ما يعقل من ترتب أمر على آخر بحصوله عقبه كترتب ظهور اللحم على الكشط وترتب ظهور الظلمة على إزالة الضوء عن مكان الليل. والترتب عقلي وإجراء الاستعارة ـ شبه كشف الضوء عنِ الليل بكشط الجلد عن نحو الشاة بجامع ترتب ظهور شيء على شيء في كل، واستعير لفظ المشبه به وهو «السلخ» للمشبه وهو كشف الضوء واشتق منه «نسلخ» بمعنى نكشف على طريق الاستعارة التصريحية التبعية. ومثال ما إذا كان الطرفان حسيين والجامع بعضه حسي وبعضه عقلي. قولك رأيت بدرًا يتكلم ـ تريد شخصًا مثل «البدر» في حُسْن الطلعة وعلو القدر. فحسنُ الطلعة حسي وعلو القدر عقلي ـ ومثال ما إذا كان الطرفان عقليين ولا يكون الجامع فيه إلا عقليًا كباقي الأقسام. قوله تعالى: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢] فإن المستعار منه «الرقاد» أي النوم. والمستعار له الموت. والجامع بينهما عدم ظهور الفعل، والجميع عقلي ـ وإجراء الاستعارة شبه الموت بالنوم بجامع عدم ظهور الفعل في كل واستعير لفظ المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية ـ وقال بعضهم عدم ظهور الفعل في الموت أقوى. وشرط الجامع أن يكون في المستعار منه أقوى فليجعل الجامع هو «البعث» الذي هو في النوم أظهر وقرينة الاستعارة أن هذا الكلام كلام الموتى مع قوله ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢] وعلى هذا يقال شبه الموت بالرقاد بجامع عدم ظهور الفعل في كل. واستعير الرقاد للموت. واشتق منه «مرقد» اسم مكان الرقاد بمعنى قبر اسم مكان الموت على طريق الاستعارة التصريحية التبعية ـ ومثال ما إذا كان المستعار منه حسيًا. والمستعار له عقليًا. قوله تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤] فإن المستعار منه كسر الزجاجة. وهو أمر حسي. والمستعار له التبليغ جهرًا والجامع التأثير «أي أظهر الأمر إظهارًا لا يمحي» ـ كما صدع الزجاجة لا يلتئم وإجراء الاستعارة شبه التبليغ جهرًا بكسر الزجاجة بجامع التأثير الشديد في كل واستعير المشبه به وهو «الصدع» للمشبه وهو التبليغ جهرًا ـ واشتق منه أصدع بمعنى بلغ جهرًا. على طريق الاستعارة التصريحية التبعية ـ ومثال ما إذا كان المستعار منه عقليًا والمستعار له حسيًا. قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ۝١١﴾ [الحاقة: ١١] فإن المستعار له كثرة الماء وهو حسي. والمستعار منه التكبر. والجامع الاستعلاء المفرط وهما عقليان. وإجراء الاستعارة شبهت كثرة الماء المفرطة بمعنى الطغيان. وهو مجاوزة الحد. بجامع الاستعلاء المفرط في كل. واستعير لفظ المشبه به وهو الطغيان للمشبه وهو الكثرة المفرطة. واشتق منه طغي بمعنى كثر كثرة مفرطة. على طريق الاستعارة التصريحية التبعية.

«تنبيه» الاستعارة المكنية تنقسم أيضًا إلى. أصلية وتبعية. وإلى مرشحة ومجردة. ومطلقة. كما انقسمت التصريحية إلى مثل ذلك.

=

الجامع فيها ظاهرًا، نحو رأيت أسدًا يرمي.

٢ ـ خاصية ـ وهي الغريبة التي يكون الجامع فيها غامضًا لا يدركه إلا أصحاب المدارك من الخواص ـ كقول كثير يمدح عبد العزيز بن مروان:

[الكامل]

غَمْرُ الرِّداء إذا تبسّم ضاحكًا ... غلِقت لضَحكته رِقاب المال

غَمرُ الرِّداء «كثير العطايا والمعروف» استعار الرداء للمعروف لأنه يصون ويستر عرض صاحبه كستر الرِّداء ما يلقى عليه وأضاف إليه الغمر، وهو القرينة على عدم إرادة معنى الثوب، لأن الغمر من صفات المال لا من صفات الثوب.

= فالمكنية الأصلية. هي ما كان المستعار فيها اسمًا غير مشتق كالسبع المتقدم، والتبعية ـ هي ما كان المستعار فيها اسمًا مشتقًا فلا تكون في الفعل ولا في الحرف ومثالها في الاسم المشتق: يعجبني إراقة الضارب دم الظالم. فقد شبه الضرب الشديد بالقتل بجامع الإيذاء في كل واستعير القتل للضرب الشديد. ثم حذف ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو الإراقة، على طريق الاستعارة المكنية التبعية ـ فالاستعارة التخييلية عند الجمهور هي نفس إثبات اللازم المستعمل في حقيقته ـ وهي من المجاز العقلي وإنما سميت إستعارة لأنه استعير ذلك الإثبات من المشبه به للمشبه وسميت تخييلية لأن إثباته للمشبه خيل اتحاده مع المشبه به، فقولنا أظفار المنية نشبت بفلان ـ لفظ «أظفار» في هذا التركيب مستعمل في حقيقته «وإنما التجوز في إثباته للمنية» أي أن ذلك الإثبات إثبات الشيء إلى غير ما هو له ـ فعند الجمهور التخييلية لا تفارق المكنية لأنها قرينتها.

والاستعارة المكنية المرشحة ـ هي ما قرنت بما يلائم المشبه فقط نحو ـ نطق لسان الحال بكذا ـ شبهت «الحال» بمعنى الإنسان، واستعير لفظ المشبه به للمشبه وحذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو «لسان» وإثبات اللسان للحال تخييل وهو القرينة، والنطق ترشيح. لأنه يلائم المشبه به فقط.

والمكنية المجردة ـ هي ما قرنت بما يلائم المشبه فقط، ـ نحو: نطقت الحال الواضحة بكذا ـ فالوضوح تجريد لأنه يلائم المشبه الذي هو إنسان فقط.

والمكنية المطلقة ـ هي التي لم تقترن بشيء يلائم المشبه ولا المشبه به ـ أو قرنت بما يلائمهما معًا ـ نحو نطقت الحال بكذا ـ ونطق لسان الحال الواضحة بكذا. ففي الأول ـ شبهت الحال بإنسان واستعير لها اسمه وحذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو النطق وإثبات النطق للحال تخييل، وهي مجردة لأنها لم تقترن بشيء يلائمهما وفي الثاني ـ شبهت الحال بإنسان واستعير له اسمه، وحذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو «لسان» وإثباته للحال تخييل، وهو القرينة، والنطق ترشيح، لأنه يلائم المشبه به والوضوح تجريد لأنه يلائم المشبه ـ ولما تعارضا سقطا.

وتنقسم المكنية أيضًا إلى عنادية ـ نحو ـ أنشبت المنية أظفارها بفلان ـ لأنه لا يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد يكون منية وسبعًا، ووفاقية ـ نحو نطقت الحال بكذا ـ لأنه يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد كالحال مع الإنسان.

وهذه الاستعارة لا يظفر باقتطاف ثمارها إلّا ذووا الفِطَر السليمة والخِبرة التَّامة.

المبحث التاسع
في تقسيم الاستعارة باعتبار ما يتصل بها من المُلائِمات وعدم اتّصالها

تنقسم الاستعارة باعتبار ذكر «ملائم المستعار منه».

أو باعتبار ذكر «مُلائم المستعار له» أو عدم اقترانها بما يلائم أحدهما إلى ثلاثة أقسام مَطلَقة، ومرشحة، ومجردة.

أ ـ فالمطلقة هي التي لم تقترن بملائم أصلا، نحو ﴿يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾[1] أو ذكر فيها ملائمهما معًا كقول زهير:

[الطويل]

لـدى أسـد شـاكـي الـسـلاح مُـقـذّف ... لـه لِـبـدٌ أظـفـاره لـم تُـقَـلَّـم

استعار الأسد للرجل الشجاع، وقد ذكرها ما يناسب المستعار له في قوله «شاكي السلاح مقذّف» وهو التجريد، ثم ذكر ما يناسب المستعار منه في قوله «له لبد أظفاره لم تقلّم» وهو الترشيح، واجتماع التجريد والترشيح يؤدي إلى تعارضهما وسقوطهما فكأن الاستعارة لم تقترن بشيء وتكون في رتبة المطلقة.

ب ـ والمُرَشَّحة ـ هي التي قُرنَت بملائم المستعار منه «أي المشبه به» نحو ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾[2] استعير الشراء للاستبدال والاختيار. ثم فرَع عليها ما يلائم المستعار منه من الربح والتجارة، ونحو: من باع دينه بدنياه لم تربح تجارته «وسُميت مُرَشحة لترشيحها وتقويتها بذكر المُلاَئم».

جـ ـ والمجردة ـ هي التي قرنت بملائم المستعار له «أي المشبه» نحو رأيت بحرًا على فرس يعطي. فيعطي تجريد لأنه يناسب المستعار له الذي هو الرجل الكريم. ونحو اشترِ بالمعروف عرضك من الأذى.

«وسميت بذلك لتجريدها عن بعض المبالغة لُبعد المشبه حينئذٍ عن المشبه به بعض بُعد، وذلك بُبعد دعوى الاتحاد الذي هو مبنى الاستعارة».

ثم اعتبار التّرشيح والتّجريد إنما يكون بعد تمام الإستعارة بقرينتها سواء أكانت القرينة مقالية أم حالية ـ فلا تُعدّ قرينة المصرحة تجريدًا ولا قرينة المكنية ترشيحًا ـ بل الزائد على ما ذكر.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٦.

واعلم أن الترشيح أبلغ من غيره لاشتماله على تحقيق المبالغة بتناسي التشبيه، وادعاء أن المستعار له هو نفس المستعار منه «لا شيء شبيه به» وكأنّ الاستعارة غير موجودة، والإطلاق أبلغ من التجريد، فالتجريد أضعف الجميع، لأنه به تضعف دعوى الاتحاد، وإذا اجتمع ترشيح وتجريد فتكون الاستعارة في رتبة المطلقة إذ بتعارضهما يتساقطان، كما سبق تفصيله وكما يجري هذا التقسيم في التصريحية يجري أيضًا في المكنية.

المبحث العاشر
في المجاز المرسل المركب

المجاز المُرْسل المركب هو الكلام المُستعمل في غير المعنى الذي وُضع له، لعلاقة غير المشابهة مع قَرِينة مانعة من إرادة معناه الأصلي ـ ويقع أولًا في المُركبات الخبرية المستعملة في الإنشاء وعكسه لإغراض كثيرة منها التحسُّر وإظهار التأسف كما في قول الشاعر:

[الكامل]

ذَهَبَ الصِّبا وتولَّت الأيامُ ... فعلى الصِّبا وعلى الزَّمان سلام

فإنّه وإن كان خبرًا في أصل وضعه إلا أنه في هذا المقام مستعمل في إنشاء التَّحسر والتحزُّن على ما فات من الشَّباب، والقرينة على ذلك الشطر الثاني ـ وكقول جعفر بن عُلبة الحارِثي:

[الطويل]

هَوَايَ مع الرَّكب اليمانينَ مُصْعَدُ ... جَنيبٌ وُجثماني بمكَّةَ مُوثَقُ

فهو يشير إلى الأسف والحزن الذي أَلَمَّ به من فراق الأحبة.

ويتحسَّر على ما آل إليه أمره، والقرينة على ذلك حال المتكلم ومنها إظهار الضّعف في قوله:

[الكامل]

رَبِّ إنِّي لا أستطيع اصطبارا ... فاعفُ عنِّي يا منْ يقبَل الْعثارَا

ومنها إظهار السُّرور، نحو كُتِبَ اسمي بين الناجحين.

ومنها الدعاء ـ نحو نجَّحَ اللَّهُ مقاصدنا ـ أيُّها الوطن لك البقَاء.

وثانيًا في المركبات الإنشائيّة كالأمر والنهي والاستفهام التي خرجت عن معانيها الأصلية، واستُعملت في معان أُخَر: كما في قوله عليه الصلاة والسلام «من كَذَبَ عَليَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النارِ».

إذ المرادُ «يتَبوّأُ مقعده» والعلاقة في هذا السَّببيَّة والمسببيَّة، لأن إنشاء المتكلم للْعبارة سبب لإخباره بما تَتضمُنه، فظاهره أمر، ومعَناه خبر.

المبحث الحادي عشر
في المجاز المركب[١] بالاستعارة التَّمثيليَّة

المجاز المركب بالاستعارة التَّمثيلية هو تركيب استعمل في غير ما وُضع له، لعَلاَقة المشابهة مع قرينة مانعه من إرادة معناه الأصلي، بحيث يكون كل من المشبه والمشبه به هيأة مُنتزعة من متعّدد ـ وذلك بأن تشبِّه إحدى صورتين مُنتزعتين من أمرين أو أمور بأخرى ثم تُدخِل المشبه في الصُورة المشبه بها مُبالغة في التشبيه ـ ويُسمَّى بالاستعارة التَّمثيليّة[٢] نحو: في الصَّيْف ضيَّعَتِ اللَّبَنَ ـ يُضرب لمن فرَّط في تحصيل أمر في زمن يمكنه الحصول عليه فيه، ثم طلبه في زمن لا يمكنه الحصول عليه[٣] فيه،

(١) المجاز المركب هو تركيب استعمل في ما يشبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل.

(٢) سميت تمثيلية مع أن التمثيل عام في كل استعارة للإشارة إلى عظم شأنها كأن غيرها ليس فيه تمثيل أصلًا ـ إذ هي مبنيَّة على تشبيه التمثيل. ووجه الشبه فيه هيئة منتزعة من متعدد ـ لهذا كان أدق أنواع التشبيه. وكانت الاستعارة المبنيّة عليه أبلغ أنواع الاستعارة ـ ولذلك كانا غرض البلغاء.

(٣) أصل المثل أن امرأة كانت متزوجة بشيخ غني فطلبت طلاقها منه في زمن الصيف لضعفه ـ فطلقها وتزوجت بشاب فقير. ثم طلبت من مطلقها لبنا وقت الشتاء فقال لها ذلك المثل ـ وإجراء الاستعارة في هذا المثل الأول أن يقال شبهت هيئة من فرط في أمر زمن إمكان تحصيله، بهيئة المرأة التي طلقت من الشيخ الّلابن ورجعت إليه تطلب منه اللبن شتاء بجامع التفريط في كل. واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية.

وإجراء الاستعارة في المثل الثاني أن يقال شبهت هيئة من يتردد في أمر بين أن يفعله وألا يفعله. بهيئة من يتردد في الدخول فتارة يقدم رجله وتارة يؤخرها بجامع الحيرة في كل. واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية.

وإجراء الاستعارة في المثل الثالث شبهت هيئة من يظلم من وجهين بهيئة رجل باع آخر تمرًا رديئًا وناقص الكيل بجامع الظلم من وجهين في كل. واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية.

وإجراء الاستعارة في المثل الرابع شبهت هيئة الرجل المتستر تحت أمر ليحصل على أمر خفي يريده ـ بهيئة الرجل المسمى قصيرًا حين جدع أنفه ليأخذ بثأر جذيمة من الزباء بجامع الاحتيال في كل. واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية.

وإجراء الاستعارة في المثل الخامس أن يقال شبهت هيئة كريم الأصل عزيز النفس الذي لا يفضل الدنايا على الرزايا عند ما تزل به القدم. بهيئة المرأة التي تفضل جوعها على إجارتها للإرضاع عند فقرها بجامع ترجيح الضرر على النفع في كل واستعير الكلام الموضوع للمشبه به =

ونحو (إنى أراكَ تُقَدِّمُ رِجْلًا وتُؤخِّرُ أُخرَى) يُضرب لمن يتردّد في أمر فتارة يقدِم، وتارة يحجِم، ونحو (أَحَشفا وسُوء كَيلةٍ) يُضرب لمن يظلم من وجهين ـ وأصله أن رجلًا اشترى تمرًا من آخر فإذا هو رديء، وناقص الكيل. فقال المشتري ذلك ـ ومثل ما تقدَّم جميع الأمثال السائرة نثرًا ونظمًا.

فمن الأول ـ قولهم لمن يحتال على حصول أمر خفي، وهو متستر تحت أمرٍ ظاهر:

«لأمر مّا جدَعَ قَصيرٌ أنفَه» وقولهم «تَجوع الحُرَّة ولا تأكل بثدييها»، وقولهم، لمن يريد أن يعمل عملًا وحده وهو عاجز عنه «اليد لا تصفق وحدَها» وقولهم لمجاهد عاد إلى وطنه بعد سفر:

«عاد السَّيف إلى قَرابه وحلّ اللّيث مَنِيع غابِه» وقولهم لمن يأتِي بالقول الفصل (قَطَعَتْ جهيزةُ قَوْلَ كلِّ خطيب).

ومن الثاني قول الشاعر:

[المتقارب]

إذا جاء موسى وألقى العصا ... فقد بطل السّحر والساحرُ

[الوافر]

إذا قالت حذام فصدّقوها ... فإن القول ما قالت حِذام

[الطويل]

متى يبلغ البنيان يومًا تمامه ... إذا كنت تبنيه وغيرك يهدمُ(١)

= للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية.

وإجراء الاستعارة في المثل السادس شبهت هيئة من يريد أن يعمل عملًا وحده وهو عاجز عنه، بهيئة من يريد أن يصفق بيد واحدة. بجامع العجز في كل واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية.

وإجراء الاستعارة في المثل السابع شبهت هيئة الرجل الذي يحصل بوجوده فصل المشكلات. بهيئة نبي الله موسى عليه السلام مع سحرة فرعون بجامع حسم النزاع في كل واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية.

وإجراء الاستعارة في المثل الثامن شبهت هيئة الرجل الذي لا يقول إلا الحق ولا يخبر إلا بالصدق بهيئة المرأة المسماة «حذام» بجامع الصدق في كل. واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية.

(١) وإجراء الاستعارة في المثل التاسع: شبهت حال المصلح يبدأ الإصلاح ثم يأتي غيره فيبطل عمله، بحال البنيان ينهض به حتى إذا أوشك أن يتم جاء من يهدمه والجامع هو الحالة الحاصلة من عدم الوصول إلى الغاية لوجود ما يفسد على الساعي سعيه، ثم حذف المشبه واستعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه.

وإذا فشت وشاعَتْ الاستعارة التمثيلية(١) وكثر استعمالها تكون مثلًا لا يُغيَّر مطلقًا بحيثُ يخاطب به المفرد والمذكر، وفروعهما، بلفظ واحد من غير تغيير ولا تبديل عن مورده الأول وإن لم يُطابق المضروب له.

ولذا كانت هذه الاستعارة محطّ أنظار البلغاء. لا يعدلون إلى غيرها إلا عند عدم إمكانها فهي أبلغ أنواع المجاز مفردًا أو مركبًا، إذ مبناها تشبيه التمثيل الذي قد عرفتَ أنّ وجه الشّبه فيه هيئة منتزعة من أشياء متعددة.

ومِن ثَمّ كانت هي والتشبيه المبنية عليه غرض البلغاء الذين يتسامون إليه، ويتفاوتون في إصباته. حتى كُثرا في القرآن الكريم كثرة كانت إحدى الحُجج على إعجازه.

والاستعارة ميدان فسيح من ميادين البلاغة، وهي أبلغ من التشبيه لأنها تضع أمام المخاطب بدلًا من المشبه صورة جديدة تملك عليه مشاعره وتذهله عما ينطوي تحتها من التشبيه، وعلى مقدار ما في تلك الصورة من الرَّوعة وسمّو الخيال تكون البلاغة في الاستعارة.

وأبلغ أنواع الاستعارة «المرشحة» لذكر ما يناسب المستعار منه فيها بناء على الدعوى بأن المستعار له هو عين المستعار منه.

ثم يليها «المطلقة» لترك ما يناسب الطرفين فيها بناء على دعوى التساوي بينهما.

ثم تليها «المجردة» لذكر ما يناسب المستعار له فيها بناء على تشبيهه بالمستعار منه.

(١) وتنقسم التمثيلية إلى قسمين تحقيقية وتخييلية ـ فالتحقيقية هي المنتزعة من عدة أمور متحققة موجودة خارجًا ـ كما في الأمثلة السابقة ـ والتخييلية هي المنتزعة من عدة أمور متخيلة مفروضة لا تحقق لها في الخارج ولا في الذهن. وتسمى الأولى «تمثيلية تحقيقية» والثانية «تمثيلية تخييلية» كقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ [الأحزاب: ٧٢] الآية على احتمال فيها. فإنه لم يحصل عرض وإباء وإشفاق منها حقيقة، بل هذا تصوير وتمثيل. بأن يفرض تشبيه حال التكاليف في ثقل حملها وصعوبة الوفاء بها، بحال أنها عرضت على هذه الأشياء مع كبر أجرامها وقوة متانتها فامتنعن وخفن من حملها بجامع عدم تحقق الحمل في كل، ثم استعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه. استعارة تمثيلية، ونحو قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] فإن معنى أمر السماء والأرض بالإتيان وامتثالهما أنه أراد تكوينها فكانتا كما أراد. فالغرض تصوير تأثير قدرته فيهما وتأثرهما عنها ـ وتمثيل ذلك بحالة الآمر المطاع لهما وإجابتهما له بالطاعة فرضًا وتخييلًا من غير أن يتحقق شيء من الخطاب والجواب، هذا أحد وجهين في الآيتين كما في الكشاف. فارجع إليه.

ولا بد في الاستعارة، وفي التمثيل على سبيل الاستعارة من مراعاة جهات حسن التشبيه، كشمول وجه الشبه للطرفين، وكون التشبيه وافيًا بإفادة الغرض، وعدم شم رائحة التشبيه لفظًا. ويجب أن يكون وجه الشبه بين الطرفين جليًا لئلا تصير الاستعارة والتمثيل تعمية وإلغازًا.

أسئلة على الاستعارة يطلب أجوبتها

ما هي الاستعارة؟. ما أركانها؟ كم قسمًا الاستعارة باعتبار ذكر الطرفين المشبه به والمشبه؟ - ما أصل الاستعارة؟ - ما هي الاستعارة التصريحية كم قسمًا الاستعارة التصريحية؟ - كما قسمًا الاستعارة باعتبار ذكر ملائم المستعار له. والمستعار منه؟ - ما هي الاستعارة المرشحة؟ - ما هي الاستعارة المجردة؟ - ما هي الاستعارة المطلقة؟ - كم قسمًا الاستعارة باعتبار إمكان اجتماع طرفيها في شيء؟ - ما هي الاستعارة الوفاقية؟. ما هي الاستعارة العنادية؟ - كم قسمًا الاستعارة باعتبار الجامع؟ - ما هي العامية؟ ما هي الخاصية؟ - ما هي التمليحية؟ - ما هي التهكمية؟ - ما مثال الطرفين الحسيين والجامع حسن؟ - ما مثال الطرفين الحسيين والجامع عقلي؟ - ما مثال الطرفين الحسيين والجامع بعضه حسي وبعضه عقلي؟ - ما مثال الطرفين العقليين والجامع عقلي؟ - ما مثال المستعار منه الحسي والمستعار له العقلي ما مثال المستعار منه العقلي والمستعار له الحسي؟ ما هي الاستعارة بالكناية عند الجمهور؟ ما هي الاستعارة بالكناية عند السكاكي؟ ما هي الاستعارة بالكناية عند الخطيب؟ - كم قسمًا الاستعارة بالكناية؟ - ما هي المكنية الأصلية؟ - ما هي المكنية التبعية؟ - ما هي الاستعارة التخييلية عند الجمهور؟ لم سميت الاستعارة؟ لم سميت تخييلية؟ ما هي الاستعارة المكنية المرشحة؟ - ما هي الاستعارة المكنية المجردة؟ ما هي الاستعارة المكنية المطلقة؟ - كم قسمًا المكنية باعتبار إمكان اجتماع طرفيها في شيء؟ ما هي العنادية؟ ما هي الوفاقية؟ - ما هو المجاز المركب؟ - ما هي الاستعارة التمثيلية؟ - ما هو المجاز المركب بالاستعارة؟ - ما هي محسنات الاستعارة.

تمرين آخر على كيفية إجراء الاستعارات

[الخفيف]

١ ـ فسمونا والفجر يضحك في الشـ ـرق إليـنـا مـبـشـرًا بـالـصـبـاح

---

١ ـ شبه الفجر بإنسان يتبسّم، فتظهر أسنانه مضيئة لامعة ـ والقدر المشترك بينهما البريق واللمعان، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، ثم حذف المشبه وأشار إليه بشيء من لوازمه وهو الضحك ـ على طريق الاستعارة بالكناية، وإثبات الضحك استعارة تخييلية.

[المتقارب]

٢ ـ عـضّـنـا الـدهـرّ بـنـابـه — لـيـتَ مـا حـلّ بـنـابـه

[أحذ الكامل]

٣ ـ لسنا وإن أحسابنا كرمت — يومًا على الأحساب نَتَّكلُ

[الكامل]

٤ ـ دقّات قلب المرء قائلة له — إنَّ الحياةَ دقائقٌ وثوانِ

[الطويل]

٥ ـ بكت لؤلؤًا رطبًا ففاضت مدامعي — عقيقًا فصار الكل في نحرها عقدا

٦ ـ إن التباعد لا يضر إذا تقاربت القلوب.

٧ ـ ذم أَعرابي رجلاً فقال (يقطع نهاره بالمنى ويتوسّد ذراع الهمّ إذا أمسى).

[البسيط]

٨ ـ قَوْمٌ إذا الشر أبدى ناجذيه لهم — طاروا إليه زرافات ووحدانا

---

٢ ـ شبه حوادث الدهر بالعض بجامع التأثير والإيلام من كل ـ واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، واشتق من العض وهو المصدر عض بمعنى آلم على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، وذكر الناب ترشيح.

٣ ـ في كلمة «على» استعارة تصريحية تبعية فقد شبه مطلق ارتباط بين حسيب وحسب بمطلق ارتباط بين مستعل ومستعلى عليه، بجامع التمكن والاستقرار في كل ـ ثم استعيرت «على» من جزئي من جزئيات الأول ـ لجزئي من جزئيات الثاني، على سبيل الاستعارة التبعية التصريحية.

٤ ـ شبه الدلالة بالقول بجامع إيضاح المراد في كل ـ واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، واشتق من القول بمعنى الدلالة قائل بمعنى دال على طريق الاستعارة التصريحية التبعية ـ والقرينة نسبة القول إلى الدقات.

٥ ـ شبه المتساقط من فيها باللؤلؤ بجامع البياض والاتساق في كل ـ واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ـ ثم شبه الدمع النازل من عينيه بالعقيق بجامع الحمرة واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ـ والقرينة كلمتا بكت، وفاضت وذكر العقد ترشيح.

٦ ـ شبه التواد بالتقارب بجامع الألفة في كل منهما ـ ثم استعير التقارب للتواد واشتق منه تقارب بمعنى تواد ـ والقرينة كلمة القلوب وهي استعارة مطلقة.

٧ ـ شبه المنى بسكين قاطع بجامع الإجهاز وإنها المقطوع في كل ـ واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو يقطع على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المطلقة، ويقطع استعارة تخييلية. وكذا شبه الهمّ بإنسان واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الذراع على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المرشحة والقرينة كلمة الذراع. ويتوسد ترشيح.

٨ ـ شبه الشر بأسد متحفز للوثوب فيكشر عن أنيابه بجامع الاستعداد للهجوم في كل ـ واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الناجذان على طريق الاستعارة المكنية المرشحة ـ والقرينة كلمة ناجذيه. وكلمة أبدى ترشيح. ثم شبه مشيهم بالطيران بجامع السرعة في كل منهما ـ واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، واشتق من الطيران طار بمعنى أسرع على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية المطلقة ـ والقرينة إسناد الطيران إليهم.

[الرجز]

٩ ـ جـاء الـشـتـاء واجـثـأل الـقُـبَّـرُ　　وطـلـعـت شـمـسٌ عـلـيـهـا مِـغـفـرُ

[الطويل]

١٠ ـ سـأبـكـيـكَ لـلـدُّنـيـا ولـلـدِّيـن إن　　أبـت يـدُ الـمـعـرُوف بـعـدكَ شُـلّـت

١١ ـ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾[1].

[الطويل]

١٢ ـ سَقَاهُ الرّدَى سَيفٌ إذا سلَّ أومَضَتْ　　إلَـيْـه ثَـنَـايَـا الْـمَـوْتِ مِـنْ كـلِّ مَـرْقَـد

١٣ ـ ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ۝٣١﴾[2].

١٤ ـ ﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[3].

---

(١) سورة القلم: الآية ٤.

(٢) سورة الرحمن: الآية ٣١.

(٣) سورة يوسف: الآية ٣٠.

---

٩ ـ شبه السحاب الذي يستر الشمس بالمغفر الذي يستر الرأس ـ بجامع الستر في كل واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية المطلقة ـ والقرينة كلمة شمس.

١٠ ـ شبه المعروف بإنسان له يد تعطي ـ والجامع الإعطاء في كل منهما وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو اليد على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المرشحة، والقرينة كلمة يد ـ وهي الاستعارة التخييلية، وشلت ترشيح.

١١ ـ شبه تمكنه عليه الصلاة والسلام من الهدى والأخلاق الشريفة والثبوت عليها بتمكن من علا دابة يُصرِّفها كيف شاء. بجامع التمكن والاستقرار في كل. فسرى التشبيه من الكليين للجزئيات التي هي معاني الحروف، فاستعير لفظ «على» الموضوع للاستعلاء الحسي للارتباط والاستعلاء المعنوي، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

١٢ ـ شبه لحاق الموت به بالسقي بجامع الوصول في كل ـ واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، ثم اشتق من السقي سقى على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية والقرينة على ذلك نسبة السقي إلى الردى ـ وأيضًا قد شبه الموت بإنسان له ثنايا يضحك منها فتلمع وتضيء ـ والجامع البريق واللمعان واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ثم حذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الثنايا على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المرشحة ـ والثنايا استعارة تخييلية ـ وأومض ترشيح.

١٣ ـ شبه القصد إلى الشيء والتوجه له، بالفراغ والخلوص من الشواغل ـ بجامع الاهتمام في كل. وستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، ثم اشتق من الفراغ بمعنى الخلو: نفرغ ـ على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية والقرينة حالية.

١٤ ـ في كلمة «في» استعارة تصريحية تبعية فقد شبهت «في» التي تدل على الارتباط «بفي» التي تدل على الظرفية بجامع التمكن في كل فسرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات فاستعيرت في من الثاني للأول على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ـ والقرينة على ذلك كلمة الضلال.

[الطويل]

١٥ ـ فتًى كُلّمَا فاضَتْ عُيُونُ قبِيلةٍ دمًا ضَحِكَتْ عَنْه الأحاديث والذكرُ

تطبيق عام على المجاز وأنواع الاستعارة

رأيت أسدًا في الحمام ـ شبه الرجل الشجاع بالأسد بجامع الشجاعة في كل واستعير الأسد للرجل الشجاع على طريق الاستعارة المصرحة الأصل. رأيت قُسًّا اليوم ـ شبه الرجل الفصيح «بقس بن ساعدة» بجامع الفصاحة في كل، واستعير «قس» للرجل الفصيح على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية.

نطقت حالك بنجابتك ـ شبهت الدلالة الواضحة بالنطق بجامع الإيضاح في كل واستعير «النطق» للدلالة الواضحة واشتق من «النطق» بمعنى الدلالة الواضحة «نطقت» بمعنى دلت على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية. وسميت تصريحية للتصريح فيها بلفظ المشبه به وتبعية لأن جريانها في الفعل تابع لجريانها في المصدر.

يحيي الأرض بعد موتها ـ شبه تزيين الأرض بالنبات الأخضر النضر بالإحياء بجامع ما يترتب على كل من الحسن والنفع، واشتق من «الإحياء» بمعنى التزين «يحيي» بمعنى يزين على سبيل الاستعارة المصرحة التبعية.

[الكامل]

قلبي يحدثني بأنك متلفي روحي فداك عرفت أم لم تعرف

فيه استعارة تمثيلية. فإنه شبه هيئته القائمة به من الذوق الوجداني، بهيئة من جرى على لسانه ذلك من عشاق الاشباح بجامع الهيئة الحاصلة من التأثر والوجدان في كل واستعار الكلام الدال على المشبه به للمشبه ـ على سبيل الاستعارة التمثيلية.

[الكامل]

تصرّمت منا أويقات الصبا ولم نجد من المشيب مهربا

فيه مجاز مرسل مركب، علاقته السببية. فإن هذا الكلام سبب في التحسر أو الملزومية. لأن الإخبار بهذا مستلزم للتحسر.

---

١٥ ـ شبه العيون بالنهر بجامع الصب الكثير في كل منهما ـ واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ثم حذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو فاض على سبيل الاستعارة الأصلية المكنية وفاض قرينتها وهي الاستعارة التخييلية ـ وكذا شبه السرور والأريحية بالضحك بجامع ما تجده النفس عند كل من المسرة ـ واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، ثم اشتق من الضحك بمعنى السرور ضحك بمعنى سر ـ على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

[الكامل]

ولئن نطقت بشكر برك مفصحًا ... فلسان حالي بالشكاية أنطق

فيه استعارة مكنية أصلية مرشحة وفاقية في كلمة حال. شبهت الحال بإنسان متكلم بجامع الدلالة في كل واستعير لفظ المشبه به للمشبه. وحذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (اللسان) على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية. وإثبات (اللسان) للحال تخييل، والنطق ترشيح. وفيه استعارة تصريحية تبعية في النطق. شبهت الدلالة بالنطق. واستعير لها اسمه. واشتق منه (أنطق) بمعنى أدل على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية. واللسان ترشيح - وهي وفاقية لإمكان اجتماع طرفيها اللذين هما النطق والدلالة في شيء.

[الرجز]

فإن تعافوا العدل والإيمانا ... فإنّ في إيماننا نيرانا

فيه استعارة مكنية أصلية في (العدل) و(الإيمانا) فإنه شبه (العدل) و(الإيمان) بشيء كريه يعاف، بجامع كراهة النفس لكل. واستعير لفظ المشبه به للمشبه وحذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (تعافوا) على طريق الاستعارة المكنية الأصلية وإثبات (تعافوا) للعدل و(الإيمان) تخييل - وفي (نيرانا) استعارة تصريحية أصلية شبهت السيوف القاطعة بالنيران بجامع الضرر في كل، واستعير لفظ المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية. وتسلط قوله «تعافوا» على كل من العدل والإيمان قرينة على أن المراد بالنيران السيوف.

أو من كان ميتًا فأحييناه - أي ضالًا فهديناه، فيها استعارتان تصريحيتان تبعيتان. الأولى عنادية. والثانية وفاقية.

ففي الأولى - شبه الموت بالضلال بجامع عدم النفع في كل. واستعير لفظ المشبه به للمشبه واشتق منه (ميتًا) بمعنى ضالًا على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية العنادية. لأنه لا يمكن اجتماع الموت والضلال في شيء.

وفي الثاني - شبه الهدى بالإحياء بجامع النفع في كل واستعير الإحياء للهدى. واشتق منه (أحيا) بمعنى هدى. على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية الوفاقية لأنه يمكن اجتماع الهدى والحياة في شيء.

ينقصون عهد الله - شبه إبطال العهد بفك طاقات الحبل بجامع عدم النفع في كل. واستعير اللفظ الدال على المشبه به وهو النقض للمشبه وهو الإبطال. واشتق منه ينقضون بمعنى يبطلون على طريق الاستعارة التصريحية التبعية المطلقة لأنها لم تقترن بشيء.

[الطويل]

لـدي أسـد شـاكـي الـسـلاح مـقـذف ... لـه لـبـد أظـفـاره لـم تـقـلّـم

شبه الرجل الشجاع بالأسد. واستعار الأسد للرجل الشجاع على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية المطلقة. لاقترانها بما يلائم المشبه. وبما يلائم المشبه به فإنه شاكي السلاح يناسب المشبه ـ وما بعده يناسب المشبه به والقرينة حالية (أي إنها تفهم من حالة المتكلم).

[مجزوء الرمل]

فـــوق خـــدّ الـــورد دمـــع ... مـــن عـــيـــون الـــسـحـب يـذرف

بـــرداء الـــشـــمـــس أضـحـى ... بـــعـــد مـــا أن ســـال يـــجـــف

شبه الورد بإنسان جميل بجامع الحسن في كل. وحذف المشبه به (إنسان) ورمز إليه بشيء من لوازمه (خد) على طريق الاستعارة المكنية الأصلية المرشحة والقرينة هي إضافة خد للورد ـ وشبه السحاب بإنسان بجامع النفع في كل، استعارة مكنية أصلية مرشحة ـ والقرينة إثبات العيون للسحب. وشبهت الشمس بامرأة حسناء بجامع الجمال في كل. استعارة مكنية أصلية مجردة. والقرينة هي إثبات رداء للشمس ويقال للقرينة في الجميع (استعارة تخييلية).

[المديد]

أثـــمـــرت أغـــصـــان راحـــتـــه ... لـــجـــنـــاة الـــحـــســـن عُـــنـــابـــا

شبهت الراحة بشجرة، بجامع الانتفاع من كل. استعارة مكنية أصلية مرشحة والقرينة هي إثبات جناة للحسن. وهي (استعارة تخييلية).

[الوافر]

إذا نـــزل الـــســـمـــاء بـــأرض قـــوم ... رعـــيـــنـــاه وإن كـــانـــوا غـــضـــابـــا

(السماء) بمعنى المطر. مجاز مرسل. علاقته السببية. أو المحلية ـ والقرينة هي (نزل).

بلاغة الاستعارة بجميع أنواعها

سبق لك أن بلاغة التشبيه آتية من ناحيتين، الأولى طريقة تأليف ألفاظه والثانية ابتكار مشبه به بعيد عن الأذهان. لا يجول إلا في نفس أديب وهب الله له استعدادًا سليمًا في تَعرف وجوهِ الشَّبَهِ الدقيقة بين الأشياء، وأودَعه قُدْرَةً على ربط المعاني وتوليد بعضها من بعضهم إلى مَدّى بعيدٍ لا يكاد ينتهي.

وسرُّ بلاغة الاستعارة لا يتعدى هاتين الناحيتين، فبلاغتها من ناحية اللفظ أنَّ تركيبَها يدل على تناسي التشبيه، وَيحْملُكَ عَمْدًا على تَخَيُّلِ صورة جديدة تُنْسِيك

رَوْعَتُهَا ما تَضَمَنَهَ الكلام من تشبيهٍ خفيٍّ مستور.

انظر إلى قول البُحتُري في الفَتْحِ بن خاقان:

[البسيط]

يَسْمُو بكَفٌ عَلى الْعَافِينَ حانِيَة ... تَهمى وَطَرفٍ إلى الْعَلياءِ طمّاح

ألست ترى كفه وقد تمَثّلت في صورة سحابة هِتَّانَة تَصبُّ وَبْلَها على العافين والسائلين، وأنَّ هذه الصورة قد تَمَلّكَتْ عليك مشاعرك فأذْهَلَتك عمّا اختبأ في الكلام من تشبيه؟

وإذا سمعتَ قوله في رثاء المتوكل وقد قُتلَ غِيلة:

[الطويل]

صَرِيعٌ تَقاضَاهُ اللّيَالي حشَاشَةً ... يَجُودُ بِهَا والْمَوْتُ حُمْرٌ أظَافِرُه[(١)]

فهل تستطيع أن تُبْعِد عن خيالك هذه الصورة المخيفة للموت، وهي صورة حيوان مفترس ضُرِّجَتْ أظفارهُ بدماء قتلاه؟

لهذا كانت الاستعارة أبلغَ من التشبيه البليغ، لأنه وإن بُني على ادعاء أن المشبهَ والمشبهَ به سواء لا يزال فيه التشبيه مَنْويًّا ملحوظًا.

بخلاف الاستعارة فالتشبيه فيها منسي مجحود، ومن ذلك يظهر لك أن الاستعارة المرشحة أبلغ من المطلقة، وأن المطلقة أبلغ من المجردة.

أما بلاغة الاستعارة من حيث الابتكار، وروعة الخيال، وما تحدثه من أثر في نفوس سامعيها، فمجال فسيح للإبداع، وميدان لتسابق المجيدين من فرسان الكلام أنظر إلى قوله عز شأنه في وصف النار:

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨﴾[(٢)].

ترتسم أمامك النار في صورة مخلوق ضخم، بطّاش مكفهر الوجه، عابس يغلي صدره حقدًا وغيظًا ـ عن البلاغة الواضحة.

---

(١) الصريع المطروح على الأرض، وتقاضاه أصله تتقاضاه حذفت إحدى التاءين، وهو من قولهم: تقاضى الدائن دينه إذا قبضة، والحشاشة بقية الروح في المريض والجريح ـ يصفه بأنه ملقى على الأرض يلفظ النفس الأخير من حياته.

(٢) سورة الملك: الآية ٨.

الباب الثالث

في الكناية

الكناية(1) لغة ما يَتكلّم به الإِنسان ويُرِيد به غيرَه وهي مصدر كنيتُ، أو كنوتُ بكذا

---

(١) توضيح المقام أنه إذا أطلق اللفظ وكان المراد منه غير معناه ـ فلا يخلو إما أن يكون معناه الأصلي مقصودًا أيضًا ليكون وسيلة إلى المراد. وإما ألّا يكون مقصودًا ـ فالأول ـ الكناية ـ والثاني ـ المجاز.

فالكناية عند علماء البيان ـ لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى معه «كلفظ طويل النجاد» المراد به طول القامة فإنه يجوز أن يراد منه طول النجاد أي علاقة السيف أيضًا، فهي تخالف المجاز من جهة إمكان إرادة المعنى الحقيقي مع إرادة لازمه، بخلاف المجاز فإنه لا يجوز فيه إرادة المعنى الحقيقي لوجود القرينة المانعة من إرادته، ومثل ذلك قولهم «كثير الرماد» يعنون به أنه كثير القرى والكرم، وقول الحضرمي: [الطويل]

قد كان تعجب بعضهن براعتي ... حتى رأين تنحنحي وسعالي

كنى عن كبر السن بتوابعه وهي التنحنح والسعال ـ وقولهم: المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه ـ وقوله: [الكامل]

إن المروءة والسماحة والندى ... في قبة ضربت على ابن الحشرج

وقوله: [الوافر]

وما بك فيّ من عيب فإني ... جبان الكلب مهزول الفصيل

فإن «جبان الكلب» كناية ـ وكذا «مهزول الفصيل» والمراد منهما ثبوت الكرم وكل واحدة على حدتها تؤدي هذا المعنى. وقد جاء عن العرب كنايات كثيرة كقوله: [السريع]

بيض المطابخ لا تشكو إماؤهموا ... طبخ القدور ولا غسل المناديل

ويروى أن خلافًا وقع بين بعض الخلفاء ونديم له في مسألة ـ فاتفقا على تحكيم بعض أهل العلم. فأحضر فوجد الخليفة مخطئًا. فقال: القائلون بقول أمير المؤمنين أكثر (يريد الجهال) وإذا كان الرجل أحمق قيل ـ نعته لا ينصرف، ونظر البديع الهمذاني إلى رجل طويل بارد ـ فقال: قد أقبل ليل الشتاء. ودخل رجل على مريض يعوده وقد اقشعر من البرد ـ فقال ما تجد فديتك ـ قال أجدك (يعني البرد) وإذا كان الرجل ملولًا قيل: هو من بقية قوم موسى، وإذا كان مُلحدًا قيل قد عبرَ (يريدون جسر الإيمان) وإن كان يسيىء الأدب في المؤاكلة قيل: تسافر يده على الخوان ويرعى أرض الجيران. ويقال عمَّن يكثر الأسفار: فلان لا يضع العصا عن عاتقه ـ وجاء في القرآن ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحجرات: ١٢] فإنه كنى عن الغيبة =

عن كذا - إذا تركت التّصريح به واصطلاحًا - لفظ أُطلق وأُريد به لازمُ معناه مع قرينة لا تَمنعُ من إرادة المعنى الأصلي نحو «زيد طويل النِّجاد» تُريد بهذا التركيب أنه شجاع عظيم، فعدلتَ عن التصريح بهذه الصفة إلى الإشارة إليها والكناية عنها لأنه يلزم من طول حِمَالة السيف طول صاحبه، ويلزم من طول الجسم الشجاعة عادة، فإذًا المراد طول قامته وإن لم يكن له نِجاد، ومع ذلك يصح أن يُراد المعنى الحقيقي - ومن هنا يُعلَم أنّ الفرقَ بين الكناية والمجاز صحة إرادة المعنى الأصلي في الكناية، دون

= بأكل الإنسان لحم الإنسان. وهذا شديد المناسبة لأن الغيبة إنما هي ذكر مثالب الناس وتمزيق أعراضهم - وتمزيق العرض مماثل لأكل الإنسان لحم من يغتابه ومن أمثال العرب قولهم لبستُ لفلان جلد النمر، وجلد الأرقم - كناية عن العداوة وكذلك قولهم: قلبت له ظَهر المِجَنّ كناية عن تغيير المودة. ويقول القوم - فلان بريء الساحة، إذا بَرّؤوه من تهمة - ورحب الذراع، إذا كان كثير المعروف - وطويل الباع في الأمر، إذا كان مقتدرًا فيه - وقويّ الظهر، إذا كثر ناصروه. ومن ذلك أن المنصور كان في بستان له أيام محاربته إبراهيم بن عبد الله بن الحسن فنظر إلى شجرة خلاف فقال للربيع، ما هذه الشجرة؟ فقال طاعة يا أمير المؤمنين. فتفاءل المنصور به، وعجب من ذكائه. ومثل ذلك: أن جلًا مر في صحن دار الرشيد ومعه حزمة خيزران، فقال الرشيد للفضل بن الربيع ما ذاك؟ فقال: الرماح يا أمير المؤمنين، وكره أن يقول «الخيزران» لموافقته اسم والدة الرشيد ومن كلامهم «فلان طويل الذيل» يريدون أنه غني حسن الحال. وعليه قول الحريري: [البسيط]

إن الغريب الطويل الذيل ممتهن ... فكيف حال غريب ما له قوت

وكذلك قولهم: فلان طاهر الثوب - أي منزه عن السيئات. وفلان دلس الثوب أي متلوث بها قال امرؤ القيس: [الطويل]

ثياب بني عوف طهارة نقية ... وأوجههم عند المشاهد غُرّات

ويقولون: فلان غمر الرداء - إذا كان كثير المعروف عظيم العطايا. قال كثير: [الكامل]

غمر الرداء إذا تبسم ضاحكًا ... غلقت لضحكته رقاب المال

ومن الكنايات اللطيفة ما ذكرها الأدباء في الشيب والكبر فيقولون: عرضت لفلان فترة، وعرض له ما يمحو ذنوبه. وأقمر ليله، ونوّر غصن شبابه. وفضض الزمان أبنوسه - وجاءه النذير. وقرع ناجذ الحلم. وارتاض بلجام الدهر. وأدرك زمان الحنكة. ورفض غرة الصبا. ولبّى دواعي الحِجى. ومن كناياتهم عن الموت: استأثر الله به. وأسعده بجواره. ونقله إلى دار رضوانه ومحل غفرانه، واختار له النقلة من دار البوار إلى دار الأبرار. ومن الكنايات أيضًا أن يقام وصف الشيء مقام اسمه كما ورد في القرآن ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣﴾ [القمر: ١٣] يعني السفينة فوضع صفتها موضع تسميتها كما ورد ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ۝٣١﴾ [ص: ٣١] يعني الخيل. وقال بعض المتقدمين: [السريع]

سألت قتيبة عن أبيها صحبة ... في الروح هل ركب الأغر الأشقرا

يعني هل قتل، لأن الأغر الأشقر وصف الدم فأقامه مقام اسمه.

المجاز فإنه ينافي ذلك.

نعم قد تمتنع إرادة المعنى الأصلي في الكناية لخصوص الموضوع كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾(١) وكقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾(٢) كناية عن تمام القدرة وقوة التّمكن والاستيلاء.

وتنقسم الكناية باعتبار المطلوب بها إلى ثلاثة أقسام ـ فإن المطلوب بها قد يكون صفة من الصفات، وقد يكون موصوفًا، وقد يكون نسبة الأول الكناية التي يُطلب بها صفة من الصّفات نوعان:

١ ـ كناية قريبة ـ وهي ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بغير واسطة المعنى المُنتقل عنه، والمعنى المُنتقل إليه ـ نحو:

[المتقارب]

رفيعُ العِماد طويل النِّجا ... دِ ساد عشيرته أمردًا

٢ ـ وكناية بعيدة ـ وهي ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بواسطة أو بوسائط نحو «فلان كثير الرَّماد» كناية عن المضياف، والوسائط هي الانتقال من كثرة الرماد إلى كثرة الإحراق، ومنها إلى كثرة الطبخ والخبز. ومنها إلى كثرة الضيوف. ومنها إلى المطلوب وهو المضياف الكريم.

الثاني الكناية التي يراد نِسبة أمر لآخر إثباتًا أو نفيًا، فيكون المكنِيُّ عنه نسبةً ـ نحو:

[الكامل]

إن السماحَةَ والْمُرُوءة والنّدى ... في قُبَّةٍ ضربت على ابن الْحَشْرَجِ

فإنَّ جعل هذه الأشياء الثلاثة في مكانه المختص به يستلزم إثباتها له واعلم أن الكناية المطلوب بها نسبة.

إمّا أن يكون ذو النسبة مذكورا فيها ـ كقول الشاعر:

[الرجز]

الْيمن يَتبع ظِلّه ... والمجد يمشِي في ركابه

وإمّا أن يكون غير مذكور كقولك «خير الناس من ينفع الناس» كناية عن نفي الخيرية عمّن لا ينفعهم.

---

(١) سورة الزمر: الآية ٦٧.

(٢) سورة طه: الآية ٥.

الثالث ـ الكناية التي لا يُراد بها صفة ولا نِسبة، بل يكون المكني عنه موصوفًا.

إمّا معنى واحدًا «كموطن الأسرار» كناية عن القلب، كما في قول الشاعر:

[الطويل]

فلّما شربناها ودبّ دبيبها إلى موطن الأسرار قلت لها قفي

وإمّا مجموع معان كقولك «جاءني حيٌّ مُستوي القامة عريض الأظفار» (كناية عن الإنسان) لاختصاص مجموع هذه الأوصاف الثلاثة به، ونحو:

[الكامل]

الضاربين بكلِّ أبيض مِخْذَم والطّاعنين مجامع الأضغان[1]

ويشترط في هذه الكناية أن تكون الصّفة أو الصفات مختصّةً بالموصوف، ولا تتعدّاه ليحصلُ الانتقال منها إليه.

وتنقسم أيضًا باعتبار الوسائط (اللّوازم) والسِّياق إلى أربعة أقسام تعريض، وتلويح، ورمز، وإيماء.

١ ـ فالتّعريض لغة ـ خلاف التصريح واصطلاحًا ـ هو أن يُطلق الكلام ويُشار به إلى معنى آخر يفهم من السِّياق نحو قولك للمؤذي (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمسَلِمُونَ مِنْ لِسَانه وَيَدِه) تعريضًا بنفي صفة الإسلام عن المؤذي، وكقوله:

[الطويل]

إذا الجُودُ لم يُرزَق خلاصًا من الأذى فلا الحمد مكسوبًا ولا المال باقيا

٢ ـ والتّلويح لغة ـ أن تُشيرَ إلى غيركَ من بُعدٍ، واصطلاحًا ـ هو الذي كثرتْ وسائطه بلا تعريض، نحو:

[الوافر]

وما يَكُ فيَّ مَن عيب فإنّي جَبانُ الكلب مهزولُ الْفصيلِ

كنى عن كرم الممدوح بكونه جبان الكلب مهزول الفصيل فإن الفكر ينتقل إلى جملة وسائط.

٣ ـ والرَّمز لغة ـ أن تُشير إلى قريب منك خفية بنحو شَفَة أو حاجِب واصطلاحًا هو الذي قلّت وسائطه مع خفاء في اللزوم بلا تعريض نحو فلان عريض القَفا، أو عريض الوِسادة ـ كناية عن بلادته وبلاهته ونحو: هو مكتنز اللّحم، كناية عن شجاعته، ومُتناسب الأعضاء،

---

(١) الضاربين منصوب بأمدح المحذوف، والأبيض السيف، والمخذم بكسر الميم وسكون الخاء وفتح الذال المعجمتين القاطع، والأضغان جمع ضغن وهو ما انطوى عليه الصدر من الحقد ـ كنى الشاعر بجامع الأضغان عن القلوب، وهي لا صفة. ولا نسبة بل هي موصوف.

كناية عن ذكائه، ونحو: غليظ الكبد، كناية عن القسوة - وهلم جرًا.

والإيماء أو الإشارة هو الذي قَلّت وسائطه مع وضوح اللّزوم بلا تعريض، كقول الشاعر:

[الكامل]

أوَمَا رأيت المجد ألقى رحله   في آلِ طلحَةَ ثم لم يتحوَّل

كناية عن كونهم أمجادًا أجوادًا بغاية الوضوح. ومن لطيف ذلك قول بعضهم:

[الطويل]

سَأَلْتُ النّدَى والجُودَ ما لي أَراكما   تَبَدَّلْتُما ذلّاً بعزٍّ مُؤبَّدِ
وما بالُ رُكن المجْدِ أمْسَى مُهدَّمًا   فقالا أُصبنا بابن يحيى محمدِ
فقلتُ فهلَّا مُتُّما عند مَوتِهِ   فَقَدْ كنتُما عبْدَيْهِ في كلِّ مَشْهَدِ
فقالا أقمنا كي نُعزَّى بفقده   مَسافة يومٍ ثم نَتلوه في غَد

والكناية من ألطف أساليب البلاغة وأدقّها، وهي أبلغ من الحقيقة والتصريح لأن الانتقال فيها يكون من الملزوم إلى اللازم فهو كالدّعوى ببيِّنة، فكأنك تقول في «زيد كثير الرماد» زيد كريم لأنه كثير الرماد وكثرته تستلزم كذا الخ - كيف لا وأنّها تمكّن الإنسان من التّعبير عن أمور كثيرة يتحاشى الإفصاح بذكرها، إمّا احترامًا للمخاطب، أو للإبهام على السامعين، أو للنيل من خصمه دون أن يدع له سبيلًا عليه، أو لتنزيه الأذن عمّا تنبو عن سماعه، ونحو ذلك من الأغراض واللّطائف البلاغية.

[الخفيف]

إنّ في ثوبك الذي المجدُ فيه   لَضياءً يُزري بكلّ ضياءِ

تمرين (٢)

بيّن نوع الكنايات الآتية، وبين منها ما يصح فيه إرادة المعنى المفهوم من صريح اللفظ وما لا يصح:

١ - وصف أعرابي رجلًا بسوء العِشرة فقال كان إذا رآني قَرَّبَ منْ حاجبٍ حاجبًا.

تمرين

بيّن أنواع الكنايات الآتية وعيّن لازم معنى كل منها:

١ - قال البحتري يصف ذئبًا قَتَلَهُ: [الطويل]

فَأَتْبَعْتُهَا أخرَى فأضللْت نَصْلَهَا   بحَيْث أنْ يَكُون اللُّبُّ والرُّعْبُ والحقْدُ(١)

(١) ضمير أتبعتها يعود على الطعنة، وأضللت أخفيت، والنصل حديدة السيف واللب العقل، والرعب الفزع =

٢ ـ وقال أبو نواس في المديح:

[الطويل]

فَـمَـا جَـازَهُ جُـودٌ وَلا حَـلَّ دُونَـهُ وَلَـكِـنْ يَـسِـيـرُ الـجُـودُ حَـيْـثُ يَـسِـيـر

٣ ـ وَتَكْنِي العربُ عمّن يجاهر غيرَه بالعداوة بقولهم:

لبِس له جِلْدَ النَّمِرِ، وجِلْدَ الأَرْقَمْ[1]، وقَلَبَ له ظَهْرَ المِجَنِّ[2].

٤ ـ فلان عريض الوِساد[3] أغمُّ القَفا[4].

٥ ـ وقال الشاعر:

[الطويل]

تَـجُـولُ خَـلاَخِـيـلُ الـنِّـسَـاءِ وَلا أَرَى لِـرَمْـلَـةَ خَـلْـخَـالًا يَـجُـولُ وَلا قُـلْـبَـا[5]

٦ ـ وتقول العرب في المديح: الكرم في أثناء حُلّته؛ ويقولون: فلان نفخ شِدْقَ أي تكبر، ووَرِم أنفُه ـ إذا غضب.

٧ ـ قالت أعرابية لبعض الوُلاة: أشكو إليك قِلّةَ الجرْذَانِ[6].

---

(١) الأرقم الحية فيها سواد وبياض.

(٢) المجنّ الترس، وقلب له ظهر المجن مثَل يضرب لمن كان لصاحبه على مودة ورعاية ثم حال عن العهد.

(٣) عريض الوساد أي طويل العنق إلى درجة الإفراط، وهذا مما يُستدل به على البلاهة وقلة العقل.

(٤) الغَمَم غزارة الشعر حتى تضيق منه الجبهة أو القفا ـ وكان يزعم العرب أن ذلك دليل على الغباوة.

(٥) رَملة اسم امرأة، والقُلب بالضم السوار.

(٦) الجرذان جمع جُرذ وهو ضرب من الفأر.

---

٢ ـ وقال آخر في رثاء من مات بِعِلَّة في صدره: [الطويل]

وَدَبَّـتْ لَـهُ فِـي مَـوْطِـنِ الـحِـلْـمِ عِـلَّـةٌ لَـهَـا كَـالـصِّـلاَلِ الـرُّقْـشِ شَـرُّ دَبِـيـبِ[1]

٣ ـ ووصف أعرابي امرأة فقال: تُرْخِي ذيلها على عُرْقُوبَيْ نعَامة

= والخوف ـ واعلم أن الكناية إمّا حسنة وهي ما جمعت بين الفائدة ولطف الإشارة كما في الأمثلة السابقة ـ وإمّا قبيحة وهي ما خلت عن الفائدة المرادة وهي معيبة لدى أرباب البيان كقول المتنبي: [الكامل]

إنـي عـلـى شَـغَـفـي بـمـا فـي خُـمْـرهـا لأعـفّ عـمّـا فـي سَـراويـلاتـهـا

كناية عن النزاهة والعفة. إلا أنها قبيحة لسوء تأليفها وقبح تركيبها.

(١) الصلال جمع صِلّ بالكسر ضرب من الحيات صغير أسود لانجاة من لدغته، والرقش جمع رقشاء وهي التي فيها سواد في بياض، والحية الرقشاء من أشد الحيات إيذاء.

٨ ـ وقال الشاعر:

[البسيط]

بِيضُ الْمَطَابِخِ لاَ تَشْكُو إمَاؤهُمُ طَبْخَ الْقُدُورِ وَلاَ غَسْلَ الْمَنَادِيلِ

٩ ـ وقال آخر:

[المنسرح]

مَطْبَخُ دَاوُدَ فِي نَظَافَتِهِ أشْبَهُ شَيْءٍ بِعَرْش بِلْقِيسِ(١)
ثِيَابُ طَبَّاخِهِ إذا اتَّسَخَتْ أنْقى بَيَاضًا مِنَ الْقَرَاطِيس

١٠ ـ وقال آخر:

[مجزوء الرجز]

فَتَى مُخْتَصَرُ الْمَأكُو لِ وَالْمَشْرُوبِ وَالعِطْرِ
نَقِيُّ الْكَأسِ وَالْقَصْعَةِ والْمِنْدِيلِ وَالْقِدْرِ

١١ ـ وقال آخر:

[الرجز]

اليُمنُ يتبع ظِلَّهُ والمجدُ يمشي في رِكابِهِ

١٢ ـ وقال آخر:

[المنسرح]

أصبح في قيدك السـ ـماحة والمجدُ وفضلُ الصّلاح والحسب

[الطويل]

فَلَسْنَا عَلَى الأعْقَابِ تَدْمِي كُلومُنَا وَلَكِنْ عَلَى أقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدِّمَا(٢)

المجدُ بَينَ ثوبَيك. والكرم مِلءُ بُردَيك.

بلاغة الكناية

الكِنَاية مَظْهَر من مظاهر البلاغة، وغاية لا يَصِل إليها إلا من لَطُف طبعُهُ وَصَفَتْ قريحته، والسِّرُّ في بلاغتها أنها في صور كثيرة تُعْطيك الحقيقة مصحوبةً بدليلها، والقضيةَ وفي طيِّها بُرْهَانها، كقول البحتُري في المديح:

---

(١) بلقيس بكسر الباء ملكة سبأ، وسبأ عاصمة قديمة لبلاد اليمن.

(٢) الأعقاب جمع عَقِب وهو مؤخر القدم، والكلوم الجراح، يقول: نحن لا نَولّي فنجرحَ في ظهورنا فتقطر دماء كلومنا على أعقابنا، ولكنا نستقبل السيوف بوجوهنا فإن جُرحنا قطرت الدماء على أقدامنا.

[الطويل]

يَغضونَ فَضْلَ اللحْظِ مِنْ حَيْثُ مَا بَدَا لَهُمْ عَنْ مَهِيبٍ فِي الصُّدُورِ مُحَبَّب

فإنه كَنى عن إكبار الناس للممدوح وهَيْبَتِهِم إيَّاه بِغَضِّ الأبصار الذي هو في الحقيقة برهان على الهيبة والإجلال، وتظهر هذه الخاصة جلية في الكنايات عن الصفة والنسبة.

ومن أسباب بلاغة الكنايات أنها تَضَعَ لك المعاني في صورة المُحَسَّات، ولا شك أنّ هذه خاصة الفنون، فإنّ المصوِّر إذا رَسَمَ لك صورة للأمَل أو لليأس بَهَرَك وَجعلَك ترى ما كنت تَعْجز عن التعبير عنه واضحًا ملموسًا.

فمثل «كثير الرماد» في الكناية عن الكرم «ورَسُول الشرِّ» في الكناية عن المِزَاح - وقول البحتري:

[الكامل]

أَوَمَا رَأَيْتَ المـجْـدَ أَلْـقَـى رَحْـلَـهُ فِـي آلِ طَـلْـحَـةَ ثُـمَّ لَـمْ يَـتَـحَـوَّلِ

في الكناية عن نسبة الشرف إلى آل طلحة، كلُّ أولئك يُبرز لك المعاني في صورة تشاهدها وترتاح نفسك إليها.

ومن خواص الكناية أنها تمكِّنك من أن تَشفِيَ غُلّتك من خَصمك من غير أن تجعل له إليك سبيلًا، ودون أن تَخْدِش وجه الأدب، وهذا النوع يسمى بالتعريض، ومثاله قول المتنبي في قصيدة يمدح بها كافورًا ويعَرِّض بسيف الدولة:

[الطويل]

رَحَلْتُ فَكَمْ بـاكٍ بـأجْـفـانِ شَـادِنٍ عَـلَـيَّ وَكَـمْ بـاكٍ بـأجْـفـانِ ضَـيْـغَـمِ(١)

وَمَـا رَبـةُ الـقُـرْطِ الـمَـلِـيـحِ مَـكَـانُـهُ بِأجْزَعِ مِنْ رَبِّ الحُسَامِ المُصممِ(٢)

فَلَوْ كَانَ ما بِي مِنْ حَبِيبٍ مُقَنَّعٍ عـذَرْتُ وَلـكِـنْ من حبيبٍ مُعَمَّمِ

رَمَىٰ واتَّقى رَميي ومِنْ دُون ما اتَّقى هَوًى كاسرٌ كفِّي وقوْسي وأسْهُمي

إذا ساءَ فِعْلُ المرءِ ساءَتْ ظُنُونُهُ وصَـدَّقَ مـا يَـعْـتَـادُه مِـنْ تَـوَهُّـمِ

فإنه كَنى عن سيف الدولة أولًا بالحبيب المُعَمَّم، ثم وصفه بالغدر الذي يَدَّعي أنه من شِيمةَ النساء، ثم لامَهُ على مبادهته بالعُدوان، ثم رماه بالجبن لأنه يَرْمي ويتّقي

(١) الشادن ولد الغزال، والضيغم الرجل الشجاع. يقول: كم من نساء ورجال بكوا على فراقي وجزعوا لارتحالي.

(٢) القُرط ما يعلق في شحمة الأذن، والحسام السيف القاطع، والمصمم الذي يصيب المفاصل ويقطعها، يقول لم تكن المرأة الحسناء بأجزع على فراقي من الرجل الشجاع.

الرمي بالاستتار خلف غيره، على أنّ المتنبي لا يجازيه على الشر بمثله، لأنه لا يزال يحمل له بين جوانحه هوى قديمًا يكسِر كفه وقَوسَه وأسْهُمَه إذا حاول النضال، ثم وصفه بأنه سيء الظن بأصدقائه، لأنه سيء الفعل كثير الأوهام والظنون، حتى ليظنَ أن الناس جميعًا مثله في سوء الفعل وضعفِ الوفاء. فانظر كيف نال المتنبي من سيف الدولة هذا النَّيْل كله من غير أن يذكر من اسمه حرفًا.

هذا، ومن أوضح ميزات الكناية التعبيرُ عن القبيح بما تسِيغ الآذان سماعَه وأمثلة ذلك كثيرة جدًّا في القرآن الكريم وكلام العرب، فقد كانوا لا يُعبِّرون عمّا لا يحسن ذكره إلّا بالكناية، وكانوا لشدَّة نَخْوتهم يَكْنونَ عن المرأة بالبَيْضة والشاة ـ ومن بدائع الكنايات قول بعض العرب:

[الوافر]

أَلاَ يَـا نَـخْـلَـةً مِـنْ ذَاتِ عِـرْقٍ[1] عَـلَـيْـكِ وَرَحْـمَـةُ الـلَّـهِ الـسَّـلاَمُ

فإنه كنى بالنخلة عن المرأة التي يحبها ـ عن البلاغة الواضحة.

أثر علم البيان في تأدية المعاني

ظهرت لك من دراسة علم البيان مَعْنًى واحدًا يستطاع أداؤه بأساليب عدَّةٍ وطرائِقَ مختلفة، وأنّه قد يُوضع في صورة رائعة من صور التشبيه ـ أو الاستعارة أو المجاز المرسل، أو العقلي، أو الكناية.

فقد يصف الشاعر إنسانًا بالكرم فيقول:

[المتقارب]

يُـريـد الـمُـلُـوكُ مَـدَى جَـعْـفَـرٍ وَلاَ يَـصْـنَـعُـونَ كَـمـا يَـصْـنَـعُ
ولَـيْـسَ بِـأَوْسَـعِـهِـمْ فِـي الْـغِـنـى وَلَـكِـنَّ مَـعْـرُوفَـهُ أَوْسَـعُ

وهذا كلام بليغ جدًّا مع أنه لم يُقْصَد فيه إلى تشبيه أو مجاز، وقد وصف الشاعر فيه ممدوحه بالكرم، وأن الملوك يريدون أن يبلغوا منزلته، ولكنهم لا يشترون الحمد بالمال كما يفعل، مع أنه ليس بأغنى منهم، ولا بأكثر مالًا.

وقد يعمد الشاعر عند الوصف بالكريم إلى أسلوب آخر فيقول:

[الكامل]

كَـالْـبَـحْـرِ يَـقْـذِفُ لِـلْـقَـرِيـبِ جَـوَاهِـرًا جُـودًا وَيَـبْـعَـثُ لِـلْـبَـعِـيـدِ سَـحَـائِـبَـا

فيشبِّه الممدوحَ بالبحر، ويَدفَعُ بخيالك إلى أن يضاهي بين الممدوح والبحر الذي

---

(١) ذات عرق موضع بالبادية وهو مكان إحرام أهل العراق.

يقذِف الدرر للقريب، ويرسل السحائب للبعيد.

أو يقول:

[الطويل]

هُوَ الْبحْرُ مِنْ أيِّ النوَاحي أتَيْتَهُ فَلُجَّتُهُ المَعرُوفُ وَالجُودُ سَاحِلُه

فيدّعي أنه البحر نفسه، وينكر التشبيه نكرانًا يدل على المبالغة وادعاء المماثلة الكاملة أو يقول:

[البسيط]

عَلاَ فَما يَسْتقرُّ المالُ في يَدِه وَكيْفَ تُمْسِكُ مَاءَ قُنَّةُ الجَبَلِ؟

فيرسل إليك التشبيه من طريق خفيّ ليرتفع الكلام إلى مرتبة أعلى في البلاغة وليجعل لك من التشبيه الضمنيّ دليلًا على دعواه، فإنه ادّعى أنه لعلو منزلته ينحدر المال من يديه، وأقام على ذلك برهانًا فقال «وكيف تمسك ماء قنة الجبل» أو يقول:

[الطويل]

جَرَى النَّهر حَتَّى خِلْتُهُ مِنْكَ أنْعُمَا تُسَاق بِلاَ ضَنٍّ وتُعْطَى بِلاَ مَنِّ

فيقلب التشبيه زيادة في المبالغة وافتنانًا في أساليب الإجابة. ويشبه ماء النهر بنعم الممدوح ـ بعد أن كان المألوف أن تشبيه النعم بالنهر الفياض.

أو يقول:

[الطويل]

كأنّهُ حِينَ يعْطي الْمالَ مبْتَسِمًا صَوْبُ الغمامَةِ تَهمِي وهْيَ تَأتَلِقُ

فعمِد إلى التشبيه المركب، ويعطيك صورة رائعة تمثل لك حالة الممدوح وهو يجود ـ وابتسامة السرور تعلو شفتيه.

أو يقول:

[البسيط]

جَادَتْ يدُ الْفتْحِ والأنْواءُ بَاخِلةٌ وذَاب نَائِلُهُ وَالْغَيْثُ قَدْ جَمَدَا

فيضاهي بين جود الممدوح والمطر، ويدَّعي أن كرم ممدوحه لا ينقطع إذا انقطعت الأنواء، أو جَمَد القطر.

أو يقول:

[الكامل]

قَدْ قلْتُ لِلغيْمِ الرُّكَامِ وَلَجَّ فِي إبْراقِهِ وألَحَّ فِي إرعادِهِ[1]

(١) الغيم الركام المتراكم، ولج وألح كلاهما بمعنى استمر.

لاَ تَـعْـرِضَـنَّ لِـجَـعْـفَـرٍ مُـتَـشَـبِّـهـا   بِـنَـدَى يـدَيْـهِ فَـلَـسْـتَ مِـنْ أَنْـدَادِهِ

فيصرح لك في جلاء وفي غير خشية بتفضيل جود صاحبه على جود الغيم ولا يكتفي بهذا بل تراه يَنْهى السحاب في صورة تهديد أن يحاول التشبه بممدوحه لأنه ليس من أمثاله ونظرائه.

أو يقول:

[الطويل]

وأقْبَلَ يمشِي فِي الْبِساط فَمَا دَرَى   إلى الْبَحْرِ يَسْعَى أم إلى الْبَدْرِ يَرْتَقي

يصف حال رسول الروم داخلًا على سيف الدولة فَيَنْزع في وصف الممدوح بالكرم إلى الاستعارة التصريحية، والاستعارة كما علمت مبنية على تناسي التشبيه والمبالغة فيها أعظم، وأثرها في النفوس أبلغ.

أو يقول:

[المتقارب]

دَعَـوتُ نَـدَاهُ دَعْـوةً فـأَجَـابَـنِـي   وعَـلَّـمَـنـي إحـسَـانُـهُ كَـيْـفَ آمُـلـه

فيشبه نَدى ممدوحه وإحسانه بإنسان، ثم يحذف المشبه به ويرمز إليه بشيء من لوازمه - وهذا ضربٌ آخر من ضروب المبالغة التي تُساق الاستعارة لأجلها:

أو يقول:

[الطويل]

ومَـنْ قَـصَـدَ الْـبَـحـرَ اسْـتَـقَـلَّ الـسَّـوَاقِـيَـا

فيرسل العبارة كأنّها مَثلٌ، ويصوِّر لك أن من قصد ممدوحه استغنى عمّن هو دونه، كما قاصد البحر لا يأبُه للجداول، فيعطيك استعارة تمثيلية، لها روعة وفيها جمال، وهي فوق ذلك تحمل برهانًا على صدق دعواه، وتؤيد الحال الذي يدّعيها أو يقول:

[البسيط]

مَـا زِلْـتَ تـتْـبـعُ مَـا تُـولِـي يَـدًا بِـيَـدٍ   حَـتّـى ظَـنَـنْـتُ حَـيَـاتِـي مِـنْ أيـادِيـكـا

فيعدل عن التشبيه والاستعارة إلى المجاز المرسل، ويطلق كلمة «يد» ويريد بها النعمة، لأن اليد آلة النعم وسببها.

أو يقول:

[البسيط]

أعَـادَ يَـومُـكَ أيـامِـي لِـنَـضـرِتـهَـا   واقْتَصَّ جودُك مِنْ فُقْري وإعسَاري

فيسند الفعل إلى اليوم - وإلى الجود على طريقة المجاز العقلي.

أو يقول:

[الطويل]

فَـمَـا جـازَهُ جُـودٌ ولا حَـلَّ دُونَـه ... ولَـكـنْ يَـسـيـر الـجـود حيث يـسـيـر

فيأتي بكناية عن نسبة الكرم إليه، بادّعاء أن الجود يسير معه دائمًا، لأنه بَدَل أن يحكم بأنه كريم ادّعى أن الكرم يسير معه أينما سار، ولهذه الكناية من البلاغة والتأثير في النفس وحسن تصوير المعنى فوق ما يجده السامع في غيرها من بعض ضروب الكلام.

فأنت ترى أنه من المستطاع التعبير عن وصف إنسان بالكرم بأربعة عشر أسلوبًا - كلٌّ له جماله وحسنه وبراعته، ولو نشاء لأتينا بأساليب كثيرة أُخرى في هذا المعنى، فإن للشعراء ورجال الأدب افتنانًا وتوليدًا للأساليب والمعاني لا يكاد ينتهي إلى حد، ولو أردنا لأوردنا لك ما يقال من الأساليب المختلفة المناحي في صفات أخرى كالشجاعة والإباء والحزم وغيرها، ولكنا لم نَقْصِد إلى الإطالة، ونعتقد أنك عند قراءتك الشعرَ العربيَّ والآثار الأدبية ستجد بنفسك هذا ظاهرًا وسَتَدْهَش للمَدَى البعيدِ الذي وصل إليه العقل الإنساني في التصوير البلاغيّ والإبداع في صوغ الأساليب - عن البلاغة الواضحة.

تم بحمد الله علم البيان ويليه علم البديع بعونه تعالى.

علم البديع

البديع لغة المخُتَرع المُوجَد على غير مثال سابق، وهو مأخوذ من قولهم بدع الشيءَ، وأبدعه اخترعَه لا على مثال[١].

واصطلاحًا هو علم يُعْرف به الوجوه[٢] والمزايا التي تزيد الكلام حسنًا وطلاوة وتكسوه بهاءً ورونقًا بعد مطابقته لمقتضى الحال ووضوح دلالته على المراد.

وواضعه عبد الله بن المُعتَز المُتوفَّى سنة ٢٧٤ هجرية ـ ثم اقتفى أثره قُدامة بن جعفر الكاتب، ثم ألّف فيه كثيرون كَأبي هلال العسكري وابن رشيق القيرواني، وصفي الدين الحِلي، وابن حَجَّة الْحَموِي ـ وغيرهم.

وفي هذا العلم، بابان وخاتمة.

---

(١) البديع فعيل بمعنى مُفعَّل أو بمعنى مفعول ـ ويأتي البديع بمعنى اسم الفاعل في قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧، الأنعام: ١٠١] أي مبدعها.

(٢) وجوه التحسين أساليب وطرق معلومة وضعت لتزيين الكلام وتنميقه. وتحسين الكلام بعلمي المعاني والبيان «ذاتي» وبعلم البديع «عرضي».

ووجوه التحسين إما معنوية وإما لفظية. فالبديع المعنوي هو الذي وجبت فيه رعاية المعنى دون اللفظ فيبقى مع تغيير الألفاظ كقوله: [الوافر]

أتطلب صاحبًا لا عيب فيه … وأنت لكل من تهوى رَكوب

ففي هذا القول ضربان من البديع (هما الاستفهام والمقابلة) لا يتغيران بتبدل الألفاظ كما لو قلت مثلًا: كيف تطلب صديقًا منزهًا عن كل نقص، مع أنك أنت نفسك ساع وراء شهواتك؟

والبديع اللفظي ـ هو ما رجعت وجوه تحسينه إلى اللفظ دون المعنى فلا يبقى الشكل إذا تغير اللفظ ـ كقوله: [المجتث]

إذا ملك لم يكن ذا هِبه … فدعه فدولته ذاهبه

فإنك إذا أبدلت لفظة (ذاهبة) بغيرها ولو بمعناها فيسقط الشكل البديعي بسقوطها.

وملخص القول أن المحسنات المعنوية هي ما كان التحسين بها راجعًا إلى المعنى أولًا وبالذات، وإن حسنت اللفظ تبعًا ـ والمحسنات اللفظية هي ما كان التحسين بها راجعًا إلى اللفظ بالأصالة، وإن حسنت المعنى تبعًا.

وقد أجمع العلماء على أن هذه المحسنات خصوصًا اللفظية منها لا تقع موقعها من الحسن إلا إذا طلبها المعنى فجاءت عفوًا بدون تكلّف وإلاّ فمبتذلة.

الباب الأول

في المحسنات المعنوية

١ ـ التورية(١)

التّورية لغة مصدر ورّيت الخبر تورية إذا سترته، وأظهرت غيره واصطلاحًا ـ هي

---

(١) التورية أن يطلق لفظ له معنيان. أحدهما قريب. والآخر بعيد فيراد البعيد منهما، ويورّى عنه بالقريب.

وتنقسم التورية إلى أربعة أقسام ـ مجردة. ومرشحة. ومبينة. ومهيأة.

١ـ فالمجردة ـ هي التي لم تقترن بما يلائم المعنيين كقول الخليل لما سأله الجبار عن زوجته: فقال «هذه أختي» ـ أراد أخوة الدّين وكقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠].

٢ـ والمرشحة ـ هي التي اقترنت بما يلائم المعنى القريب وسمّيت بذلك لتقويتها به لأن القريب غير مراد فكأنه ضعيف فإذا ذكر لازمه تقوّى به نحو ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧] فإنه يحتمل الجارحة وهو القريب، وقد ذكر من لوازمه البنيان على جهة الترشيح ويحتمل القدرة وهو البعيد المقصود، وهي قسمان باعتبار ذكر اللازم قبلها أو بعدها.

٣ـ والمبينة ـ هي ما ذكر فيها لازم المعنى البعيد ـ سميت بذلك لتبيين الموّرى عنه بذكر لازمه، إذ كان قبل ذلك خفيًا فلما ذكر لازمه تبيّن، نحو: [الخفيف]

يا من رآني بالهموم مطوقًا ... وظلت من فقدي غصونًا في شجون
أتلومني في عظم نوحي والبكا ... شأن المطوق أن ينوح على غصون

وهي أيضًا قسمان باعتبار ذكر اللازم قبل أو بعد.

٤ـ والمهيأة ـ هي التي لا تقع التورية فيها إلا بلفظ قبلها أو بعدها، فهي قسمان أيضًا فالأول ـ وهو ما تتهيأ بلفظ قبل، نحو قوله: [الطويل]

وأظهرت فينا من سماتك سنّة ... فأظهرت ذاك الفرض من ذلك النّدب

فالفرض والندب معناهما القريب الحكمان الشرعيان، والبعيد: الفرض معناه العطاء والندب الرجل السريع في قضاء الحوائج، ولولا ذكر السُّنة لما تهيأت التورية ولا فُهم الحكمان.

والثاني ـ وهو ما تتهيأ بلفظ بعد: كقول الإمام علي رضي الله تعالى عنه في الأشعث بن قيس أنه كان يحرك الشمال باليمين، فالشمال معناها القريب ضد اليمين، والبعيد جمع شملة، ولولا ذكر =

أن يذكر المتكلم لفظًا مفردًا له معنيان، أحدهما قريب ظاهر غير مُراد، والآخر بعيد خفيٌّ هو المراد بقرينة، ولكنه ورّى عنه بالمعنى القريب، فيتوهّم السامع لأول وهلة أنه مُراد وليس كذلك كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾[1] أراد بقوله جرحتم معناه البعيد وهو ارتكاب الذنوب، ولأجل هذا سُمّيت التَّوْرية «إيهامًا وتخييلًا» وكقول سراج الدين الورّاق:

[الوافر]

أَصونُ أدِيمَ وجهي عن أُناسٍ ... لقاءُ الموتِ عندهُم الأَديبُ
ورَبُّ الشِّعرِ عندهُمُ بغيضٍ ... ولو وافى به لهُمُ «حبيبُ»

وكقوله:

[الكامل]

أبياتُ شعرِك كالقصـ ... ـور ولا قصورَ بها يعوقْ
ومن العجائبِ لفظُها ... حُرٌّ ومعناها «رقيقْ»

٢ ـ الاستخدام

هو ذكر لفظ مُشترَك بين معنيين يُراد به أحدهما. ثم يُعاد عليه ضمير أو إشارة بمعناه الآخر، أو يُعاد عليه ضميران يُراد بثانيهما غير ما يراد بأولهما.

فالأول ـ كقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[2] أُرِيدَ بالشّهر الهلال، وبضميره الزّمان المعلوم، وكقول معاوية بن مالك:

[الوافر]

إذا نزل السماءُ بأرض قومٍ ... رَعيناه وإن كانوا غِضابا

أراد بالسماء المطر، وبضميره في «رعيناه» النبات[3] وكلاهما معنى مجازي للسماء.

= اليمين بعده لما فهم منه السامع معنى اليد الذي به التورية: ومن المجردة قوله: [الطويل]

حملناهموا طرًّا على الدهم بعدما ... خلعنا عليهم بالطعان ملابسا

فإن الدهم له معنيان ـ قريب وهو الخيل الدهم، وليس مرادًا. وبعيد وهو القيود الحديد السود وهو المراد. ومن المرشحة قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة: ٢٩] فإن المراد من اليد الذلة وقد اقترنت بالإعطاء الذي يناسب المعنى القريب وهو العضو.

(١) سورة الأنعام: الآية ٦٠. (٢) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

(٣) ملخص الاستخدام هو أن يؤتى بلفظ له معنيان فيراد به أحدهما، ثم بضميره المعنى الآخر كقول الشاعر: [البسيط] =

والثاني ـ كقول البُحتُري:

[الكامل]

فسقى الغضا والسّاكِنيه وإن همو ... شبُّوه بين جوانحي وضلوعي

الغضا شجر بالبادية، وضمير ساكنيه راجع إلى الغضا باعتبار المكان وضمير شبوه يعود إليه بمعنى النار الحاصلة من شجر الغضا، وكلاهما مجاز للغضا.

٣ ـ الاستطراد

هو أن يخرج المتكلم من الغرض الذي هو فيه إلى آخر لمناسبة بينهما ثم يرجع إلى إتمام الأول كقول السموءَل:

[الطويل]

وإنّا أُناس لا نرى القتل سبَّة ... إذا ما رأته عامرٌ وسلولُ
يقرّب حبّ الموت آجالنا لنا ... وتكرهه آجالُهُم فتطولُ
وما مات منّا سيدٌ حَتف أنفه ... ولا طُلَّ منّا حيثُ كان قتيل

فسياق القصيدة للفخر، واستطرد منه منتقلًا إلى هجو قبيلتي «عامر وسلول» ثم عاد إلى مقامه الأول وهو الفخر بقومه ـ ومنه قول الآخر:

[البسيط]

لنا نفوس لنيل المجد عاشقة ... فإن تسلّت أسلناها على الأسل
لا ينزلُ المجد إلا في منازلنا ... كالنوم ليس له مأوى سوى الْمُقَل

= وللغزالة شيء من تلفّته ... ونورها من ضيا خديه مكتسب

أراد الشاعر بالغزالة الحيوان المعروف. وبضمير (نورها) الغزالة بمعنى الشمس وكقوله: [الكامل]

رأى العقيق فأجرى ذاك ناظره ... مُتيّم لج في الأشواق خاطرهُ

وكقوله: [الطويل]

إذا لم أبرقع بالحيا وجه عفّتي ... فلا أشبهته راحتي بالتّكرّم
ولا كنت ممن يكسر الجفن بالوغى ... إذا أنا لم أغضضه عن رأي محرّم

وقال الآخر في الدعاء أقرّ الله عين الأمير وكفاه شرها. وأجرى له عذبها. وأكثر لديه تبرها ـ

وكقول الشاعر: [الوافر]

رحلتم بالغداة فبتُّ شوقًا ... أسائل عنكم في كل ناد
أراعي النجم في سيري إليكم ... ويرعاه من البَيْدا جوادي

٤ ـ الافتنان

هو الجمع بين فنَّين مختلفين، كالغزل، والحماسة، والمدح، والهجاء والتّعزيةَ والتهنئة ـ كقول عبد الله بن همّام السلولي، «جامعًا بين التعزية والتهنئة» حين دخل على يزيد وقد مات أبوه معاوية، وخلفه هو في الملك «آجرك الله على الرَّزِيَّة، وبارك لك في العطيَّة، وأعانك على الرعيَّة فقد رُزئتَ عظيمًا وأُعطيتَ جسيمًا، فاشكر الله على ما أُعطيتَ؛ واصبر على ما رُزيت، فقد فقدت الخليفة. وأُعطيت الخلافة، ففارقت خليلًا ووُهبت جليلًا».

[البسيط]

اصبر يزيدُ فقد فارقتَ ذا ثقة ... واشكرْ حباء الذي بالملك أصفاكا
لارُزءَ أصبح في الأقوام نعلمه ... كما رُزئت ولا عقبى كعقْباكا

وكقول عنترة يخاطب عَبلة:

[الكامل]

ولقد ذكرتكِ والرّماح نواهلٌ ... منّي وبِيضُ الهند تقطرُ من دمي
فوددتُ تقبيل السُّيوف لأنها ... لمعت كبارقِ ثَغركِ المُتبسِّم

٥ ـ الطباق[(١)]

الطّباق هو الجمع بين الشيء وضدّه في الكلام. وهما قد يكونان اسمين ـ نحو: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾[(٢)] ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾[(٣)].

أو فعلين ـ نحو: ﴿هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾[(٤)] «ثُم لا يموتُ فيها ولا يَحيا».

أو حرفين ـ نحو: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[(٥)].

أو مختلفين ـ نحو: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾[(٦)].

---

(١) ويسمى بالمطابقة. وبالتضاد. وبالتطبيق. وبالتكافؤ. وبالتطابق ـ وهو الجمع في الكلام بين معنيين متقابلين سواء أكان ذلك التقابل تقابل الضدين أو النقيضين أو الإيجاب والسلب. أو التضايف.

(٢) سورة الحديد: الآية ٣.
(٣) سورة الكهف: الآية ١٨.
(٤) سورة النجم: الآية ٤٣.
(٥) سورة البقرة: الآية ٢٢٨.

(٦) والطباق ضربان: أحدهما طباق الإيجاب وهو ما لم يختلف فيه الضدان إيجابًا وسلبًا، نحو ﴿تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦] وكقوله: [الكامل]

حلو الشمائل وهو مرّ باسل ... يحمي الذمار صبيحة الأرهاق =

ونحو: ﴿مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾(١).

٦ ـ المقابلة(٢)

هي أن يُؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر، ثم يُؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾(٣)، وكقوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَٰٓئِثَ﴾(٤).

وقال ﷺ للأنصار (إنكم لتكثرون عند الفزع وتقِلُّون عند الطمع) وقال خالد بن صفوان يصف رجلًا: ليس له صديق في السرِّ ولا عدوٌّ في العلانية. وقال:

وباسطُ خيرٍ فيكمُ بيمينه ـ وقابض شر عنكُم بشماله ـ وكقوله:

[البسيط]

ما أحسن الدِّين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

٧ ـ مراعاة النظير(٥)

هي الجمع بين أمرين أو أمور متناسبة لا على جهة التضاد، وذلك إمّا بين اثنين - نحو: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(٦).

وإمّا بين أكثر ـ نحو: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَٰلَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾(٧).

= وثانيهما طباق السلب وهو ما اختلف فيه الضدان إيجابًا وسلبًا بحيث يجمع بين فعلين من مصدر واحد ـ أحدهما مثبت والآخر منفي ـ نحو ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٨] ونحو ﴿لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ [الروم: ٦ ـ ٧].
أو أحدهما أمر والآخر نهي نحو ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الأعراف: ٣] ونحو: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ [البقرة: ١٥٠]. ويلحق بالطباق ما بني على المضادة تأويلًا في المعنى نحو ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ١٢٩] فإن التعذيب لا يقابل المغفرة صريحًا لكن على تأويل كونه صادرًا عن المؤاخذة التي هي ضد المغفرة. أو تخييلًا في اللفظ باعتبار أصل معناه ـ نحو ﴿مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ۝٤﴾ [الحج: ٤] أي يقوده فلا يقابل الضلالة بهذا الاعتبار ولكن لفظه يقابلها في أصل معناه، سورة الرعد: الآية ٣٣.

(١) سورة الأنعام: الآية ١٢٢.
(٢) وهذا يقال له «إيهام» التضاد.
(٣) سورة الليل: الآيات ٥ ـ ١٠.
(٤) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.
(٥) وتسمى بالتناسب والتوافق والائتلاف.
(٦) سورة الشورى: الآية ١١.
(٧) سورة البقرة: الآية ١٦.

ويلحق بمراعاة النظير ما بُنِي على المناسبة في «المعنى» بين طرفي الكلام يعني أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى نحو: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[١].

فإن «اللطيف» يناسب عدم إدراك الأبصار له، و«الخبير» يناسب إدراكه سبحانه وتعالى للأبصار.

أو ما بُنِي على المناسبة في «اللفظ» باعتبار معنى له غير المعنى المقصود في العبارة نحو: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾﴾[٢] فإن المراد «بالنجم» هنا النبات، فلا يناسب «الشمس» و«القمر» ولكن لفظه يناسبهما باعتبار دلالته على الكواكب. وهذا يقال له «إيهام التناسب» كقوله:

[الطويل]

كأنّ الثّريا عُلّقت في جبينها ... وفي نحرها الشّعرى وفي خدّها القمرُ

٨ - الإرصاد

هو أن يذكر قبل الفاصلة «من الفقرة أو القافية من البيت» ما يدلُّ عليها إذا عُرف الرّوي، نحو: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾[٣] ونحو: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٤] وكقول الشاعر:

[الطويل]

أحلّت دمي من غير جُرم وحرَّمت ... بلا سبب عند اللّقاء كلامي

فليس الذي حللْتِه بمحلّلٍ ... وليس الذي حرَّمتِه بحرامِ

ونحو:

[الوافر]

إذا لم تستطع شيئًا فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع

وقد يستغنى عن معرفة الرويِّ، نحو: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾[٥].

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٠٣.

(٢) سورة الرحمن: الآيتان ٥، ٦.

(٣) سورة طه: الآية ١٣٠، سورة ق: الآية ٣٩.

(٤) فالسامع إذا وقف على قوله تعالى: ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ [طه: ١٣٠] بعد الإحاطة بما تقدم علم أنه «وقبل الغروب» كذلك البصير بمعاني الشعر وتأليفه إذا سمع المصراع الأول علم أن العجز ليس إلا ما قاله الشاعر، سورة العنكبوت: الآية ٤٠.

(٥) سورة الأعراف: الآية ٣٤.

٩ ـ الإدماج

هو أن يُضمَّن كلامٌ سيق لمعنى معنى آخرَ لم يُصرحْ به، كقوله المتنبي:

[الوافر]

أُقــلِّــبُ فــيــه أجــفــانــي كــأنِّــي ... أعُــدُّ بــهــا عــلــى الــدهــر الــذُّنــوبــا

ساق الشاعر الكلامَ أصالة لبيان طول الليل، وأدمج الشكوى من الدهر في وصف الليل بالطول.

١٠ ـ المذهب الكلامي

هو أن يُورِد المتكلم على صحة دعواه حُجَّة قاطعة مُسلَّمة عند المخاطب بأن تكون المقدِّمات بعد تسليمها مستلزِمةً للمطلوب.

كقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[1] واللّازم وهو الفساد باطل، فكذا الملزوم وهو تعدُّد الآلهة باطل.

ونحو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾[2].

ونحو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[3] أي وكل ما هو أهون عليه فهو أدخل تحت الإمكان، فالإعادة ممكنة.

١١ ـ حسن التعليل

حسن التعليل، أن يُنكِرَ الأديبُ صراحةً أو ضمنًا علةَ الشيء المعروفةَ، ويأتي بعلة أدبيّة طريفة تناسب الغرض الذي يرمي إليه.

يعني أن الشاعرَ أو النّاثرَ يدّعي لوصفٍ علةً غير حقيقية مناسبةً له باعتبارٍ لطيف، مشتمل على دِقّةِ النّظر ـ كقول المعرِّي في الرثاء:

[الطويل]

ومـا كُـلْـفَـةُ الـبـدر الـمـنـيـر قـديـمـةً ... ولـكـنّـهـا فـي وَجْـهـهِ أثَـر الـلّـطِـم

يقصد أن الحزن على المرثي شكل كثيرًا من مظاهر الكون، فهو لذلك يدَّعي أن كُلفة البدر (وهي ما يظهر على وجهه من كدرة) ليست ناشئة عن سبب طبيعي، وإنما هي حادثة من أثر اللطم على فراق المرثي، ومثله قوله:

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٢٢.

(٢) سورة الحج: الآية ٥.

(٣) سورة الروم: الآية ٢٧.

[البسيط]

أما ذُكاء فلم تصفَرَّ إذ جنحت ... إلا لفرقة ذاك المنظَرِ الحسَنِ

يقصد أنّ الشمس لم تصفر عند الجنوح إلى المغيب للسبب المعروف ولكنها اصفرت مخافة أن تفارق وجه الممدوح - ومثله قول الشاعر:

[البسيط]

ما قصَّر الغيثُ عن مصرٍ وتربتها ... طبعًا ولكن تعدَّاكم من الخجل

ينكر هذا الشاعر الأسبابَ الطبيعيةَ لقلة المطر بمصر، ويلتمس لذلك سببًا آخر: وهو أن المطر يخجل أن ينزل بأرض يعمُّها فضلُ الممدوح جوده، لأنه لا يستطيع مباراته في الجود والعطاء.

ولا بد في العلة أن تكون ادِّعائيةً، ثم الوصف أعمّ من أن يكون ثابتًا فيُقصد بيانُ علته، أو غير ثابت فيراد إثباته.

فالأول أ - وصفٌ ثابتٌ غير ظاهر العلة كقوله:

[الوافر]

بين السيوف وعينيها مشاركة ... من أجلها قيل للأجفان أجفان

وقوله:

[الكامل]

لم يحك نائِلك السحاب وإنما ... حمّت به فصبيبها الرحضاء[1]

وقوله:

[الكامل]

زعم البنفسج أنه كعذاره ... حُسْنًا فسلُّوا من قفَاه لسانه

(١) أي أن السحائب لا تقصد محاكاة جودك بمطرها لأن إعطاءك المتتابع أكثر من مائها وأغزر. ولكنها حمت حسدًا لك. فالماء الذي ينصب منها هو عرق تلك الحمى - فالرحضاء عرق الحمى -

ومنه قول ابن رشيق: [الوافر]

سألت الأرض لِمْ كانت مصلّى ... ولِمْ جُعِلتْ لنا طهرًا وطيبا

فقالت غير ناطقة لأني ... حويت لكل إنسان حبيبا

ومن حسن التعليل قوله: [البسيط]

ما زلزلت مصر من كيد يراد بها ... وإنما رقصت من عدله طربا

وكقول الآخر: [الوافر]

أرى بدر السّماء يلوح حينًا ... ويبدو ثم يلتحف السّحابا

وذاك لأنه لما تبدّى ... وأبصر وجهك استحيًا وغابًا

فخروج ورقة البنفسج إلى الخلف لا علّة له، لكنه ادّعى أن علّته الافتراء على المحبوب.

ب ـ أو وصف ثابت ظاهر العلة غير التي تذكر كقول المتنبي:

[الرمل]

ما به قتلُ أعاديه ولكن يتّقي إخلاف ما ترجو الذئاب

فإن قتل الأعادي عادة للملوك لأجل أن يسلموا من أذاهم وضَرّهم ولكنَّ المتنبي اخترع لذلك سببًا غريبًا فتخيل أن الباعث له على قتل أعاديه لم يكن إلا ما اشتهر وعرف به حتى لدى الحيوان الأعجم من الكرم الغريزي ومحبته إجابة طالب الإحسان، ومن ثَم فتك بهم لأنه علم أنه إذا غدا للحرب رجَت الذئاب أن يتّسع عليها رزقها. وتنال من لحوم أعدائه القتلى، وما أراد أن يخيب لها مطلبًا.

والثاني: وصف غير ثابت، وهو إما ممكن ـ كقول مسلم بن الوليد:

[البسيط]

يا واشيًا حسنت فينا إساءته نجّى حذارك إنساني من الغرق

فاستحسان إساءة الواشي ممكن، ولكنه لما خالف الناس فيه عقبه بذكر سببه، وهو أن حذاره من الواشي منعه من البكاء، فسلم إنسان عينه مِنَ الغرق في الدموع.

وإمّا غير ممكن ـ كقول الخطيب القزويني:

[البسيط]

لو لم تكن نِيّة الجوزاء خدمته لما رأيت عليها عِقد مُنتطق

جعل الشاعر علة شدّ الجوزاء النطاق في وسطها خدمة الممدوح وهي صفة غير ممكنة. فقصد إثباتها على خلاف الواقع[1].

١٢ ـ التجريد

هو لغة إزالة الشيء عن غيره، واصطلاحًا أن ينتزعَ المتكلم من أمر ذي صفة أمرًا آخر مثلَه في تلك الصفة، مبالغة في كمالها في المنتزع منه، حتى أنه قد صار منها

(١) ومثله قول ابن المعتز: [المنسرح]

قالوا اشتكت عينه فقلت لهم من كثرة القتل نالها الوصبُ

حُمرتها من دماءَ مَنْ قتلت والدّم في السّيف شاهدٌ عجب

وكقوله: [الكامل]

فلئن بقيت لأرحلنّ بعزوة تحوى الغنائم أو يموت كريم

بحيث يمكن أن ينتزع منه موصوف آخر بها، وهو أقسام.

أ ـ منها ما يكون بواسطة مِنْ التجريدية كقولك: لي من فلان صديق حميم (أي بلغ فلان من الصداقة حدًا صح معه أن يستخلص منه آخر مثله فيها) ونحو:

[الطويل]

ترى منهمو الأُسد الغضاب إذا سطوا ... وتنظر منهم في اللقاء بدورا

ب ـ ومنها ما يكون بواسطة الباء التجريدية الداخلة على المنتزع منه نحو قولهم: لئن سألت فلانًا لتسألنّ به البحر، بالغ في اتصافه بالسماحة حتى انتزع منه بحرًا فيها.

جـ ـ ومنها ما لا يكون بواسطة نحو: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾(١).

د ـ ومنها ما يكون بطريق الكناية كقول الأعشى:

[المنسرح]

يا خير من ركب المطيّ ولا ... يشرب كأسًا بكفّ من بخلا(٢)

١٣ ـ المشاكلة

هي أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صُحبته، كقوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾(٣) المراد ولا أعلم ما عندك.

وعبّر بالنفس للمُشاكلة. ونحو ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾(٤) أي أهملهم. ذكر الإهمال هنا بلفظ النسيان لوقوعه في صحبته.

ومن ذلك ما حكي عن أبي الرقمع أن أصحابًا له أرسلوا يدعونه إلى الصبوح في

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٢.

(٢) أي يشرب الكأس بكف الجواد ـ انتزع منه جوادًا يشرب هو بكفه على طريق الكناية. لأن الشرب بكف غير البخيل يستلزم الشرب بكف الكريم وهو لا يشرب إلا بكف نفسه. فإذًا هو ذلك الكريم. ومن التجريد خطاب المرء نفسه كقول المتنبي: [البسيط]

لا خيل عندك تهديها ولا مال ... فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

أي الغنى ـ فقد انتزع من نفسه شخصًا آخر وخاطبه، وهذا كثير في كلام الشعراء وإنما سمي هذا النوع تجريدًا لأن العرب تعتقد أن في الإنسان معنى كامنًا فيه كأنه حقيقته، فتخرج ذلك المعنى إلى ألفاظها مجردًا عن الإنسان كأنه غيره ـ وفائدة هذا النوع (مع التوسع) أن يثبت الإنسان لنفسه ما لا يليق التصريح بثبوته له.

(٣) سورة المائدة: الآية ١١٦.

(٤) سورة الحشر: الآية ١٩.

يوم بارد ويقولون له ماذا تريد أن نصنع لك طعامًا، وكان فقيرًا ليس له كسوة تقيه من البرد، فكتب إليه يقول:

[الكامل]

أصحابنا قصدوا الصَّبوح بسحرة ... وأتى رسولهُمُ إليَّ خصيصا
قالوا اقترِحْ شيئًا نَجِدْ لك طبخَه ... قلتُ اطبُخوا لي جُبةً وقميصا(١)

وكقوله:

[الكامل]

من مُبلغٌ أفناءَ يَعرُبَ كلّها ... إني بنيت الجار قبل المنزل

وكقوله:

[الوافر]

ألاَ لا يجهلَنْ أحد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا

١٤ ـ المزاوجة

هي أن يُزاوج المتكلّم بين معنيين في الشّرط والجزاء، بأن يُرَتِّب على كلّ منهما معنى رُتِّب على الآخر، كقوله:

[الطويل]

إذا ما نهى النّاهي فلجَّ بي الهوى ... أصاخت إلى الواشي فلجّ بها الهجر

زواج بين النهي والإصاخة في الشرط والجزاء بترتيب اللجاج عليهما وكقوله:

[الطويل]

إذا احتربتْ يومًا ففاضت دماؤها ... تذكَّرتْ القربى ففاضت دموعها

زواج بين الاحتراب «التّحارب» وتذكر القربى في الشرط والجزاء ترتيب الفيض عليهما.

١٥ ـ الطي والنشر

الطيّ والنّشر ـ أن يُذكر متعدّد، ثم يُذكر ما لكلّ من أفراده شائعًا من غير تعيين، اعتمادًا على تصرُّف السامع في تمييز ما لكلّ واحد منها. وردّه إلى ما هو له ـ وهو نوعان:

أ ـ إمَّا أن يكون النّشر فيه على ترتيب الطّي، نحو ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ

---

(١) أي خيطوا لي جبة وقميصًا فذكر الخياطة بلفظ الطبخ لوقوعه في صحبة طبخ الطعام.

﴿وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾[1] فقد جمع بين الليل والنهار ثم ذكر السكون لليل، وابتغاء الرزق للنهار، وعلى التّرتيب وكقوله:

[الطويل]

عـيـونٌ وأصـداغ وفـرعٌ وقـامـة وخَـالٌ وَوجْـنَـات وفـرقٌ وَمـرشـفُ
سـيـوف ورَيـحـان ولـيـل وبـانَـة ومِـسْـكٌ ويـاقـوت وصُـبْـحٌ وقَـرْقَـفُ

وكقوله:

[الكامل]

فـعـلُ الـمـدام ولـونـهـا ومـذاقـهـا فـي مُـقـلـتـيـه ووجـنـتـيـه وريـقـه

ب ـ وإمّا أن يكون على خلاف ترتيبه ـ نحو ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾[2].

وذكر ابتغاء الفضل للثاني، وعلى الحساب للأول على خلاف الترتيب وكقوله:

[البسيط]

ولـحـظُـهُ ومُـحـيـاهُ وقـامـتـه بـدر الـدُّجـا وقَـضـيـبُ الـبـانِ والـرَّاحِ

فبدر الدجا راجع إلى «المحيا» الذي هو الوجه، «وقضيب البان» راجع إلى «القامة»، والراح راجع إلى «اللّحظ» ويُسمّى اللّفّ والنّشر أيضًا.

١٦ ـ الجمع

هو أن يَجمع المتكلم بين متعدّد تحت حكم واحد وذلك قد يكون.

أ ـ في اثنين نحو: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[3].

ونحو: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[4].

ب ـ أو في أكثر، نحو ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾[5] وكقوله:

[الرجز]

إنَّ الـشـبـابَ والـفـراغَ والـجِـدَه مـفَـسـدة لـلـمـرء أيَّ مَـفْـسَـدَه

(١) سورة القصص: الآية ٧٣.
(٢) سورة الإسراء: الآية ١٢.
(٣) سورة الكهف: الآية ٤٦.
(٤) سورة الأنفال: الآية ٢٨.
(٥) سورة المائدة: الآية ٩٠.

وكقوله:

[البسيط]

آراؤه وَعطاياهُ ونعمتهُ وعفوهُ رحمة لِلنّاس كُلِّهم

وكقوله:

[الكامل]

آراؤكم ووجوهكم وسُيوفكم في الحادثان إذا دَجَوْن نجومُ

١٧ ـ التفريق

هو أن يَعمدَ المتكلّم إلى شيئين من نوع واحد فيوقع بينهما تباينًا وتفريقًا بذكر ما يفيد معنى زائدًا فيما هو بصدده من مدح أو ذم أو نسيب أو غير ذلك من الأغراض، نحو ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾[1] ـ وكقول الشاعر:

[الخفيف]

ما نوال الغمام وقت ربيع كنوال الأمير يوم سخاء
فنوالُ الأمير بَدرَة عين ونوال الغمام قَطرة ماء

وكقوله:

[المجتث]

مَن قاس جَدواك يومًا بالسُّحب أخطأ مدحكْ
السُّحب تعطِي وتبكي وأنت تعطي وتضحكْ

وكقوله:

[المنسرح]

من قاس جدواك بالغمام فما أنصف في الحكم بين شكلين
أنتَ إذا جُدت ضاحكٌ أبدا هو إذا جاد دامع العين

وكقوله:

[مجزوء الكامل]

ورْد الخدود أرقّ من وَرد الرّياض وأنعمُ
فذاك تَنشُقُهُ الأنو فُ وذا يُقبِّله الفمُ

١٨ ـ التقسيم

هو أن يُذكر متعدِّد ثم يُضاف إلى كلٍّ من أفراده ما له على جهة التّعيين نحو:

---

(١) سورة فاطر: الآية ١٢.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ۝ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝﴾[١].

وقد يطلق التقسيم على أمرين آخرين.

أوّلهما أن تُستوفي أقسام الشيء، نحو ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ۝﴾[٢].

وثانيهما أن تُذكر أحوال الشيء مضافًا إلى كل منها ما يليق به كقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾[٣] وكقوله:

[الطويل]

سأطلب حقي بالقنا ومشايخ ... كأنهمو من طول ما التثموا مُرْدُ
ثِقالٌ إذا لاقوْا خِفافٌ إذا دُعوا ... كثير إذا شَدُّوا قليلٌ إذا عُدُّوا

وكقوله:

[البسيط]

ولا يقيم على ضيم يُراد به ... إلّا الأذِلّانِ عَيرُ الحيِّ والوَتِدُ
هذا على الخسف مربوط بِرُمّتِه ... وذا يُشجّ فلا يَرثي له أحدُ

١٩ ـ الجمع مع التفريق

هو أن يجمع المُتكلم بين شيئين في حكم واحد، ثم يفرِّق بينهما في ذلك الحكم، نحو قوله تعالى: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[٤] وكقوله:

[السريع]

فوجهك كالنّار في ضوئها ... وقلبيَ كالنّار في حرّها

٢٠ ـ الجمع مع التقسيم

هو أن يجمع المتكّلم بين شيئين أو أكثر تحت حكم واحد، ثم يقسِّم ما جمع ـ أو يقسِّم أولًا ثم يجمع، فالأول نحو: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[٥] وكقول المتنبي:

---

(١) سورة الحاقة: الآيات ٤ ـ ٦.
(٢) سورة طه: الآية ٦.
(٣) سورة المائدة: الآية ٥٤.
(٤) سورة الأعراف: الآية ١٢، سورة ص: الآية ٧٦.
(٥) سورة الزمر: الآية ٤٢.

[البسيط]

حتى أقام على أرباض خرشنة[١] تشقى به الرُّوم والصّلبان والبِيَعُ
للّرقّ ما نسلوا والقتل ما ولدوا والنّهب ما جمعوا والنّار ما زرعوا

والثاني كقول سيدنا حسان:

[البسيط]

قومٌ إذا حاربوا ضرُّوا عدوَّهُمُ أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعُوا
سجيّة تلك فيهم غير مُحْدَثة إنَّ الخلائق فأعلم شرها البِدَعُ

٢١ ـ المبالغة

أن يدّعي المتكلم لوصف بلوغَه في الشّدّة أو الضّعف حدًّا مُسْتبعدًا أو مستحيلًا - وتنحصر في ثلاثة أنواع.

١ ـ تبليغ ـ إن كان ذلك الادعاء ممكنًا عقلًا وعادة، نحو «ظُلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها» وكقوله في وصف فرس:

[الوافر]

إذا ما سابقتها الرِّيح فرَّت وألقتْ في يد الرّيح التّرابا

٢ ـ وإغراق ـ إن كان الادعاء ممكنًا عقلًا لا عادة ـ كقوله:

[الوافر]

ونكرم جارنا ما دام فينا ونُتبِعُه الكرامةَ حيثُ مالا

٣ ـ وغلّو[٢] ـ إن كان الادعاء مستحيلًا عقلًا وعادة ـ كقوله:

---

(١) الأرباض جمع ربَض وهو ما حول المدينة. وخرشنة بلد بالروم.

(٢) أما الغلو. فمنه مقبول ومنه مردود. فالمقبول ثلاثة أنواع أحدها ـ ما اقترن به ما يقر به للصحة «ككاد» نحو قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ﴾ [النور: ٣٥] «ولو» نحو قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۚ﴾ [الحشر: ٢١] ثانيها ـ ما تضمن حسن تخييل كقول المتنبي: [الكامل]

عقدت سنابكها عليها عِثْيَرًا لو تبتغي عَنقًا عليه لأمكنا[١]

وقول المعري: [الوافر]

يذيب الرعب منه كل عضب فلولا الغمد يمسكه لسالا

=

---

(١) السنابك جمع سنبك وهو طرف مقدم الحافر. والعثير الغبار والعنق ضرب من السير سريع فسيح الخطو - يقول إن حوافر هذه الخيل عقدت فوقها غبارًا كثيفًا حتى لو أرادت السير عليه لكان يحملها كالأرض لشدة كثافته.

[الوافر]

تكادُ قِسيُّه من غير رامٍ ... تُمكِّن في قلوبهِم النِّبالا

٢٢ ـ المغايرة

هي مدح الشّيء بعد ذمه أو عكسه ـ كقول الحريري في مدح الدِّينار:

[الرجز]

أكرمْ به أصفرَ راقت صفرته

بعد ذمه في قوله:

[الرجز]

تبًّا له من خادع مُمارق

٢٣ ـ تأكيد المدح بما يشبه الذم

هو ضربان:

١ ـ أن يُستثنىَ من صفة ذم منفية، صفة مدح على تقدير دخولها فيها ـ كقوله:

[الطويل]

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنّ سيوفهم ... بهنَّ فُلول من قِراع الكتَائبِ(١)

=

ثالثها ـ ما أخرج مخرج الهزل والخلاعة ـ كقول النظام: [الطويل]

توهّمه طرفي فآلم طرفه ... فصار مكان الوهم في خده أثر

ومرّ بفكري خاطرًا فجرحته ... ولم أر خلقًا قط يجرحه الفِكر

وقول الآخر: [الطويل]

لك أنف يا ابن حرب ... أنفت منه الأنوف

أنت في القدس تصلّي ... وهو في البيت يطوف

(١) أي إن كان تكسُّر حد سيوفهم من مقارعة الجيوش عيبًا فلا عيب فيهم غيره. ومن المعلوم أنه ليس بعيب ـ وكقول الآخر: [الطويل]

ولا عيب فيهم سوى أنّ التنزيل بهم ... يسلو عن الأهل والأوطان والحشم

وقوله: [الطويل]

ولا عيب فيه غير أنّ خدوده ... بهنّ احمرار من عيون المتَيَّم

وقوله: [الطويل]

ليس به عيب سوى أنه ... لا تقع العين على شبهه

وقوله: [الطويل]

ولا عيب في معروفهم غير أنه ... يُبيِّن عجز الشاكرين عن الشُّكر

وقوله: [الطويل]

ولا عيب فيكم أن ضيوفكم ... تُعابُ بنسيان الأحبّة والوطن

ب ـ أن يثبت لشيءٍ صفة مدح، ويُؤتى بعدها بأداة استثناء تليها صفة مدح أُخرى مستثناة من مثلها ـ كقوله:

[الطويل]

ولا عيبَ فيه غير أني قصدته ... فأنستنِيَ الأيام أهلا وموطنا

وكقوله:

[الطويل]

فَتًى كملت أوصافه غيرَ أنه ... جَواد فما يُبقي من المال باقيا

٢٤ ـ تأكيد الذم بما يشبه المدح[1]

هو ضربان أيضًا:

١ ـ أن يستثنى من صفة مدح منفية، صفة ذم على تقدير دخولها فيها نحو ـ فلان لا خير فيه إلاّ أنه يتصدق بما يسرق ـ ونحو ـ لا فضل للقوم إلا أنهم لا يعرفون لجار حقه ـ ونحو: الجاهل عدّو نفسه إلا أنه صديق السفهاء ونحو: فلان ليس أهلاً للمعروف إلاّ أنه يُسيء إلى من يحسِن إليه.

ب ـ أن يُثبتَ لشيء صفةُ ذم. ثم يُؤتى بعدها بأداة استثناء[2] تليها صفة ذم أُخرى نحو: فلان حسود إلّا أنه نمّام، وكقوله:

[الطويل]

هو الكلب إلا أنّ فيه ملالةً ... وسُوءَ مُراعاة وما ذاك في الكلب

٢٥ ـ الإيهام أو التوجيه

هو أن يُؤتى بكلام يحتمل معنيين مُتضادين على السّواء كهجاء ومديح ليبلغ القائل

---

(١) وهناك نوع آخر يسميَّ «الهجاء في معرض المدح» وهو أن يؤتى بكلام ظاهره مدح، وباطنه ذم كقوله: [المتقارب]

أبو جعفر رجل عالم ... بما يُصلح المعْدة الفاسده

تَخوّف تُخمة أضيافه ... فعَوّدهم أكلة واحده

(٢) ومثل أداة الاستثناء في ذلك أداة الاستدراك في قول الشاعر: [الطويل]

وجوه كأظهار الرياض نَضارةً ... ولكنها يوم الهياج صُخور

وكقوله: [الطويل]

هو البدر إلا أنه البحر زاخرًا ... سوى أنه الضرغام لكنه الوبل

أدرج أهل البيان التدبيج في الطباق. وأفرده أهل البديع وهو الأولى لجواز أن لا يقع التقابل بين الألوان فيفوت الطباق.

غرضه بما لا يُمسَك عليه، كقول بشار في خياط أعور اسمه عمرو:

[الرمل]

خاط لي عمرو قباء ليت عينيه سواء

ويحكى أن محمدًا بن حزم هنأ الحسن بن سهل باتصال بنته (بوران التي تُنسب إليها الأطبخة البُورانية) بالخليفة المأمون العباسي مع من هَنّاه فأثابَهم، وحَرَمه: فكتب إليه إن أنت تماديت على حرماني، قلت فُيك «بيتًا لا يُعرف» أهو مدح أم ذم، فاستحضره وسأله فأقرّ، فقال الحسَن لا أعطيك أو تفعل، فقال:

[مجزوء الخفيف]

بارك الله للحسَن ولِبُوران في الخَتن
يا إمام الهدى ظَفِرْ تَ ولكنْ ببنتَ منْ

فلم يدر ببنت مَنْ؟ أفي العظمة وعلوّ الشأن ورفعة المنزلة أم في الدناءة والخسّة؟ فاستحسَنَ الحسَن منه ذلك.

٢٦ ـ نفي الشيء بإيجابه

هو أن يُنفى متعلّق أمر عَنْ أمرٍ فيُوهم إثباته له. والمراد نفيه عنه أيضًا نحو ـ ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾(١) فإنّ نفي إلهاءَ التجارة عنهم يُوهم إثباتها لهم ـ والمراد نفيها أيضًا.

٢٧ ـ القول بالموجب

القول بالموجب نوعان:

الأول: أن يقع في كلام الغير إثبات صفة لشيء وترتيب حكم عليها فينقل السامع تلك الصفة إلى غير ذلك الشيء من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم له أو انتفائه عنه كقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾(٢) فالمنافقون أرادوا بالأعزّ أنفسَهم، وبالأذل المؤمنين. ورتّبوا

(١) مقتطع من الآية التي مرت في مبحث ترك المسند حيث يقول ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٦ ـ ٣٧] فإن قوله لا تلهيهم تجارة يوهم أن لهم تجارة غير إنهم لا يلتهون بها. ولكن المراد إنهم ليس لهم تجارة حتى يلتهوا بها لأن رجال الجنة لا يتعاطون التجارة، سورة النور: الآية ٣٧.

(٢) تلخيص العبارة إن الكافرين حكموا لأنفسهم بالعزة. وللمؤمنين بالذلة وقالوا إن رجعنا إلى المدينة نخرجهم منها. فحكم بالغزة لله ولرسوله والمؤمنين ـ ولم يقل إنهم يخرجون أولئك منها، ولا أنهم لا يخرجونهم، سورة المنافقون: الآية ٨.

على ذلك الإخراج من المدينة. فنُقلت صفة العزة للمؤمنين، وأبقيت صفة الأذلية للمنافقين، من غير تعرّض لثبوت حكم الإحراج للمتصفين بصفة العزة، ولا لنفيه عنهم.

والثاني: حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده بذكر متعلّق له كقوله:

[الوافر]

وقالوا قد صفت منّا قلوب ... لقد صدقوا ولكن عن ودادي

أرادوا بصفو قلوبهم الخلوص، فحمله على الخلوّ بذكر متعلقه وهو قوله «عن ودادي».

٢٨ ـ ائتلاف اللفظ مع المعنى

هو أن تكون الألفاظ مُوافقة للمعاني، فتُختار الألفاظ الجزلة والعبارات الشديدة للفخر والحماسة، وتُختار الكلمات الرقيقة، والعبارات اللّينة للغزل والمدح ـ كقوله:

[المتقارب]

إذا ما غضبنا غضبة مُضرَّية ... هتكنا حجاب الشمس أو قَطَرت دمَا

إذا ما أعرنَا سيدًا من قبيلة ... ذُرا منبرٍ صلَّى علينا وسلّما

وكقوله:

[الطويل]

ولَستُ بنظَّار إلى جانب الغِنى ... إذا كانت العلياءُ في جانب الفقر

وكقوله:

[الرمل]

لم يطل ليلي ولكن لم أنم ... ونفى عنّي الكرى طيفٌ ألمْ

٢٩ ـ التفريع

هو أن يُثبت حكمٌ لمتعلّق أمر بعد إثباته لمتعلّق له آخر ـ كقول الشاعر:

[البسيط]

فاضت يداه بالنّضار كما ... فاضت ظباه في الوغى بدمِي

وكقوله:

[البسيط]

أحلامكم لسقام الجهل شافية ... كما دماؤكمُ تشفِي من الكَلَبِ

٣٠ ـ الاستتباع

هو الوصف بشيء على وجه يستتبع الوصف بشيء آخر مدحًا أو ذمًّا يعني أن الاستتباع هو المدح على وجه يستتبع المدح بأمر آخر كقوله:

[الطويل]

ألا أيها المال الذي قد أباده ... تسلَّ فهذا فعله بالكتَائِب

وكقوله:

[الكامل]

سَمحُ البديهة ليس يمسك لفظه ... فكأنّ ألفاظه من ماله

وكقوله:

[البسيط]

الحرب نزهُته والبأس هِمّته ... والسّيف عزمته والله ناصره

وقيل: إنه يكون أيضًا في الذم كقول بعضهم في قاض لم يقبل شهادته برؤية هلال الفطر:

[الرمل]

أترى القاضيَ أعمى ... أم تراه يتَعامَى

سَرق العِيدَ كأنّ الـ ... ـعيدَ أموالُ اليتامَى

٣١ ـ السلب والإيجاب[١]

هو أن يقصد المتكلم اختصاص شيء بصفة، فينفيها عن جميع الناس ثم يثبتها له مدحًا أو ذمًّا، فالمدح كقول الخنساء:

[الطويل]

وما بلَغت كفّ امرىءٍ متناولًا ... من المجد إلا والّذي نلتَ أطولُ

ولا بلغ المهدون للناس مِدحةً ... وإن أطنبوا إلَّا الذي فيك أفضلُ

والذّم ـ كقول بعضهم:

[البسيط]

خلقوا وما خُلقوا لمكرُمة ... فكأنّهم خلقوا وما خلقوا

(١) ويسّمى الرجوع وهو العود على الكلام السّابق بالنقض لنكتة كقول زهير: [الطويل]

قف بالديار التي لم يعفها القِدمُ ... بلَي وغيرّها الأرواح والدِّيَمُ

وكقوله: [الطويل]

وما ضاع شعري عندكم حين قُلته ... بلي وأبيكم ضاع فهو يضوع

رُزقـوا ومَـا رُزقـوا سـمـاح يَـدٍ　　فـكـأنّـهـم رُزقـوا ومَـا رُزقـوا

٣٢ ـ الإبداع

هو أن يكون الكلام مُشتملًا على عدّة أنواع من البديع نحو قول الشاعر:

[الطويل]

فضحتَ الحيا والبحرَ جُود فقد بكى الـ　　ـحيا من حياءٍ منك والتطَم البحر(١)

(١) فإن فيه حسن التعليل في قوله بكى من حياتك. وفيه التقسيم في قوله فضحت الحيا والبحر ـ حيث أرجع ما لكل إليه على التعيين بقوله بكى الحيا، والتطم البحر. وفيه المبالغة في جعله بكاء الحيا والتطام البحر حياء من الممدوح. وفيه الجمع في قوله فضحت الحيا والبحر. وفيه رد العجز على الصدر في ذكر البحر والبحر. وفيه الجناس التام بين الحيا والحياء ـ وللقرآن الكريم اليد البيضاء في هذا النوع فقد وجد اثنان وعشرون نوعًا في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٤﴾ [هود: ٤٤] مع كون الآية سبع عشرة لفظة ـ ولا بد من ذكرها تبركا بها وإلجامًا لبعض المعاصرين الذين يتفوهون بما لا يليق ذكره بالنسبة لكلام رب العالمين.

١　ففيها المناسبة التامة بين ابلعي وأقلعي.
٢　الاستعارة فيهما.
٣　الطباق بين الأرض والسماء.
٤　المجاز في قوله يا سماء فإن الحقيقة يا مطر.
٥　الإشارة في «وغيض الماء» فإنه عبر به عن معان كثيرة فإن الماء لا يغيض حتى يقلع مطر السماء وتبلع الأرض ما يخرج منها من عيون الماء.
٦　الإرداف في قوله «واستوت على الجودي» فإنه عبر عن استقرارها في المكان بلفظ قريب من لفظ المعنى.
٧　التمثيل في قوله «وقضي الأمر» فإنه عبر عن هلاك الهالكين ونجاة الناجين بلفظ بعيد عن الموضوع.
٨　التعليل ـ فإن غيض الماء علة الاستواء.
٩　التقسيم فإنه استوفى أقسام الماء حال نقصه.
١٠　الاحتراس في قوله «وقيل بعدًا للقوم الظالمين» إذ الدعاء يشعر بأنهم مستحقوا الهلاك احتراسًا من ضعيف يتوهم أن الفرق لعمومه ربما يشمل غير المستحق.
١١　الانسجام فإن الآية منسجمة كالماء الجاري في سلاسته.
١٢　حسن التنسيق فإنه تعالى قص القصة وعطف بعضها على بعض بحسن الترتيب.
١٣　ائتلاف اللفظ مع المعنى لأن كل لفظة لا يصلح لمعناها غيرها.
١٤　الإيجاز فإنه سبحانه وتعالى ـ أمر فيها ونهى. وأخبر ونادى. ونعت وسمى. وأهلك وأبقى وأسعد وأشقى ـ وقص من الأنباء ما لو شرح لجفت الأقلام. =

٣٣ ـ الأسلوب الحكيم

هو تلقِّي المُخاطَب بغير ما يترقّبه ـ إمّا بترك سؤاله والإجابة عن سؤال لم يسأله ـ وإمّا بحمل كلامه على غير ما كان يَقصِدُ، إشارة إلى أنه كان ينبغي له أن يسأل هذا السؤال، أو يقصد هذا المعنى، فمثال الأول ما فعله القَبَعثَرِي بالحجّاج، إذ قال له الحجّاج مُتوعّدًا (لأحملنَّكَ على الأدهَمِ) يُريد القيد الحديد الأسود: فقال القَبعثَرِي «مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب» يعني الفرس الأسود، والفرس الأبيض، فقال له الحجّاج أردت الحديد، فقال القَبَعْثَري: لأن يكون حديدًا خير من أن يكون بليدًا، ومراده تخطئة الحجاج بأنّ الأليق به الوعد لا الوعيد[1]. ومثال الثاني قوله

=

١٥ التسهيم إذ أول الآية يدل على آخرها.

١٦ التهذيب لأن مفرداتها موصوفة بصفات الحسن لأن كل لفظة سهلة مخارج الحروف. عليها رونق الفصاحة، سليمة من التنافر بعيدة عن عقادة التراكيب.

١٧ حسن البيان لأن السامع لا يشكل عليه في فهم معانيها شيء.

١٨ الاعتراض وهو قوله وغيض الماء واستوت على الجودي.

١٩ الكناية فإنه لم يصرح بمن أغاض الماء. ولا بمن قضى الأمر ـ وسوى السفينة ـ ولا بمن قال وقيل بعدًا. كما لم يصرح بقائل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي في صدر الآية سلوكًا في كل واحد من ذلك سبيل الكناية.

٢٠ التعريض فإنه تعالى عرض بسالكي مسالكهم في تكذيب الرسل ظلمًا ـ وإن الطوفان وتلك الصورة الهائلة ما كانت إلا بظلمهم.

٢١ التمكين لأن الفاصلة قارة متمكنة في موضعها.

٢٢ الإبداع الذي نحن بصدد الاستشهاد له، وفيها غير ذلك ـ وقد أفردت هذه الآية الشريفة بتآليف لما اشتملت عليه من البلاغة حتى عدّ بعضهم فيها مائة وخمسين نوعًا، وقد أجمع المعاندون على أن طوق البشر عاجز عن الإتيان بمثلها.

(١) سبب ذلك أن الحجاج بلغه أن القبعثري لما ذكر الحجاج بينه وبين أصحابه في بستان قال: اللهم سود وجهه واقطع عنقه واسقني من دمه. فوشى به إلى الحجاج فلما مثل بين يديه وسأله عن ذلك قال: إنما أردت العنب، فقال له الحجاج ما ذكر ـ ومثل ذلك قول الشاعر: [مجزوء البسيط]

ولقد أتيت لصاحبي وسألته ... في قرض دينار لأمر كانا
فأجابني والله داري ما حوت ... عينًا فقلت له ولا إنسانا

وسئل تاجر؟ كم رأس مالك. فقال: إني أمين وثقة الناس بي عظيمة وقال الشاعر: [البسيط]

طلبت منه درهمًا ... يومًا فأظهر العجبْ
وقال ذا من فضة ... يُصنع لا من الذهبْ

وسئل أحد العمال ماذا ادخرت من المال. فقال: لا شيء يُعادل الصحة.

تعالى: ﴿يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾(١) سألوا عن حقيقة ما يُنفقون فأجيبوا ببيان طرق الإنفاق: تنبيهًا على أنّ هذا هو الأجدر بالسؤال عنه - وقال تعالى: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾(٢) وقال ابن حجّاج:

[الخفيف]

قال ثَقّلتُ إذْ أتيتُ مِرارًا ... قُلْتُ ثَقّلتَ كاهلي بالأيَادِي

قال طَوّلْتُ قُلتُ أوليتَ طَوْلاً ... قال أبرمتُ قلتُ حبلَ وِدَادِي

فصاحب ابن حجّاج يقول له قد ثقلت عليك بكثرة زياراتي، فيصرفه عن رأيه في أدب وظَرف، وينقل كلامه من معنى إلى معنى آخر - وكقول الشاعر:

[الطويل]

ولمّا نعى النّاعي سألناه خَشْيَةً ... وللعين خوف البينِ تَسْكابُ أمطارِ

أجابَ قَضَى: قُلنا قضى حاجة العُلا ... فقال مَضى: قلنا بكلِّ فخارِ

ويحكى أنه لما توجّه خالد بن الوليد لفتح الحيرة أتى إليه مِنْ قِبَل أهلها رجل ذو تجرِبَة: فقال له خالد فيم أنتَ؟ قال في ثيابي: فقال علام أنت؟ فأجاب على الأرض - فقال كم سنك؟ قال اثنتان وثلاثون - فقال أسألك عَنْ شيء وتجيبني بغيره: فقال إنما أجبتك عمّا سألت.

٣٤ - تشابه الأطراف

تشابه الأطراف قسمان - معنوي ولفظي.

فالمعنوي هو أن يختم المتكلم كلامه بما يناسب ابتداءه في المعنى. كقول الشاعر:

[الطويل]

ألَذّ من السِّحر الحلال حديثُهُ ... وأعذَبُ من ماء الغمامَة ريقُهُ

فالريق يناسب اللذّة في أول البيت.

واللفظي نوعان - أ - أن ينظر الناظم أو الناثر إلى لفظة وقعت في آخر المصراع

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢١٥.

(٢) بيان ذلك أن أصحاب رسول الله ﷺ سألوه عن الأهلة؟ لِمَ تبدو صغيرة، ثم تزداد حتى يتكامل نورها. ثم تتضاءل حتى لا ترى (وهذه مسألة دقيقة من علم الفلك) تحتاج إلى فلسفة عالية وثقافة عامة فصرفهم عنها ببيان أن الأهلة وسائل للتوقيت في المعاملات والعبادات إشارة إلى أن الأولى بهم أن يسألوا عن هذا، سورة البقرة: الآية ١٨٩.

الأول أو الجملة فيبدأ بها المصراع الثاني أو الجملة التالية كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾(١) وكقول أبي تمام:

[الطويل]

هَوًى كان خِلْسًا إنّ من أبرَدِ الهوى ... هوًى جُلْتُ في أفيائه وهو خاملُ

ب ـ أن يعيد الناظم لفظة القافية من كل بيت في أول البيت الذي يليه.

كقوله:

[الطويل]

رمَتْني وسِترُ الله بيني وبينها ... عَشِيّةَ آرام الكناس رَمِيمُ

رميمُ التي قالتْ لجيران بيتها ... ضَمِنتُ لكم ألّا يزال يهيمُ

وكقوله:

[الطويل]

إذا نزل الحجاج أرضًا مريضة ... تتبّع أقصى دائها فشفاها

شفاها من الدّاء العضال الذي بها ... غلام إذا هزّ القناة سقاها

سقاها فروّاها بَشرْب سجالها ... دماءَ رجالٍ حيث مال حِشاها

٣٥ ـ العكس

هو أن تُقدِّم في الكلام جزءًا ثم تعكس بأن تقدِّم ما أخرْت وتُؤخِّر ما قدمت ويأتي على أنواع ـ أ ـ أن يقع بين أحد طرفي جملة وما أضيف إليه ذلك الطرف نحو كلام الملوك ملوك الكلام ـ وكقول المتنبي:

[الطويل]

إذا أمطَرتْ منهم ومنك سحابةٌ ... فوابلُهم طَلٌّ وطَلُّك وابلُ

ب ـ أن يقع بين متعلقي فعلين في جملتين. كقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾(٢).

جـ ـ أن يقع بين لفظين في طرفي الجملتين. كقوله تعالى: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾(٣).

د ـ أن يقع بين طرفي الجملتين. كقول الشاعر:

[الطويل]

طوَيتُ بإحراز الفنون ونَيْلها ... رداء شباب والجنون فُنونُ

(١) سورة النور: الآية ٣٥.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٢٧.

(٣) سورة الممتحنة: الآية ١٠.

فحين تَعاطيت الفنون وحظها تبَّين لي أن الفنون جنونُ

هـ ـ أن يكون بترديد مصراع البيت معكوسًا. كقول الشاعر:

[الخفيف]

إن للوَجد في فؤادي تراكُمْ ليت عيني قبل الممات تراكُمْ
في هواكُمْ يا سادتي متّ وَجْدًا مت وجدًا يا سادتي في هواكُمْ

٣٦ ـ تجاهل العارف

هو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلًا منه لنكتة كالتوبيخ في قوله:

[الطويل]

أيا شجر الخابور ما لك مورقًا كأنك لم تجزع على ابن طَريف

أو المبالغة في المدح كقوله:

[البسيط]

ألمعُ برقٍ سرى أم ضوء مصباح أم ابتسامتها بالمنظر الضاحي

أو المبالغة في الذم كقوله:

[الوافر]

وما أدري وسوف إخال أدري أقومٌ آل حصن أم نساء

أو التعجب نحو: ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾﴾(١) وغير ذلك من الأغراض.

تمرين (١)

بيِّن الأنواع البديعية فيما يلي.

١ ـ قال بعضهم في وصف إبل:

[الكامل]

صلبُ الْعَصا بالضَّرْب قد أدماها تودُّ أنَّ الله قد أفناها

٢ ـ وفي وصف إبل هزيلة.

(١) سورة الطور: الآية ١٥.

١ ـ الضرب لفظ مشترك بين الضرب بالعصا وهو المعنى القريب ـ والسير في الأرض وهو المعنى البعيد المراد بالتورية.

٢ ـ فيه مراعاة النظير إذ وصف البحتري الإبل بالنحول فشبهها بأشياء متناسبة وهي القسي والأسهم المبرية والأوتار.

[الخفيف]
٣ - كالقِسيِّ المعطفاتِ بلِ الأسـ ـهـمُ مَبرِيّةً بَلِ الأوتار

[البسيط]
٣ - وللغزَالةِ شيءُ من تَلَفُّتِهِ ونورها منْ ضِيا خَدَّيْةِ مُكْتَسَب

[البسيط]
٤ - أفنى جُيُوش العدا غَزْوًا فلستَ تَرَى سِوى قتيلٍ ومأسور ومنهَزم

[الطويل]
٥ - ولا عيبَ فيهم غير أنّ ذوي النّدى خِساسٌ إذا قِيسوا بهم ولئام

[الطويل]
٦ - على رأس عبد تاجُ عِزٍّ يزينُهُ وفي رجل حُرٍّ قيدُ ذُلٍّ يَشينُهُ

[الطويل]
٧ - إذا لم تَفِض عينيَّ العقيقَ فلا رأت منازله بالقُرْب تَبهَى وتبهرُ

تمرين (٢)

[الطويل]
١ - فلا الجودُ يُفنِي المال والجَدُّ مقبلٌ ولا البخل يُبقي المالَ والجدُّ مُدبرُ

٢ - رحم اللّهُ من تصدَّق منْ فضلٍ أو آسى من كفاف، أو آثر من قوت.

[الكامل]
٣ - رأى العقيقَ فأجرى ذاك ناظرُهُ مُتيمٌ لجَّ في الأشواق خاطرُه

[الكامل]
٤ - آراؤكم ووُجوهُكم وسيُوفَكم في الحادثاتِ إذَا دَجَوْنَ نجومُ

---

٣ - في استخدام إذ أراد بالغزالة الحيوان المعروف - وبضمير نورها الغزالة بمعنى الشمس.
٤ - فيه تقسيم إذ هو قد استوفى جميع أقسام جيش العدو بحصرها في الأقسام الثلاثة.
٥ - فيه تأكيد المدح بما يشبه الذم فإنه استثنى من صفة ذم منفية صفة مدح.
٦ - فيه مقابلة بين ستة وستة فقد قابل بين على وفي. رأس ورجل. حر وعبد. تاج وقيد. عز وذل. يزين ويشين.
٧ - فيه استخدام إذ العقيق هنا الدم الشبيه بالعقيق في الحمرة - والضمير يعود إليه باعتباره الوادي المعروف بظاهر المدينة ببلاد الحجاز.
١ - فيه مقابلة بين الجود والبخل. يفنى ويبقى. مقبل ومدبر.
٢ - فيه تقسيم باستيفاء أقسام الشيء لأن طبقات الناس هذه الثلاثة ليس غير.
٣ - فيه استخدام فالعقيق أولاً المكان المعلوم في بلاد الحجاز - والضمير يعود إليه بمعنى الحجر المعروف، وقد شبه دموعه به.
٤ - فيه الجمع فقد جمع بين ثلاثة أشياء في حكم واحد.

[البسيط]

٥ ـ ما زُلزلتْ مصر مِنْ كيدٍ ألمّ بها لكنها رَقصتْ مِنْ عدلكم طرَبا

[الطويل]

٦ ـ أُراعي النجم في سيري إليكم ويرعاهُ مِنَ البيدا جوادي

[أحذ الكامل]

جاءني ابنيَ يومًا وكنت أراه لـيَ رَيْحَانَةً وَمصْدَرَ أُنس
قال ما الروح؟ قلت إنك روحي قال ما النفس؟ قلتُ إنك نفسي

تطبيق عام على البديع المعنوي

[مجزوء الرمل]

يا سيدا حاز لطفا له البرايا عبيدُ
أنت الحسين ولكن جفاك فينا يزيدُ

في هذا الكلام تورية مهيأة بلفظ قبلها. فإن ذكر «الحسين» لازم لكون «يزيد» اسمًا بعد احتمال الفعل المضارع المورّى عنه.

[المتدارك]

حُماة في بهجتها جَنة وهي من الغمّ لنا جُنَّه
لا تيأسوا من رحمة الله فقد رأيتم العاصِيَ في الجنه

في هذا الكلام تورية مرشحة. فإن ذكر الرحمة ترشيح للفظ العاصي المورى به الذي هو من العصيان. والمورى عنه النهر المعروف الذي عبر حماه:

[الرمل]

فإن ضيّعتُ فيه جميع مالي فكم من لحية حلقت بموسى

فيه التورية المرشحة بذكر اللحية والحلق وهما يناسبان المورى به وهو «موسى» الحديد، والمورى عنه الاسم المذكور:

[الخفيف]

يا عذولي في مغنّ مطرب حرك الأوتار لما سفرا
لم تهز العطف منه طربًا عندما تسمع منه وترا

فيه تورية في لفظ «وترًا» معناه البعيد المراد هو الرؤية. والقريب أحد الأوتار ـ ولفظ «تسمع» هيأ قوله «وترًا» للتورية بالرؤية.

---

٥ ـ فيه حسن التعليل فقد جعل علة زلزال مصر طربًا من عدل الممدوح لا لمكروه نزل بها.

٦ ـ فيه استخدام إذ النجم الأول الكوكب. وأعاد عليه الضمير بمعنى النبات الذي لا ساق له.

[السريع]

سـألـتـه عـن قـومـه فـأثـنـى ... يـعـجـب مـن إفـراد دمـعـي الـسَّـخـي
وأبـصـر الـمـسـك وبـدر الـدُّجـى ... فـقـال ذا خـالـي وهـذا أخـي

فيه تورية في لفظ «خالي» معناه البعيد المراد النقطة السوداء في الخد. والقريب أخ الأم. ولفظة «أخي» هي التي هيأت خالي للتورية ـ وهي بعيدة:

[الوافر]

وسـاقـيـة تـدور عـلـى الـنـدامـى ... وتـهـزم لـسـرعـة شـرب خـمـر
سـنـشـكـر يـوم لـهـو قـد تـقـضَّـى ... بـسـاقـيـة تـقـابـلـنـا بـنـهـر

«الساقية» امرأة تسقي الراح وهذا هو المعنى القريب ـ أو ساقية الماء وهو المعنى البعيد. وكل منهما مذكور للتورية في صاحبه، ومهيىء لها فيه.

الباب الثاني

في المحسنات اللفظية

١ ـ الجناس[1]

يقال له التجنيس، والتجانس، والمجانسة؛ ولا يستحسن إلا إذا ساعد اللفظ المعنى ووازى مصنوعه مطبوعه مع مُرعاة النَّظير، وتمكّن القرائن فينبغي أن ترسل المعاني على سجيتها لتكتسي من الألفاظ ما يزينها حتى لا يكون التّكلف في الجناس مع مراعاة الإلتئام؛ موقعًا صاحبه في قول من قال: طبع المُجنّس فيه نوع قيادة أو ما ترى تأليفه للأحرف.

وبملاحظة ما قدَّمنا ما يكون فيه استدعاء لميل السامع والإصغاء إليه لأن النفس تستحسن المكرر مع اختلاف معناه ويأخذها نوع من الاستغراب والجناس أن يتفق اللّفظان في النّطق ويختلفا في المعنى.

---

(١) تلخيص القول في الجناس أنه نوعان. تام. وغير تام ـ فالتام هو ما اتفق فيه اللفظان في أمور أربعة، هي نوع الحروف. وشكلها. وعددها. وترتيبها، وغير التام. هو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة المتقدمة كقول الشاعر: [الطويل]

وسميته يحيى ليحيا فلم يكن ... إلى ردّ أمر الله فيه سبيل

وكقول ابن الفارض: [الكامل]

هلّا نهاك نُهاك عن لوم امرىء ... لم يُلْفَ غير مُنَعّم بشقاء

وكقوله: [البسيط]

لو زارنا طيف ذات الخال أحيانًا ... ونحنُ في حفر الأجداث أحيانا

وقول الخنساء: [مجزوء الكامل]

إن البكاء هو الشفا ... ء من الجوى بين الجوانح

وقول المعري: [البسيط]

لم نلق غيرك إنسانًا يُلاذ به ... فلا برحت لعين الدهر إنسانا

وقول الحريري: لا أعطي زماني مَنْ يخُفِر ذمامي ولا أغرس الأيادي في أرض الأعادي

وهو ينقسم إلى نوعين لفظي - ومعنوي.

أنواع الجناس اللفظي

١ - منها الجناس التام وهو ما اتفق فيه اللّفظان في أربعة أشياء، نوع الحروف، وعددها، وهيئآتها، وترتيبها مع اختلاف المعنى.

فإن كانا من نوع واحد كاسمين أو فعلين أو حرفين سُمِّي مماثلًا ومستوفيًا - نحو ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۚ﴾(١) فالمراد بالساعة الأولى يوم القيامة، وبالثانية واحدة الساعات الزمانية ونحو: رَحَبَة رَحْبَة - الأولى فناء الدار، والثانية بمعنى واسعة وإن كانا من نوعين كفعل واسم، سُمِّي مستوفيًا نحو ارع الجار ولو جار - وكقول الشاعر:

[الكامل]

ما مات من كرم الزمان فإنه ... يحيا لدى يحيى بن عبد الله

فيحيا الأول فعل مضارع، ويحيى الثاني عَلم الكريم الممدوح. ونحو:

[السريع]

إذا رماك الدّهر في معشر ... قد أجمع الناسُ على بُغْضهم
فدارهم ما دُمت في دراهم ... وأرضهم ما دُمتَ في أرضهم

وأما الجناس الناقص فهو ما اختلف فيه اللفظان في عدد الحروف واختلافهما يكون إمّا بزيادة حرف في الأول نحو داوم الحال من المحال.

أو في الوسط نحو: جَدِّي جَهْدي، أو في الآخر نحو: الهوى مطية الهوان، والأول يسمى «مردوفًا» والثاني يسمى «مكتنفًا» والثالث يسمى «مطرّفًا».

٢ - ومنها الجناس المطلق - وهو توافق ركنيه في الحروف وترتيبها بدون أن يجمعها اشتقاق، كقوله ﷺ - أسلْم سَالمها الله وغَفارٌ غفر الله لها؛ وَعُصيةٍ عصت الله ورسوله.

فإن جمعهما اشتقاق - نحو ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣﴾(٢) فقيل يُسمّى جناس الاشتقاق(٣).

---

(١) سورة الروم: الآية ٥٥.

(٢) سورة الكافرون: الآيتان ٢، ٣.

(٣) كقوله: [الطويل]

فيا دمع انجدني على ساكني نجد

وكقوله: [الخفيف]

وإذا ما رياح جودك هبَّت ... صار قول العذول فيه هباء =

٣ ـ ومنها الجناس المُذيّل ـ «والجناس المُطرّف».

فالأول يكون الاختلاف بأكثر من حرفين في آخره.

والثاني يكون بزيادة من حرفين في أوله.

فالمذيل ـ كقول أبي تمّام:

[الطويل]

يمدُّون من أيدٍ عواصٍ عواصمٍ ... تصول بأسياف قواضٍ قواضب

والمطرف ـ كقول الشيخ عبد القاهر:

[الطويل]

وكم سبقت منه إليَّ عوارف ... ثنائي على تلك العوارف وارف

وكم غُرَرٍ من برّه ولطائف ... لشكري على تلك اللّطائف طائف

٤ ـ ومنها الجناس المضارع ـ «والجناس اللاحق».

فالأول يكون باختلاف ركنيه في حرفين لم يتباعدا مخرجًا إمّا في الأول، نحو ليل دامس وطريق طامس.

وإما في الوسط ـ نحو ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾(١).

وإمّا في الآخر نحو ـ الخيل معقود في نواصيها الخير.

والثاني يكون في متباعدين، إمّا في الأول، نحو ﴿هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾(٢).

=

وقول النابغة: [الطويل]

فيا لك من حزم وعزمٍ طواهما ... جديد الردى بين الصفا والصفائح

وقول البحتري: [الوافر]

نسيم الروض في ريحِ شمال ... وصوب المزن في راحٍ شمول

وكقول الحريري: لهم في السّير جري السيل وإلى الخير جري الخيل

وكقول البستي: [الوافر]

بسيف الدولة اتسقت أمور ... رأيناها مُبدَّدة النظام

وكقول السبكي: [الكامل]

كن كيف شئتَ عَن الهوى لا أنتهي ... حتى تعود الحياة وأنت هي

وكقوله: [الوافر]

سَمَا وحَمى بَنى سامٍ وحامِ ... فليس كمثله سام وحام

وقول أبي نواس: [الكامل]

عباسَ عباسٌ إذا احتدم الوغى ... والفضل فضلٌ والربيعُ ربيع

(١) سورة الأنعام: الآية ٢٦.

(٢) سورة الهمزة: الآية ١.

وإمّا في الوسط، نحو ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾[1].

وإمّا في الآخر نحو ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ﴾[2].

٥ ـ ومنها «الجناس اللفظي» ـ وهو ما تماثل ركناه لفظًا، واختلف أحد ركنيه عن الآخر خطًا ـ إمّا بالكتابة (بالنون والتنوين).

وإما بالاختلاف (في الضاد والظاء ـ أو الهاء والتاء).

فالأول ـ نحو:

[الرجز]

أعـذبُ خـلـق الله نـطـقًـا وفـمـا إن لـم يـكـن أحـقّ بـالـحُـسـنْ فَـمـنْ
مـثـل الـغـزال نـظـرة ولـفـتـة مـن ذا رآه مـقـبـلًا ولا افـتـتـنْ

والثاني ـ نحو ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾[3] وكقول أبي فِراس:

[الكامل]

ومـا كـنـتَ تـصـبـر فـي الـقـديـ ـم فـلـم صـبـرتَ الآن عـنّـا
ولـقـد ظـنـنـتُ بـك الـظـنـو ن لأنـه مـن ضـنَّ ظـنّـا

والثالث ـ كقوله:

[البسيط]

إذا جـلـسـتَ إلـى قـوم لـتُـؤنـسـهـم بـمـا تـحـدّث مـن مـاض ومـن آت
فـلا تـعـيـدنْ حـديـثًـا إنّ طـبـعـهُـموا مُـوكّـل بُـمـعـاداة الـمـعـاداتِ

٦ ـ ومنها ـ الجناس المُحرَّف ـ و«الجناس المُصحّف».

فالأوّل ـ ما اختلف ركناه في هيآت الحروف أي حركاتها وسكناتها نحو جُبَّة البُرْدِ جُنّة البَرْدِ.

والثاني ـ ما تماثل رُكناه وضعًا واختلفا نقطًا، بحيث لو زال إعجام أحدهما لم يَتَميز عن الآخر ـ كقول بعضهم: غرّك عزُّك، فصار قَصارَى ذلك ذُلّك. فاخشَ فَاحِش فعلك ـ فعلك بهذا تهتدي. ونحو إذا زلّ العالِم زلّ بزلّته العالَم ـ وكقول أبي فِراس:

[مجزوء الكامل]

مـن بـحـر شـعـرك أغـتـرف وبـفـضـل عـلـمـك أعـتـرف

٧ ـ ومنها الجناس المركّب ـ «والجناس المُلّفق».

(١) سورة العاديات: الآيتان ٧، ٨.
(٢) سورة النساء: الآية ٨٣.
(٣) سورة القيامة: الآية ٢٣.

فالأول ـ ما اختلف رُكناه إفرادًا وتركيبًا.

فإن كان من كلمة وبعض أخرى سمّي مرفُوًّا ـ كقول الحريري:

[الطويل]

ولا تَلْهُ عن تذكار ذنبك وابكه بدمع يضاهي المُزْن حال مصابه
ومثّل لعينيك الحِمام ووقعَه وروعةَ مُلقاه ومطعمَ صابه

وإن كان من كلمتين ـ فإن اتفق الركنان خطًا سمّي مقرونا ـ كقوله:

[المجتث]

إذا ملك لم يكن ذا هبَه فدعهُ فدولته ذاهبه

وألّا سمّي مفروقًا ـ كقوله:

[الكامل]

لا تعرضنَّ على الرُّواة قصيدة ما لم تكن بالغتَ في تَهذيبها
فإذا عرضت الشعر غير مهذّب عدُّوه منك وساوسا تهذي بها

والثاني ـ وهو الملفق يكون بتركيب الركنين جميعًا ـ كقوله:

[الوافر]

وَليتُ الحكم خمسًا وهي خَمْس لعمري والصّبا في العنفوان
فلم تضع الأعادي قدر شاني ولا قالوا فلان قد رشاني

٨ ـ ومنها «جناس القلب» وهو ما اختلف فيه اللفظان في ترتيب الحروف نحو حسامه فتحٌ لأوليائه، وحتف لأعدائه «ويسمّى قلب كلّ» لانعكاس الترتيب.

ونحو ـ اللهمّ استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، ويسمى قلب بعض.

ونحو: رحم الله أمرأ أمسك ما بين فكّيه وأطلق ما بين كفّيه. وإذا وقع أحد المتجانسين في أول البيت والآخر في آخره سمّي مقلوبًا مُجنّحًا كأنه ذو جناحين ـ كقوله: لاح أنوار الهدى من كفه في كل حال.

وإذا وَلِيَ أحد المتجانسين الآخر قيل له «المزدوج».

وإن كان التركيب بحيث لو عكس حصل «بعينه» فالمستوى وهو أخصّ من المقلوب المجنّح، ويسمّى أيضًا «ما لا يستحيل بالإنعكاس» نحو ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾[1] ونحو ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾[2].

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٣٣.
(٢) سورة المدثر: الآية ٣.

أنواع الجناس المعنوي

جناس إضمار ـ وجناس إشارة.

أ ـ «فجناس الإضمار» أن تأتي بلفظ يُحضر في ذهنك لفظًا آخر وذلك اللفظ المحضر يُراد به غير معناه بدلالة السّياق ـ كقوله:

[البسيط]

منعّم الجسم تحكي الماءَ رِقّته ... وقلبه قسوة يحكي أبا أوس

وأوس شاعر مشهور من شعراء العرب. واسم أبيه حجر. فلفظ أبي «أوس» يحضر في الذهن اسمه وهو حجر؛ وهو غير مراد؛ وإنما المراد الحجر المعلوم ـ وكان هذا النوع في مبدئه مستنكرًا. ولكن المتأخرين ولعوا به، وقالوا منه كثيرًا. فمن ذلك قول البهاء زُهير:

[الرجز]

وجاهل طال به عنائي ... لازمني وذاك من شقائي
أبغض للعين من الأقذاء ... أثقل من شماتة الأعداء
فهو إذا رأته عين الرائي ... أبو معاذ أو أخو الخنساء

ب ـ «وجناس الإشارة» هو ما ذكر فيه أحد الركنين، وأشير للآخر بما يدّل عليه ـ وذلك إذا لم يساعد الشعْر على التصريح به ـ نحو:

[مجزوء الرجز]

يا حمزة اسمح بوصل ... وامنن علينا بقرب
في ثغرِك اسمك أضحى ... مصحَّفًا وبقلبي

فقد ذكر أحد المتجانسين وهو حمزة. وأشار إلى الجناس فيه بأن مصحفه، في ثغره، أي خمرة ـ وفي قلبه، أي جمرة.

واعلم أنه لا يُستحسن الجناس إلا إذا جاء عفوًا وسمح به الطّبع من غير تكلّف.

٢ ـ التصحيف

هو التّشابه في الخط بين كلمتين فأكثر: بحيث لو أزيل أو غيّر نقط كلمة كانت عين الثانية، نحو التّخلي، ثم التَّحلّي، ثم التَّجلّي.

٣ ـ الازدواج

هو تجانس اللّفظين المتجاورين: نحو مَنْ جَدَّ وَجَدْ، ومن لجَّ ولج.

٤ ـ السجع

هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير ـ وأفضله ما تساوت فِقَرُهُ وهو ثلاثة أقسام:

أولها المطرّف ـ وهو ما اختلفت فاصلتاه في الوزن، واتفقتا في الحرف الأخير، نحو قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾[1].

وكقوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾[2].

ثانيها المُرصّع ـ وهو ما كان فيه ألفاظ إحدى الفقرتين كلها أو أكثرها مثل ما يقابلها من الفقرة الأخرى وزنًا وتقفية، كقول الحريري، هو يَطبع الأسجاع بجواهر لفظه، وَيقرَعُ الأسماع[3] بزواجر وعظه.

ثالثها المتَوازِي، وهو ما كان الاتفاق فيه في الكلمتين الأخيرتين فقط، نحو قوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾﴾[4] لاختلاف سرر وأكواب وزنًا وتقفية، ونحو قوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾﴾[5] لاختلاف المرسلات والعاصفات وزنًا فقط، ونحو: حسد النّاطق والصّامت، وهلك الحاسد والشّامت ـ لاختلاف ما عدا الصّامت والشّامت تقفية فقط.

والأسجاع مبنية على سكون أواخرها، وأحسن السجع ما تساوت فِقرُهُ، نحو قوله تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾[6].

ثم ما طالت فقرته الثانية؛ نحو ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾[7] ثم ما طالت ثالثته، نحو ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾﴾[8] ولا يحسن عكسه، لأن السامع ينتظر إلى مقدار الأول، فإذا انقطع دونه أشبه العثار[9]، ولا يحسن السجع إلا إذا كانت المفردات رشيقة،

---

(١) سورة نوح: الآية ١٣. (٢) سورة النبأ: الآية ٧.

(٣) ولو أبدلت الأسماع بالآذان كان مثالًا للأكثر: وسمي سجعًا تشبيهًا له بسجع الحمام، وفواصل الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الإعجاز موقوفًا عليها لأن الغرض أن يزاوج بينها ولا يتم ذلك إلا بالوقف.

(٤) سورة الغاشية: الآية ١٣. (٥) سورة المرسلات: الآية ٢.

(٦) سورة الواقعة: الآيات ٢٨ - ٣٠. (٧) سورة النجم: الآيتان ١، ٢.

(٨) سورة البروج: الآيات ٥ - ٧.

(٩) يعني أنه لا يحسن أن يؤتى في السجع بفقرة أقصر مما قبلها كثيرًا لأن السمع إذا استوفى أمده من الأولى لطولها ثم جاءت الثانية أقصر منها يكون كالشيء المبتور.

والألفاظ خدم المعاني، ودلَّت كل من القرينتين على معنى غير ما دلّتْ عليه الأخرى، وحينئذٍ يكون حلية ظاهرة في الكلام، والسجع موطنه النثر، وقد يجيء في الشعر: كقوله:

[البسيط]

فنحنُ في جَزَل والرّومُ في وجل ... والبَرّ في شُغُلٍ والبحر في خجل

ولا يستحسن السجع أيضًا إلا إذا جاء عفوًا خاليًا من التكلُّف والتّصنع.

٥ ـ الموازنة

هي تساوي الفاصلتين في الوزن دون التّفقيه، نحو ـ ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾[(١)] فإن مصفوفة ومبثوثة متفقان في الوزن دون التّقفية، نحو:

[المتقارب]

أفاد فساد وقاد فزاد ... وساد فجاد وعاد فأفضل

٦ ـ الترصيع

هو توازن الألفاظ مع توافق الأعجاز أو تقاربها ـ مثال التّوافق نحو ـ ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾[(٢)] ـ ومثال التّقارُب نحو ـ ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُمَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلۡمُسۡتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيۡنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١١٨﴾﴾[(٣)].

٧ ـ التشريع

هو بناء البيت على قافيتين يصح المعنى عند الوقوف على كل منهما ـ كقوله:

[الكامل]

يا خاطبَ الدُّنيا الدَّنيَّة إنها ... شرك الرّدى وقرارة الأقذارِ
دار متى ما أضحكت في يومها ... أبكت غدًا تبًا لها من دار
وإذا أظلَّ سحابها لم ينتفع ... منه صدى لجهامه الغرَّار
غاراتها لا تنقضي وأسيرها ... لا يُفتدَى بجلائل الأخطار

فيصح الوقوف على الأقذار، ودار، والغرار، والأخطار.

فتكون من بحر الكامل، ويصح الوقوف على الرَّدى، وغدا، وصدى، ويفتدى

---

(١) سورة الغاشية: الآية ١٦.
(٢) سورة الانفطار: الآية ١٣.
(٣) سورة الصافات: الآيتان ١١٧، ١١٨.

وتكون من مجزوء الكامل ـ وتقرأ هكذا:

[مجزوء الكامل]

يـا خـاطـب الـدُّنـيـا الـدِّنـيَّـة إنـهـا شـرك الـرَّدى
دار مـتـى مـا أضـحـكـت فـي يـومـهـا أبـكـت غـدا
وإذا أظـلَّ سـحـابـهـا لـم يـنـتـفـع مـنـه صـدى
غـارتـهـا لا تـنـقـضـي وأسـيـرهـا لا يـفـتـدى

وكقوله:

[الكامل]

يـا أيـهـا الـمـلـك الـذي عـمَّ الـورى مـا فـي الـكـرام لـه نـظـيـر يُـنـظـرُ
لـو كـان مـثـلـك آخـر فـي عـصـرنـا مـا كـان فـي الـدنـيـا فـقـيـر مـعـسـر

إذ يمكن أن يقال:

[مجزوء الكامل]

يـأيـهـا الـمـلـك الـذي مـا فـي الـكـرام لـه نـظـيـر
لـو كـان مـثـلـك آخـر مـا كـان فـي الـدنـيـا فـقـيـر

٨ ـ لزوم ما لا يلزم

هو أن يجيء قبل حرف الرَّويّ أو ما في معناه من الفاصلة ما ليس بلازم في التقفية كالتزام حرف وحركة أو إحداهما يحصل الرَّويُّ أو السجع بدونه ـ نحو قول الطغرائي:

[البسيط]

أصالة الرأيِ صانتني عن الْخَطِل وحلية الفضل زانتني لدى العطلِ

وكقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾(١).

وكقوله:

[الكامل]

يـا مُـحـرقـا بـالـنّـار وجْـهَ مـحـبِّـه مـهـلًا فـإن مـدامـعـي تُـطـفـيـه
احـرقْ بـهـا جـسـدي وكـل جـوارحـي واحـرص عـلـى قـلـبـي فـإنـك فـيـه

وقد يلتزم أكثر من حرف كقوله:

[السريع]

كـل واشـرب الـنـاس عـلـى خـبـرة فـهـم يـمـرّون ولا يـعـذبـون
ولا تـصـدقـهـم إذا حـدّثـوا فـإنّـهـم مـن عـهـدهـم يـكـذبـون

(١) سورة الضحى: الآيتان ٩، ١٠.

٩ ـ التصدير «أو» رد العجز على الصدر

أ ـ هو في النثر أن يُجعل أحد اللّفظين المكررين أو المُتجانسين. أو المُلحقين بهما «بأن جمعهما اشتقاق أو شبهه» أحدهما في أول الفقرة ـ والثاني في آخرها، نحو ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾(١) وقولك: سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل، الأول من السؤال، والثاني من السيلان.

وكقوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠﴾(٢).

ب ـ هو في النظم أن يكون أحدهما في آخر البيت، والآخر:

إمَّا في صدر المصراع الأول، أو في حشوه ـ أو في آخره(٣).

وإمّا في صدر المصراع الثاني ـ نحو قوله:

[الطويل]

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه ... وليس إلى داعي النّدى بسريع

وقوله:

[الوافر]

تمتَّع من شميم عرار نجد ... فما بعد العشية من عرار

وقوله:

[الطويل]

ذوائب سودٍ كالعناقد أرسلت ... فمن أجلها منَّا النفوسُ ذوائب

١٠ ـ ما لا يستحيل بالانعكاس

هو كون اللفظ يقرأ طردًا وعكسًا، نحو كن كما أمكنك ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾(٤) وكقوله:

[الوافر]

مودّته تدوم لكلٍّ هولٍ ... وهل كلٌّ مودته تدوم

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٧.

(٢) سورة نوح: الآية ١٠.

(٣) كقوله: [الطويل]

ومن كان بالبيض الكواعب مغرمًا ... فما زلت بالبيض القواضب مغرما

(٤) سورة المدثر: الآية ٣.

١١ ـ الموارية

هي أن يجعل المتكلم كلامه بحيث يمكنه أن يغيّر معناه بتحريف أو تصحيف، أو غيرهما ليسلم من المؤاخذة ـ كقول أبي نواس:

[المتقارب]

لقد ضاع شعري على بابكم ... كما ضاع عقد على خالصه

فلما أنكر عليه الرشيد ذلك، قال لم أقل إلّا:

[المتقارب]

لقد ضاء شعري على بابكم ... كما ضاء عقد على خالصه

١٢ ـ ائتلاف اللفظ مع اللفظ

هو كون ألفاظ العبارة من واد واحد في الغرابة والتأمل ـ كقوله تعالى: ﴿تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ﴾[1] لما أتى بالتاء التي هي أغرب حروف القسم أتى «بتفتأ» التي هي أغرب أفعال الاستمرار.

١٣ ـ التسميط

هو أن يجعل الشاعر بيته على أربعة أقسام ـ ثلاثة منها على سجع واحد بخلاف قافية البيت ـ كقول جنوب الهذلية:

[المتقارب]

وحربٍ وردْتَ وثَغْرٍ سَدَدْتَ ... وعلجٍ شَدَدْتَ عليه الحِبَالا

وقوله الآخر:

[البسيط]

في ثغره لَعَسٌ في خدّه قَبَسٌ ... في قدّه مَيَسٌ في جسمه تَرَف

١٤ ـ الانسجام أو السهولة

هو سلامة الألفاظ وسهولة المعاني مع جزالتهما وتناسبهما كقول الشاعر:

[المنسرح]

ما وهب الله لامرىء هِبَةً ... أفضل من عقله ومن أدبهْ
هما كمال الفتى فإن فُقدا ... ففقده للحياة أليق بِهْ

---

(١) سورة يوسف: الآية ٨٥.

١٥ ـ الاكتفاء

الاكتفاء أن يحذف الشاعر من البيت شيئًا يستغني عن ذكره بدلالة العقل عليه كقول الشاعر:

[المتقارب]

فــإنّ الــمــنــيَّــة مــن يــخــشَــهــا … فــســوف تــصــادُمــه أيــنــمــا

أي أينما تَوجَّه[1].

١٦ ـ التطريز

هو أن يكون صدر النثر أو الشعر مشتملًا على ثلاثة أسماء مختلفة المعاني، ويكون العجز صفة متكررة بلفظ واحد كقول القائل:

[الوافر]

وتــســقــيــنــي وتــشــرب مــن رحــيــق … خــلــيــق أن يُــلــقّــب بــالــخُــلــوق

كــأنّ الــكــأس فــي يــدهــا وفــيــهــا … عــقــيــق فــي عــقــيــق فــي عــقــيــق

نموذج

بين ما في الأبيات الآتية من المحسنات اللفظية:

[الرجز]

١ ـ عــضــنــا الــدّهــر بــنــابــهْ … لــيــت مــا حــل بــنــا بــهْ

[مجزوء الوافر]

٢ ـ إلــى حــتــفــي ســعــى قــدمــي … أرى قــــدمــــي أراق دمــــي

---

(١) وكقوله: [الكامل]

مـا لـلـنـوى ذنـب ومـن أهـوى مـعـي … إن غـاب عـن إنـسـان عـيـنـي فـهـو فـي

وكقوله: [المجتث]

يــا لائــمــي فــي هــواهــا … أفــرطــت فــي الــلــوم جــهــلا

مــا يــعــلــم الــشــوقَ إلّا … ولا الــصــبــابــة إلا

وكقوله: [البسيط]

ضـلـوا عـن الـمـاء سـروا سـحـرًا … قـومـي فـظـلـوا حـيـارى يـلـهـثـون ظـمـا

والله أكـرمـنـي بـالـمـاء بـعـدهُـمـو … فـقـلـت يـا لـيـت قـومـي يـعـلـمـون بـمـا =

---

١ ـ فيه جناس تام بين (بنابه) الأولى أحد أنياب الأسنان (بنابه) الثانية المركبة من (بنا) و(به).

٢ ـ فيه جناس تام بين أرى قدمي أي أنظر قدمي أراق دمي أي صب وأهدر دمي أي قتلني بلا دية.

[الوافر]

٣ ـ لئن أخطأتُ في مدحكَ ما أخطأتَ في منعي
لقد أنزلتُ حاجاتي بوادٍ غير ذي زرع

٤ ـ في الحديث اللهم اعط منفقًا خلفًا واعط ممسكًا تلفًا.

[مجزوء الكامل]

٥ ـ قد بلينا في عصرنا بأناس يظلمون الأنام ظلمًا عَما
يأكلون التراث أكلًا لمّا ويحبّون المال حبًّا جمّا

[البسيط]

٦ ـ وإن أقرّ على رَقّ أنامله أقر بالرق كُتّاب الأنام له

=

وكقوله: [الطويل]

الدمع قاض بافتضاحي في هوى ظبي يغار الغصن منه إذا مشى
وغدا بوجدي شاهد ووشى بما أخفي فيالله من قاض وشا

وكقوله:

لا أنتهي لا أنثني لا أرعوي ما دمت في قيد الحياة ولا إذا

٣ ـ في الشطر الأخير من البيت الثاني اقتباس من الآية الكريمة ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

٤ ـ فيه سجع مرصع لأن إحدى الفقرتين كالثانية في الوزن والتقفية.

٥ ـ في البيت الثاني اقتباس من القرآن الكريم من سورة الفجر ﴿وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا ۝١٩ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ۝٢٠﴾ [الفجر: ١٩ - ٢٠].

٦ ـ فيه جناس تام بين أنامله والأنام له.

خاتمة

في السرقات الشعرية وما يتبعها

السرقة ـ هي أن يأخذ الشخص كلام الغير وينسبه لنفسه:

وهي ثلاثة أنواع: نسخ، ومسخ، وسلخ.

أ ـ النسخ ويسمى انتحالًا أيضًا ـ هو أن يأخذ السارق اللفظ والمعنى معًا، بلا تغيير ولا تبديل، أو بتبديل الألفاظ كلها، أو بعضها بمرادفها، وهذا مذموم وسرقة محضة ـ كما فعل عبد الله بن الزَّبير بقول مُعَنْ بن أوس[1]:

[الطويل]

إذا أنت لم تُنصف أخاك وجدته ... على طَرَف الهِجران إن كان يعقل
ويركب حدَّ السيف من أن تضيمه ... إذا لم يكن عن شَفْرة السيف مزحل

وأمّا تبديل الألفاظ بمرادفها ـ كما فعل بقول الحُطَيْئَة:

[البسيط]

دَع المكارم لا ترحل لَبغيتها ... واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي
ذَرَا المآثر لا تذهب لمطلبها ... واجلس فإنك أنت الآكل اللابس

وقريب منه تبدل الألفاظ بضدها مع رعاية النظم والترتيب.

كما فعل بقول حسَّان رضي الله عنه:

[الكامل]

بِيض الوجوه كريمة أحسابُهم ... شُمُّ الأنوف عن الطّرَاز الأولِ

فقال غيره:

[الكامل]

سُود الوجوه لئيمة أحسابهم ... فطُس الأنوف من الطّرَاز الآخر

---

(١) الزبير بفتح فكسر في هذا ـ ويوجد اسم آخر بضم ففتح ـ ومعن بضم وفتح ـ ومعن بن زائدة بفتح فسكون.

ب ـ والمسخ ـ أو الإِغارة: هو أن يأخذ بعض اللفظ أو يغيِّر بعض النظم فإن امتاز الثاني بحسن السبك فممدوح، نحو:

[البسيط]

من راقب الناس لم يظفر بحاجته ۝ وفاز بالطيبات الفاتك اللّهج

مع قول غيره:

[مخلع البسيط]

من راقب الناس مات همًّا ۝ وفاز باللّذات الجسور

فإن الثاني أعذب وأخصر، وإن امتاز الأول فقط فالثاني مذموم وإن تساويا فالثاني لا يذمّ ولا يمدح، والفضل للسابق.

ج ـ والسلخ ـ ويسمى إلمامًا هو أن يأخذ السَّارق المعنى وحده.

فإن امتاز الثاني فهو أبلغ ـ نحو:

[الطويل]

هو الصّنع أن يعمل فخير وإن يرث ۝ فللرّيثُ في بعض المواضع أنفع

مع قول غيره:

[الخفيف]

ومن الخير بطءَ سيبك عنّي ۝ أسرع السحب في المسير الجهام

وإن امتاز الأول فالثاني مذموم، وإن تماثلا فهو أبعد عن الذم ـ كقوله:

[الوافر]

ولم يك أكثر الفتيان مالًا ۝ ولكن كان أرحبهم ذراعا

مع قول الآخر:

[المتقارب]

وليس بأوسعهم في الغنى ۝ ولكن معروفه أوسع

ويتّصل بالسرقات الشعرية ثمانية أمور، الاقتباس، أو التضمين، والعقد والحل. والتلميح، والابتداء، والتَّخلص، والانتهاء.

١ ـ الاقتباس ـ هو أن يضمّن المتكلم منثوره أو منظومه شيئًا من القرآن أو الحديث على وجه لا يشعر بأنه منهما، فمثاله من القرآن في النثر.

فلم يكن إلا كلمح البصر أو هو أقرب. حتى أنشد فأغرب، ونحو قول الحريري، أنا أنبّئكم بتأويل، وأُميِّز صحيح القول من عليله ـ وكقول عبد المؤمن الأصفهاني ـ لا تَغُرَّنَّك من الظَّلَمة كثرة الجيوش والأنصار ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ

تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾[(١)] ـ وفي الشعر قوله[(٢)]:

[المتقارب]

وثـغـر تـنـضَّـد مـن لـؤلـؤ ... بـألـبـاب أهـل الـهـوى يـلـعـبُ
إذا مـا ادلـهـمَّـتْ خـطـوب الـهـوى ... يـكـاد سـنـا بـرقـه يـذهـبُ

وقوله:

[السريع]

إن كـنـت أزمـعـت عـلـى هـجـرنـا ... مـن غـيـر مـا جُـرم فـصـبـرٌ جَـمـيـل
وإن تـبـدّلـتَ بـنـا غـيـرنـا ... فـحـسـبـنـا الـلّـهُ ونـعـم الـوكـيـل

وقوله:

[الخفيف]

لا تـكـن ظـالـمًـا ولا تـرضـى بـالظُّلـ ... ـم وأنـكِـرْ بـكـل مـا يُـسـتـطـاع
يـوم يـأتـي الـحـسـاب مـا لِـظَـلُـوم ... مـن حـمـيـم ولا شـفـيـع يُـطـاع

وكقوله:

[الكامل]

إن كـانـت الـعـشـاق مـن أشـواقـهـم ... جعلوا النّسيم إلى الحبيب رسولا
فـإنّـا الـذي أتـلـو لـهـم يـا لـيـتـنـي ... كنت اتـخـذت مع الرسول سـبـيـلا

وقوله:

[الكامل]

ارحـلـوا فـلـسـتُ مُـسـائـلًا عـن دارهـم ... «أنـا بـاخِـعٌ نَـفـسِـي عـلـى آثـارهـم»

وقوله:

[الطويل]

ولاح بـحـكـمـتـي نـورُ الـهـدى ... فـي لـيـالـي لـلـضـلالـة مُـدْلـهِـمَّـه
يُـريـدُ الـجـاهـلـون لـيُـطـفـئـوهُ ... وَيَـأْبَـى الله إلّا أنْ يُـتِـمّـه

---

(١) سورة إبراهيم: ٤٢.

(٢) ولا بأس بتغيير يسير في اللفظ المقتبس للوزن أو غيره نحو: [مخلع البسيط]

قـد كـان مـا خـفـت أن يـكـونـا ... إنـا إلـى الله راجـعـونـا

وفي القرآن ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] ويكون الاقتباس مذمومًا في الهزل كقوله: [السريع]

أوحـى إلـى عُـشـاقـه طـرفـه ... هـيـهـات هـيـهـات لـمـا تـوعـدون
وردفـه يـنـطـق مـن خـلـفـه ... لـمـثـل هـذا فـلـيـعـمـل الـعـامـلـون

ومثاله من الحديث في النثر قول الحريري: شاهت الوجوه، وقبح اللكع ومن يرجوه - وكقول الحريري أيضًا:

وكتمان الفقر زهادة و«انتظار الفرج بالصبر» عبادة.

ومثاله من الحديث في الشعر قوله:

[مجزوء الرمل]

قال لي إن رقيبي سيء الخُلْقِ فدارِهْ
قلت دعني وجهك «الجنة حُفَّت بالمكارِهْ»

وكقوله:

[الطويل]

فلو كانت الأخلاق تُحوى وارثة ولو كانت الآراء لا تتشعبُ
لأصبح كل الناس قد ضمّهم هوى كما أن كل الناس قد ضمّهم أبُ
ولكنها الأقدار «كلٌّ مُيسّر لِمَا هو مخلوق له» ومقرّبُ

وقوله:

[الرمل]

لا تعادِ الناس في أوطانهم قلّما يرعى غريبُ الوطنِ
وإذا ما شئت عيشًا بينهم خالِقْ الناس بخلق حَسنِ[1]

٢ - والتّضمين - هو أن يضمّن الشاعر كلامه شعرًا من شعر الغير مع التّنبيه عليه[2]

(١) وينقسم الاقتباس إلى ضربين:
الأول - ضرب منه لا ينقل فيه اللفظ المقتبس عن معناه الأصلي إلى معنى آخر كما تقدم.
الثاني - ما ينقل إلى معنى آخر، كقول ابن الرومي: [الوافر]

لئن أخطأتُ في مدحيك ما أخطأتَ في منعي
لقد أنزلتُ حاجاتي بوادٍ غير ذي زرع

فقد كنى بهذا الوادي عن رجل لا يرجى نفعه ولا خير فيه، وهو في الآية الكريمة وادٍ لا ماء فيه ولا نبات، وقد أجازوا تغيير اللفظ المقتبس بزيادة فيه أو نقص أو تقديم أو تأخير - كما سبق.
واعلم أن الاقتباس ثلاثة أقسام:
مقبول - وهو ما كان في الخطب والمواعظ.
ومباح - وهو ما كان في الغزل والرسائل والقصص
ومردود - وهو ما كان في الهزل - كما تقدم ذكره

(٢) أما تضمينه بلا تنبيه عليه لشهرته: فكقوله: [الكامل]

قد قلت لمّا اطلعت وجناته حول الشقيق الغض روضة آسِ
أعِذاره السّاري العجول ترفّقا ما في وقوفك ساعة من باسِ =

إن لم يكن مشهورًا لدى نقّاد الشّعر وذوي اللّسن نحو قوله:

[المتقارب]

إذا ضاق صدري وخِفتُ العِدَا تمثَّلتُ بيتًا بحالي يليقُ
فبالله أبلغْ ما ارتجى وبالله ادفع ما لا أطيق

وكقول الحريري يحكي ما قاله الغلام الذي عرضه أبو زيد للبيع:

[الوافر]

على أني سأنشد عند بيعي أضاعوني وأيَّ فتى أضاعوا(١)

المصراع الأخير للعرجي - وأصله:

[الوافر]

أضاعوني وأيَّ فتًى أضاعوا ليوم كَريهَةٍ وسِدَاد ثَغْر

٣ - والعقد - هو نظم النثر مطلقًا لا على وجه الاقتباس، ومن شروطه أن يُؤخذ المنثور بجملة لفظه، أو بمعظمه، فيزيد الناظم فيه وينقص ليدخل في وزن الشعر - فعقد القرآن الكريم كقوله:

[الوافر]

أنلِني بالذي استقرضتَ خطّا وأشهِدْ معشرًا قد شاهدُوه
فإنّ الله خلّاق البرايا عنت لجلال هيبته الوجوه

= فالمصراعُ الأخير مطلع قصيدة مشهورة لأبي تمام: [الكامل]

ما في وقوفك ساعة من باس تقضي حقوق الأربع الأدراس

وأحسن التضمين أن يزيد المضمن في كلامه نكتة لا توجد في الأصل كالتورية والتشبيه، كما في قوله: [الطويل]

إذا الوهم أبدى لي لماها وثغرها تذكّرت ما بين العُذيب وبارق
ويذكرني من قدّها ومدامعي مجرّ عوالينا ومجرى السّوابق

فالمصرعان الأخيران مطلع قصيدة لأبي الطيب المتنبي: [الطويل]

تذكرت ما بين العذيب وبارق مجرّ عوالينا ومجرى السوابق

يريد المتنبي أنهم كانوا نزولاً بين هذين الموضعين يجرون الرماح عند مطاردة الفرسان، ويسابقون على الخيل أما الشاعر الآخر فأراد بالعذيب تصغير العذب وعني به شفة الحبيبة، وببارق ثغرها الشبيه بالبرق. وبما بينهما ريقها، وهذه تورية بديعة نادرة في بابها، وشبه تبختر قدّها بتمايل الرماح وتتابع دموعه بجريان الخيل السوابق.

(١) ولا بأس من التغيير اليسير كقوله: [الوافر]

أقول لمعشر غلطوا وغضوا من الشيخ الرشيد وأنكروه
هو ابن جلا وطلاع الثنايا متى يضع العمامة تعرفوه

يقول «إذا تداينتم بدين   إلى أجل مسمى فاكتبوه»

وعقد الحديث الشريف كقوله:

[البسيط]

إنّ القلوبِ لأجنادٌ مُجنّدةُ   بالإذن من ربها تهوى وتأتلفُ

فما تعارف منها فهو مُؤتلف   وما تناكر منها فهو مختلفُ

وكقوله:

[البسيط]

واستعمل الحلم واحفظ قول بارئنا   سبحانه خلق الإنسان من عَجَل

٤ ـ والحل هو نثر النّظم، وإنما يُقبل إذا كان جيّد السَّبك، حسن الموقع ـ كقوله:

[الطويل]

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه   وصدق من يعتاده من توهُّم[(١)]

٥ ـ والتلميح هو الإشارة إلى قصة معلومة أو شعر مشهور، أو مثل سائر من غير ذكره، فالأول ـ نحو:

[المجتث]

يا بدر أهلك جاروا   وعلّموك التجري   وقبّحوا لك وصلي

وحسّنوا لك هجري   فليفعلوا ما أرادوا   فإنهم أهل بدر

وكقوله: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾[(٢)] أشار يعقوب في كلام هنا لأولاده بالنسبة إلى خيانتهم السابقة في أمر أخيهم يوسف ـ ونحو قول الشاعر:

[الطويل]

فوالله ما أدري أأحلام نائم   أَلَمَّتْ بنا أم كان في الركب يوشع[(٣)]

والثاني ـ نحو:

[الطويل]

لعمرو مع الرَّمضاء والنار تلتظي   أرقُّ وأحفى منك في ساعة الكرب

---

(١) نثره ـ لما قبحت فَعلاته. وحَنظلت نَخلاَته. لم يزل سوء الظن يقتاده، ويصدّق توهمه الذي يعتاده.

(٢) سورة يوسف: الآية ٦٤.

(٣) إشارة إلى استيقاف يوشع للشمس، يروى أنه عليه السلام قاتل الجبارين يوم الجمعة، فلما أدبرت الشمس خاف أن تغرب قبل أن يفرغ من قتالهم ويدخل يوم السبت فلا يحل له قتالهم فيه فدعا الله فأبقى له الشمس حتى فرغ من قتالهم.

إشارة إلى قول الآخر:

[البسيط]

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

والثالث: نحو:

[مخلع البسيط]

من غاب عنكم نسيتموه وقلبه عندكم رهينه
أظنكم في الوفاء ممن صُحبته صُحبة السفينه

٦ ـ وحسن الابتداء أو براعة المطلع، هو أن يُجعل أوّل الكلام رقيقًا سهلاً، واضح المعاني، مستقلاً عمّا بعده، مناسبًا للمقام، بحيث يجذب السامع إلى الإصغاء بكلّيته، لأنه أول ما يقرع السمع، وبه يُعرف مما عنده.

قال ابن رشيق: إن حسن الافتتاح داعية الانشراح، ومطيّة النجاح ـ وذلك كقوله:

[البسيط]

المجد عوفِيَ إذ عُوفيتَ والكرم وزال عنك إلى أعدائك السقم

وتزداد حسنًا إذا دلَّت على المقصود بإشارة لطيفة ـ وتسمى براعة استهلال[1] وهي أن يأتي النّاظم أو النّاثر في ابتداء كلامه بما يدلّ على مقصوده منه بالإشارة لا بالتصريح:

كقول أبي محمد الخازن مُهنئًا الصاحب ابن عباد بمولود:

[البسيط]

بُشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا وكوكب المجد في أفق العلا صعدا

وقول غيره في التهنئة ببناء قصر:

[الكامل]

قصر عليه تحية وسلام خَلَعَت عليه جمالها الأيام

وكقول المرحوم أحمد شوقي بك في الرثاء:

[الكامل]

أجل وإن طال الزمان موافي أخلي يديك من الخليل الوافي

وكقول آخر في الاعتذار:

---

(١) وبراعة الطلب أن يشير الطالب إلى ما في نفسه دون أن يصرح بالطلب نحو ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ [هود: ٤٥] إشارة إلى طلب النجاة لابنه وكقوله: [الطويل]

وفي النفس حاجات وفيك فطانة سكوتي بيان عندها وخطاب

[الوافر]

لنار الهمِّ في قلبي لهيبُ ... فعفوًا أيها الملك المَهيبُ

وقد جاء في الأخبار أنّ الشّعر قُفل، وأوّله مفتاحه.

٧ ـ والتّخلص ـ هو الخروج والانتقال مما ابتُدِئ به الكَلام إلى الغرض المقصود، برابطة تجعل المعاني آخذًا بعضها برقاب بعض، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من نسيب إلى مدح أو غيره لشدة الالتئام والانسجام.

كقوله:

[الكامل]

وإذا جلست إلى المدَام وشُربها ... فاجْعَلْ حَديثك كلّه في الكاسِ
وإذا نزعت عن الغِواية فليكن ... للّهِ ذاك النزع لا للناسِ
وإذَا أردتَ مديحَ قومٍ لم تُلَمْ ... في مدحهم فامدح بني العباسِ

وقوله:

[الكامل]

دعت النوى بفراقهم فتشتّتوا ... وقضى الزّمان ببينهم فتبدَّدوا

وقد ينتقل مما افتتح به الكلام إلى الغرض المقصود مباشرة بدون رابطة بينهما، ويسمّى ذلك اقتضابًا ـ كقول أبي تمام:

[الخفيف]

لو رأى الله أنّ في الشيب خيرًا ... جاورته الأبرار في الخلدِ شيبا
كل يوم تبدي صروف اللّيالي ... خُلقا من أبي سعيد رغيبا

٨ ـ و«حسن الانتهاء» ويقال له «حسن الختام» هو أن يجعل المتكلم آخر كلامه عذب اللفظ، حسن السبك، صحيح المعنى، مشعرًا بالتمام، حتى تتحقّق براعة المقطع بحسن الختام. إذ هو آخر ما يبقى منه في الأسماع وربما حُفظ من بين سائر الكلام لقرب العهد به.

يعني أن يكون آخر الكلام مستعذبًا حسنًا لتبقى لذته في الأسماع مؤذنًا بالانتهاء، بحيث لا يبقى تشوّقًا إلى ما وراءه، كقول أبي نواس:

[الطويل]

وإني جدير إذ بَلَغْتك بالمنى ... وأنت بما أمّلتُ فيك جدير
فإن تُولني منك الجميل فأهله ... وإلّا فإنّي عاذرٌ وشكورُ

وقول غيره:

[الطويل]

بقيتَ بقاء الدهر يا كهف أهله ... وهذا دعاء للبريّة شامل

وقول ابن حِجّة:

[الطويل]

عَلَيْكَ سلام نشره كلّما بدى ... به يتغالى الطّيب والمسك يختم

وقول غيره:

[البسيط]

ما أسأل الله إلا أن يدومَ لَنَا ... لا أن تزيد معاليه فقد كمُلت

فهرس المحتويات

علم المعاني

علم البيان

علم البديع